



# مَجَلَّةُ الْمَحْكَمَةِ الْعَلِيَّةِ

مَجَلَّةُ فَصْلِيَّةِ انْشَأَتْ سَنَةَ ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الْجُزْءُ الْاَوَّلُ - الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ وَالْارْبَعُونَ







# مجلة المحجة البيضاء العلمية

شبكة كتب الشيعة  
الجزء الاول - المجلد الخامس والاربعون  
بغداد  
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م



shiabooks.net  
رابط يديل < mktba.net

## شروط وضوابط النشر

- ١ - تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .
- ٢ - لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .
- ٣ - يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى .
- ٤ - تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحياتها للنشر .
- ٥ - هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .
- ٦ - يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :
  - أ - ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .
  - ب - ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملاً باللغة العربية .
  - ج - يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .
  - د - ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقاً توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .
  - هـ - يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .
  - و - ان تستخدم في البحث المصطلحات المقررة عربياً .
- ٧ - يعطي صاحب البحث - عند نشره - ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلزمات من بحثه .
- ٨ - المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها .



# مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

## هيئة التحرير

- رئيس التحرير - ١. د. ناجح محمد خليل الراوي - رئيس المجمع  
١. د. احمد مطلوب - امين عام المجمع  
١. د. جلال محمد صالح  
١. د. داخل حسن جريو  
١. د. رياض حامد ذنون الدباغ  
١. د. عبدالحليم ابراهيم امان الحجاج  
١. د. ليث اسماعيل ابراهيم نامق  
١. د. مازن اسماعيل الرمضاني  
١. د. محمود حياوي التكريتي  
١. د. نزار عبداللطيف الحديشي  
مصطفى توفيق المختار - عضو هيئة التحرير - مدير التحرير

- توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي  
المجمع العلمي - ص . ب . ( ٤٠٢٣ ) بغداد - جمهورية العراق  
هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ - ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : ( ٩٦٤ - ١ ) ٤٢٥٤٥٢٣  
- الاشتراكات : داخل العراق ( ٤٠٠٠ ) دينار سنويا .  
خارج العراق ( ٥٠ ) دولار امريكي سنويا وتضاف اجرة البريد .

# الفهرس

## الموضوع

## الصفحة

- ١ - تثبيت التربة لانشاء الطرق قليلة التكاليف في الوطن العربي ..... ٥  
- الامكانيات والاشكاليات -  
١. د. ناجح الراوي
- ٢ - من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية / قصة الطوفان ..... ٣٦  
١. د. عامر سليمان
- ٣ - وسائل وضع المصطلح العلمي ..... ٦١  
١. د. محمد ضاري حمادي
- ٤ - القرآن الكريم مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياتها ..... ٧٣  
حفصة رمزي العمري
- ٥ - العلاقة بين الكلمة واللحن في بعض صيغ التراث والموروث ..... ١٠١  
الموسيقى العراقي  
١. د. طارق حسون فريد
- ٦ - دور التربية في نهضة اليابان ..... ١٤٢  
د. عبدالله حسن الموسوي
- ٧ - قراءة في منهجية « المعجم الطبي الموحد » ..... ١٧٤  
د. مجيد محمد علي القيسي
- ٨ - الاتصال الحضاري والتغير الاجتماعي للجماعات الالائية ..... ٢١١  
د. مزاحم جاسم مجيد الاشعب
- ٩ - التفلفل الاقتصادي الاوربي في المغرب / ١٩٨٤-١٩١٢ ..... ٢٣٧  
١. د. هاشم صالح التكريتي



# تثبيت التربة لإنشاء الطرق قليلة التكاليف في الوطن العربي - الإمكانيات والإشكاليات - (\*)

الدكتور ناجح الراوي

استاذ متمرّس - جامعة بغداد

رئيس المجمع العلمي

## ١ - المقدمة :-

تعد شبكات المواصلات المكونة من الطرق والسكك والمطارات والموانئ من عوامل البنى التحتية الاساسية لاي بلد في العالم ، لانها تسهل انتقال الافراد والبضائع من منطقة الى أخرى ، وتسهم في التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي . وقد زادت أهمية شبكات الطرق نتيجة لتقدم تكنولوجيا صناعة السيارات في القرن العشرين ، واصبحت هذه الشبكات ونوعيتها من مقاييس تقدم الامم والشعوب .

ان ربط الاقطار العربية بشبكة من الطرق المعبدة وازالة عقبات الحدود ومشكلاتها أو تخفيفها سيساعد على انتقال الاشخاص وتبادل البضائع ، ويسرع التقارب المطلوب لتحقيق الوحدة العربية . التي هي أمل هذه الامة التي تتطلع لتأخذ مكائتها بين الامم في عالم التكتلات السياسية والاقتصادية.

## ١-١ تصنيف الطرق :-

يختلف تصنيف الطرق وتسميتها في العالم من بلد الى آخر ، ويمكن تصنيف الطرق في الوطن العربي كما يأتي :

(\*) بحث مقدم الى ندوة « دور البحث العلمي في مشاريع الطرق قليلة التكاليف » التي كان مزمع اقامتها في عمان ٢١ - ٢٣ آذار ١٩٩٨ من قبل اتحاد مجالس البحث العلمي العربية بالتعاون مع المجلس الاعلى للعلوم والتكنولوجيا ووزارتي الاشغال والاسكان والمواصلات الاردنية .

## ١-١-١ طرق المرور السريع :-

وهي الطرق الاستراتيجية المشيدة بأعلى المواصفات من حيث جودة المواد المستخدمة والمواصفات الهندسية للاستقامة وعرض ممرات الطريق ، وانعزال الطريق عن أي تقاطعات في مستوى واحد او تداخلات جانبية غير منظمة هندسيا . ويتكون الطريق من عدة ممرات في كل اتجاه ، ويتحمل مرور كثيف من السيارات والمركبات ويسمح لها بالمرور السريع وتشمل هذه بعض الطرق التي تربط الاقطار العربية ببعضها - ومستقبلا مع بلدان العالم - وتربط المدن الرئيسية ببعضها في القطر الواحد . وما زالت هذه الطرق قليلة في الوطن العربي لكلفتها العالية ولعدم وجود الكثافة المرورية التي تبرر انشاءها من الناحية الاقتصادية .

## ١-١-٢ الطرق الرئيسية :-

وهي الطرق التي تربط الأقاليم والمدن الكبيرة ببعضها وبالأقطار المجاورة ، وغالبا ما تتكون من اكثر من ممر واحد بكل اتجاه ويكون الاتجاهان معزولين بجزرة وسطية . والمواد المستخدمة في انشائها تكون جيدة ويسمح التصميم الهندسي للطريق (Geometric Design) بانسياب السيارات بسرعة مناسبة .

## ١-١-٣ الطرق الثانوية :-

وهي الطرق التي تربط مراكز المحافظات بالاقضية والنواحي والمدن الصغيرة والمراكز الاقتصادية كالمعامل والمخازن الرئيسية ، وغالبا ما تكون هذه الطرق بعرض ٧ر٣٠ م باتجاهين غير منفصلين عن بعضها ، وبمواصفات أقل من مواصفات الطرق الرئيسية .



## ١-١-١ الطرق الفرعية والريفية :-

وهي طرق رخيصة التكاليف قليلة الكثافة المرورية ، وترتبط المدن الصغيرة بالقرى والارياف ، ولها مردودات اقتصادية واجتماعية كبيرة ولا تخضع لمواصفات فنية دقيقة ويستفاد من المواد المتوفرة محليا لإنشائها وغالبا ما يستفاد من تكنولوجيا تثبيت التربة المحلية لانشاء هذه الطرق .

## ١-٢-١ انواع تعبيد الطرق :-

تقسم الطرق والمطارات من حيث تصميم التبليط (Pravement Design) الى نوعين :

### ١-٢-١-١ التبليط المرن :- (Flexible Pavement)

ويتكون من طبقات السطح والاساس (base) وتحت الاساس (sub - base) ثم التربة المحلية المرصوة (compacted) فوق التربة المحلية الطبيعية . وتندرج صلابة الطبقات والمواد المستخدمة فيها وقوتها من الاعلى الى الاسفل فيتوزع الاجهاد (stress) الناتج عن ائقال السيارات والطائرات بشكل تدريجي حتى يصل الى اجهاد قليل تحمله التربة الطبيعية الضعيفة نسبيا . ان أغلب الطرق الخارجية في الوطن العربي هي من هذا النوع لاسباب اقتصادية وتقنية .

### ١-٢-١-٢ التبليط الجاسيء :- (Rigid Pavement)

يمكن تعريف تثبيت التربة بأنها عملية تبديل أي خاصية من خواص التربة بما تتحمل الاجهاد الناتج عن ائقال السيارات والمركبات والطائرات ، ويفضل استخدام طبقة الأساس تحت الخرسانة .

## ٢ - تثبيت التربة :-

يمكن تعريف تثبيت التربة بأنها عملية تبديل أي خاصية من خواص التربة بما يؤدي الى تحسين ادائها الهندسي . كالقوة أو النفاذية أو تقليل الهبوط

(compressibility or settlement) <sup>(١)</sup> ويمكن إجراء تثبيت التربة بأحدى الطرق الآتية :

● الطريقة الميكانيكية – وتشمل رص التربة (compaction) او اضافة تربة من نوع آخر •

الطريقة الكيميائية – وذلك باضافة مواد تحدث تفاعلا كيميائيا كمادة الاسمنت او النورة او الاملاح ، وقد تضاف مواد كيميائية مساعدة •

● الطريقة الكهربائية – وتستخدم لبزل التربة الطينية الثقيلة بهدف تسريع الهبوط والاستقرار •

الطريقة الحرارية – كتجميد الرمال المتحركة (Quick Sand) او المياه في أثناء شق الانفاق او تجميد التربة التي تتعرض للذوبان لمدة قصيرة من السنة للمحافظة على صلابتها بحالة الانجماد •

ويشبهه وليم لامب (William Lambe) <sup>(٢)</sup> تثبيت التربة بأنها « يمكن ان تقدم أدوية مختلفة لعدة امراض (مشاكل) ولكن اختيار الدواء اذا كان لازما يعتمد على ما يمكن ان يؤديه الدواء في حالات محدودة وعلى كلفته مع الطرق الاخرى لحل المشكلة » •

## ٢-١ استخدامات تثبيت التربة :-

تستخدم تكنولوجيا تثبيت التربة لتحسين خواصها ولانشاء مواد جديدة ، وأهم استخداماتها في المجالات هي :

● انشاء مطارات صغيرة – كمطار عكاشات في العراق ومطار شركة صناعة السكر في السودان •

● انشاء طرق ريفية وفرعية وهو الاستخدام الأكثر شيوعا •

● تحسين خواص المواد المستخدمة في طبقات التبليط للطرق والمطارات •



- تصنيع اجر ( طابوق ) قليل التكاليف في المناطق الريفية .
- تعبيد ساحات لخزن المواد ومواقف للسيارات .
- تبطين قنوات الري .
- تثبيت أكتاف السدود الترابية .

## ٢-٢ تثبيت التربة لانشاء الطرق الريفية والفرعية :-

ان التوسع في اثناء الطرق الريفية والفرعية في الوطن العربي وربطها بشبكات الطرق الوطنية يخدم التطور الاجتماعي لسكان الارياف ويساعد على نمو الاقتصاد الوطني بشكل مباشر ، ويشغل الايدي العاملة ، وهو لا يحتاج الا الى قليل من الاموال بالعملة الصعبة المتمثلة ببعض معدات التبليط البسيطة نسبيا .

ان أصناف تثبيت التربة التي يمكن استخدامها في الاقطار العربية تقع ضمن ما يأتي :

- التربة المثبتة بالاسمنت (soil-cement)
- التربة المثبتة بالنورة (soil-lime)
- التربة المثبتة بالقار (soil-bitumen)
- التثبيت الميكانيكي (mechanical stabilization)

وفي أغلب الاحيان فان اضافة مواد كيميائية بنسب قليلة الى خليط التربة والاسمنت او النورة او القار يساعد على التثبيت ويقلل كمية المادة المطلوبة للتثبيت ، الا ان استخدام المواد الكيميائية المضافة يعتمد على نوعية التربة المراد تثبيتها وعلى تحليل للجذوى الاقتصادية لهذه الاضافة .

ان رص (حدل) خليط التربة والمادة المثبتة بشكل جيد ، وانتظار مدة الاضاج المطلوبة (curing period) عملية ضرورية للحصول على نتيجة كهوءة من التثبيت .

## ٢ - ٣ تصميم تثبيت التربة :-

ان تصميم تثبيت التربة ينطوي على اتخاذ الخطوات الاتية :

### ٢-٣-١ اختيار المادة المستخدمة في التثبيت ونسبتها الى التربة :-

ويعتمد ذلك على نوعية التربة المراد تثبيتها ومدى تفاعلها مع مواد التثبيت كالاسمنت او النورة او القار لكي تعطي التربة المثبتة مقاومة الانضغاط المطلوبة (compressive strength) في مدة انضاج محددة . وبموجب المواصفات القياسية لغرض التثبيت . . ويتطلب ذلك اجراء بعض الفحوصات الاولى لمعرفة خواص التربة

ان اختيار المادة المثبتة يعتمد بالضرورة على البدائل المتوفرة اقتصاديا في المنطقة .

### ٢-٣-٢ كمية الماء المطلوب اضافته الى الخليط :-

ان نسبة الماء المطلوب اضافته الى الخليط هي النسبة التي تؤدي الى كفاءة الرص (compaction) وتنتج اعلى كثافة للخليط بجهود الرص المبذولة (compactive effort) . ان محتوى الماء الامثل (optimum water content) لرص مزيج التربة المثبتة بالاسمنت او النورة مقارب لمحتوى الماء الامثل لرص التربة بدون اضافة مثبت ، وغالبا ما تكون اعلى بنسبة ٢-٤٪ بالنسبة للترب الطينية (clayey soils) .

### ٢-٣-٣ سمك الطبقة المثبتة :-

ان سمك الطبقة المثبتة يعتمد على قوة الخليط المثبت ، وعلى الاجهاد المتوقع على تلك الطبقة تهبجة لكثافة المرور وثقل المركبات المتوقع استخدامها للطريق . ويمكن استعمال طرق تصميم التبليط المعروفة (Pavement Design) لمعرفة السمك المطلوب .



## ٢-٤ انشاء الطرق المثبتة :-

تقع عملية انشاء الطرق المثبتة بخطوتين أساسيتين :

### ٢-٤ التهيئة الاولى :-

وتشمل :

- تهيئة الطريق بالمستوى المطلوب •
- حرث التربة الطبيعية وتنعيمها لكي تتقبل المادة المثبتة بكفاءة • ويمكن استخدام المحراث والجرارات الموجودة في الارياض لهذا الغرض •

### ٢-٤-٢ عملية التثبيت :-

وتشمل :

- توزيع المادة المثبتة ( الاسمنت او النورة او القار ) وثرها بالنسبة المطلوب اضافتها •
  - مزج التربة مع المادة المثبتة واطافة كمية الماء المطلوبة الى المحتوى الامثل • وتوجد اجهزة ومحطات متخصصة للمزج ثابتة او متنقلة تؤدي المزج بكفاءة أعلى •
  - اجراء عملية الرص للخليط بواسطة الحادلات المتوفرة محليا •
  - اجراء عملية التسوية النهائية للطريق •
  - ترك المزيج للمدة المحددة للانضاج ليستمد قوته وخواصه المطلوبة •
- ان كمية الماء المستخدم لرص التربة تكفي لعملية الاماهة (hydration) بالنسبة للاسمنت او النورة ولعملية الانضاج في حالة المحافظة على الماء من التبخر •

### ٣ - امكانيات تثبيت التربة في الوطن العربي وبعض اشكالياتها :-

#### ٣-١ المواد المثبتة وتواجدها في الوطن العربي (٣) :

##### ٣-١-١ التثبيت الميكانيكي :

تتوفر في مختلف الاقطار العربية انواع مختلفة من التربة : الركام (aggregate) والحصى (gravel) والرمال فضلا عن التربة الطينية ، ولهذا فان اختيار التثبيت الميكانيكي يعتمد على كلفة نقل انواع التربة وما تؤديه عملية التثبيت مقارنة مع الحلول الاخرى الممكنة .

##### ٣-١-٢ القار : (bitumen)

توجد مواد القار في مناطق مختلفة من الوطن العربي وقد استخدم القار الطبيعي (natural asphalt) اول مرة في التاريخ في أكد في وادي الرافدين نحو سنة ٣٨٠٠ قبل الميلاد<sup>(٥٤)</sup> . واستخدم القار في تعبيد الطرق والبناء بالآجر (الطابوق) مادة رابطة في بابل كما استخدم في مشاريع الري والسدود ومع اكتشاف النفط واستخراجه وتكريره كاد استخدام القار الطبيعي يتلاشى ، لان الاسفلت (asphalt) ناتج عرضي من تصفية النفط .

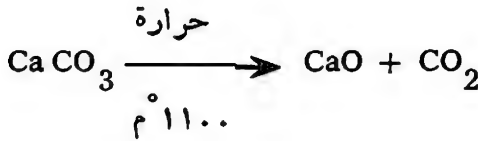
يستخدم الاسفلت في تبليط الطرق والمطارات ولا سيما المرفئة منها ، وتستخدم الانواع السائلة منه (RC,MC,SC-cut-backs) والمستحلبة (RS, MS, SS-emulsions) في تثبيت التربة .

ان استخدام الاسفلت في تثبيت التربة يمكن ان يكون له احد وظيفتين: اكساب التربة قوة وصلابة باضافة التماسك (C-cohesion) الى التربة الخشنة (granular soils) او اعطاء التربة المناعة ضد الرطوبة وامتصاص الماء (water proffig) كما هو الحال بالنسبة للتربة الناعمة (fine-grained soils) ولوجود النفط بغزارة في كل من اقطار الخليج العربي (العراق ، الكويت ، قطر ، الامارات ، السعودية ) وليبيا ، الجزائر ، ووجوده في سوريا

ومصر واكتشافه في اليمن والسودان ، لذلك فان انشاء الطرق والاهتمام بالطرق الريفية والفرعية واستخدام تثبيت التربة بالاسفلت تبدو مشجعة بالنسبة للمناطق الريفية والصحراوية .

### ٣-١-٣ النورة : (Lime)

النورة « الجير الحي — Ca O — او الجير المطفئ  $Ca(OH)_2$  معروفة في الوطن العربي منذ مدة طويلة وتصنع من حرق حجر الكلس  $(Ca CO_3)$  لتنتج الجير الحي :



او الجير المطفئ :



ان ترسبات حجر الكلس متوفرة بكثرة في الوطن العربي في شمال العراق — محافظات نينوى ، واربيل ودهوك والسليمانية ، والتأميم وديالى — وعلى امتداد الضفة الغربية من نهر الفرات في سوريا حتى قرب البصرة<sup>(٦)</sup> وفي مناطق مختلفة في سوريا ولبنان والاردن وشبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا .

### ٣-١-٤ الاسمنت :

ان المواد الاولية اللازمة لصناعة الاسمنت هي حجر الكلس ( التي تعطي  $Ca O$  ) والتربة الطينية ( التي توفر السيليكا  $SiO_2$  — والالومينا  $Al_2 O_3$  alumina مع اضافة اكاسيد اخرى بنسب قليلة  $(MgO, Na_2 O, K_2 O, Fe_2 O_3)$  ) إن حرق المواد المذكورة بدرجة حرارة تتراوح بين ١٣٠٠ — ١٥٠٠ ° م يؤدي الى إنتاج مادة الاسمنت الأساسية

« كلنكر » clinker التي عند طحنها وتنعيمها الى درجة نعومة معينة ( أنعم من منخل رقم ٢٠٠ ) وإضافة كمية قليلة من الجبس gypsum يتكون الأسمنت .

لقد انتشرت صناعة الاسمنت في الاقطار العربية لتوفر المواد الاولية للصناعة وللحاجة في الانشاءات المختلفة ، وأصبحت بعض القطار العربية مصدرة للأسمنت .

٢-٣ بعض اشكاليات تثبيت التربة :

١-٢-٣ اشكاليات التثبيت بالقار :

القار المصنع نوعان : الاسفلت asphalt والقطران tar والاسفلت المصنع بثلاثة انواع : الاسفلت السمنتي (asphalt-cement) والاسفلت السائل (cut-backs) والاسفلت المستحلب emulsions .. والانواع الثلاثة متوفرة او يمكن تصنيعها في الاقطار العربية التي تتوفر فيها مصافي النفط . ويمكن ان يستخدم القار لتثبيت التربة الخشنة بكفاءة باضافة التماسك<sup>(٦)</sup> ويصلح لتثبيت التربة الرملية في المناطق الصحراوية ولكن هذه المناطق لا تحتاج الى الطرق الريفية بسبب طبيعة المنطقة وتتركز السكان في المدن وعدم وجود مناطق ريفية كما هو الحال في أقطار الخليج العربي وجنوب ليبيا والجزائر .

اما استخدام القار لمنع الرطوبة (waterproofing) وبالتالي المحافظة على قوة التربة الطينية الناعمة كالتربة الموجودة في جنوب العراق ومناطق السهول والاهوار فان صعوبة خلط التربة مع القار يشكل مشكلة حقيقية تقف امام استخدام القار لتثبيت هذه التربة . ومع ذلك فان امكانيات استخدام مشتقات النفط لتثبيت التربة ولانشاء الطرق الريفية والفرعية في الوطن العربي تبدو مشجعة لا سيما في حالة استعمال مضافات كالكبريت او  $P_2O_5$  الى الاسفلت<sup>(٧)</sup> .

لقد استخدمت شركات النفط العاملة في الوطن العربي منذ الاربعينيات من هذا القرن المشتقات النفطية ولاسيما (SC) road oil بمعدل ٤ لتر/م<sup>٢</sup> حيث يرش النفط بمرحلتين الى التربة ويتغلغل بعق حوالي ٢٥ سم وبما يؤدي الى تثبيت التربة وتجنب تطاير الغبار<sup>(٨)</sup> ، الا ان الملاحظ أن هذه الطرق تكون زلقة في اثناء تساقط الامطار على محدودية مدتها في الوطن العربي •

### ٢-٢-٣ اشكاليات التثبيت بالنورة :-

ان التربة الرملية التي تحتاج الى نسبة قليلة من النورة ( حوالي ٤٪ من وزن التربة ) لا تستجيب للتثبيت بالنورة بدرجات الحرارة العادية وتتطلب اضافة مواد بوزلونية غير متوفرة •

اما التربة الطينية الناعمة فأنها تتحسن باضافة النورة بنسب تتراوح بين ٥-٧٪ من وزن التربة حيث ان هناك نسبة مثلى من النورة وان الزيادة في النورة اكثر من هذه النسبة لا تؤدي الى فائدة وربما تؤدي الى قصص في قوة مقاومة الانضغاط وان هذه النسبة من النورة لا تؤدي بقوة مقاومة انضغاط الخليط الى قوة معقولة لتحمل اثقال السيارات والمركبات مما يتطلب ان يكون سمك التبليط غير اقتصادي • ان خليط النورة مع التربة الطينية الناعمة يستجيب الى اضافة مواد كيميائية قلوية كهيدروكسيد الصوديوم او كاربونات الصوديوم المستوردة من الخارج بعمليات صعبة ، مما يجعل اضافة النورة محددا بتحسين نوعية التربة اللزجة plastic soils لزيادة حد اللزوجة Plastic Limit وبالتالي تقليل معامل اللزوجة (Plasticity Index) وجعل التربة اسهل للتعامل في أثناء الرص ، وكذلك تستخدم النورة لتقليل كمية الاسمنت المستخدم في تثبيت التربة اذا كانت النورة أقل كلفة من الاسمنت •



### ٣-٢-٣ اشكاليات التثبيت بالاسمنت :

تحدد المواصفات الامريكية قوة خليط التربة المثبتة بالاسمنت وبهدة انضاج لسبعة ايام بحوالي ٢٠٠٠ كيلو نيوتن/م<sup>٢</sup> KN/m<sup>2</sup> او حوالي ( ٣٠٠ باوند/انج<sup>٢</sup> ) بواسطة فحص الانضغاط غير المحصور (Unconfined Compressive Strength) واذا كانت التربة الخشنة تحتاج الى ٣-٥٪ من الاسمنت لتستجيب لهذه المواصفة فان بعض الترب الطينية الناعمة في العراق والأردن - على سبيل المثال - تحتاج ١٢-١٨٪ من الاسمنت من وزن التربة وهي نسب عالية يمكن تقليلها بنحو ٤٪ باضافة المواد الكيميائية القلوية بعبارة ٥ و ٥ - ١٥ (normality) ، كما يمكن الاستعاضة عما يقارب ٤٪ من الاسمنت بالنورة اذا كان ذلك اقتصاديا .

ان اضافة النورة او الاسمنت الى حد ٤-٥٪ يؤدي الى قوة انضغاط متقاربة ولكن الفرق ان الزيادة في الاسمنت المضاف يؤدي الى الزيادة في قوة الانضغاط بعلاقة خطية (linear relationship) في حين ان الزيادة في النورة بعد النسبة المثلى (Optimum Line Content) غير مفيد .

وتضيف شحة المياه اللازمة لرص مزيج التربة المثبتة بالاسمنت او النورة اشكالا اضافيا في المناطق الصحراوية في الوطن العربي .

### ٣-٢-٤ التثبيت الميكانيكي :

ان تثبيت التربة باضافة تربة من نوع آخر واجراء عملية الرص اسهل واقل انواع التثبيت كلفة في حالة توفر التربة المضافة في موقع قريب من الطريق تحت الانشاء فالتربة الطينية يمكن ان تحسن باضافة تربة خشنة اليها وبالعكس ، الا ان اشكالات هذا التثبيت غالبا ما يؤدي الى طريق خشن الملمس ، ويحتاج الى ان يرش بالاسفلت لزيادة التماسك واعطاء السطح المطلوب .

#### ٤ - من بعض نتائج التجارب المختبرية لتثبيت التربة العراقية والاردنية

ان تثبيت الركام والتربة الخشنة بالاسمنت او الاسفلت لا يشكل مشكلة تذكر ، وان كمية الاسمنت المطلوبة تتراوح بين ٣-٥٪ من وزن التربة ، اما كمية الاسفلت المطلوب اضافتها فتعتمد على تدرج التربة ونوعية الاسفلت المستخدم وصنفه .

ان مشكلة تثبيت التربة تكمن في الترب الطينية التي غالبا ما تكون هي التربة التي يتم التعامل معها في المناطق الزيفية .

ان التجارب المختبرية على انواع الترب المأخوذة من عمق قريب من السطح من كل من الموصل وتكريت والرطبة وبغداد وكربلاء والديوانية والبصرة في العراق ، ومن اربد وزيزه وناعور في الاردن تشير الى النتائج الاتية :

٤-١ ان ترب الموصل وبغداد والديوانية والبصرة واربد وزيزية هي ترب طينية مزيجية (silty clay) متشابهة كما يبين الجدول رقم ١ والشكل رقم ١ ، وتستجيب للتثبيت بالنورة والاسمنت .

اما تربة ناعور الخضراء التي تحتوي على عنصر ال (Marl) ونسبة عالية من املاح الكبريتات (  $SO_3 = 2\%$  ) فانها لا تستجيب للتثبيت<sup>(٩)</sup> .

٤-٢ هناك حد اعلى لنسبة النورة التي يمكن الاستفادة منها في التثبيت (Optimum Lime Content) كما يوضح الشكلان ٢-أ ، ٣-ب .

وان النسبة المثلى تتراوح بين ٣-٧٪ من وزن التربة ويمكن معرفة

النسبة المثلى للنورة المستخدمة بقياس الاس الهيدروجيني (PH)

لمزيج النورة والتربة ، فنسبة النورة التي تؤدي الى أعلى أس هايدروجيني هي النسبة المثلى<sup>(١٠)</sup> . ويمكن زيادة قوة المزيج اكثر من الحد الاعلى بإضافة

مواد كيميائية قلوية تؤدي الى زيادة الاس الهيدروجيني واذا به مزيد من الاليومينا والسيليكا من التربة وتكوين مادة التفاعل (gel) التي تؤدي الى قوة المزيج الجديد ، ومن هذه المواد فان هيدروكسيد الصوديوم و كاربونات الصوديوم بعبارة تتراوح بين ٥٥ - ١٥٥ N هي الاكثر كفاءة (١١) كما يبين الشكل رقم (٤) .

٣-٤ ان اضافة النسبة المثلى للنورة لا تؤدي الى القوة المطلوبة لتتحمل الاجهاد . ولهذا يستخدم الاسمنت الذي يؤدي الى زيادة القوة مع زيادة نسبة الاسمنت كما تبين الاشكال ( ٢-ب ، ٣-أ ، ٥ ) وان استخدام النورة يسهل عملية رص التربة الطينية وتقليل كمية الاسمنت المطلوب بنسبة ٢٪ لتربة زيرية و ٤-٥٪ بالنسبة لتربة اربد والترب المراقبة الاخرى (١٣، ١٤، ١٥) كما يبين الشكل رقم (٦) .

٤-٤ يبين الشكل رقم (٢-ب ، ج ، د) والشكل رقم (٣-أ) علاقة خطية بين نسبة الاسمنت المضاف الى التربة وقوة المزيج المقاسة بقوة فحص الانضغاط غير المحصور (Unconfined Compressive Strength) او معامل تحمل كاليفورنيا (C.B.R) (١٢، ١٣) .

٤-٥ ان نسبة الاسمنت المطلوبة للوصول الى قوة الانضغاط غير المحصور ٢٠٠٠ كيلو نيوتن/م<sup>٢</sup> KN/m<sup>2</sup> خلال سبعة ايام من الانضاج هي نحو ١٢٪ لتربة الموصل وبغداد واربد وتزداد الى ١٨٪ لتربة البصرة وناعور (١٣، ١٤، ١٥) اما تربة زيرية فيمكن ان تثبت ب ٩٪ من وزن التربة . ويمكن تقليل هذه النسب باضافة النورة او المواد الكيميائية القلوية اذا كان ذلك اقتصاديا .

٤-٦ ان التجارب على ترب الرطبة وتكريت وكربلاء تشير الى ان هذه الترب تستجيب للتثبيت بالاسمنت ويمكن تثبيتها بالاسفلت كوفها ترب

طينية - رملية<sup>(٧)</sup> ويشير الشكل رقم (٧) بان اضافة الكبريت الى الاسفلت يزيد القوة ويمكن ان يقلل كمية الاسفلت المطلوب للتثبيت . وان الترب الرملية لا تستجيب للتثبيت بالنورة بدرجات الحرارة الاعتيادية ما لم تضاف قرب بوزلوفية مساعدة .

٤-٧ ان ارتفاع درجات الحرارة يساعد على تثبيت التربة بالاسمنت والنورة ، وان درجات الحرارة في الوطن العربي عموما تؤدي الى الاستفادة من هذه الظاهرة .

### ٥ - الخلاصة :-

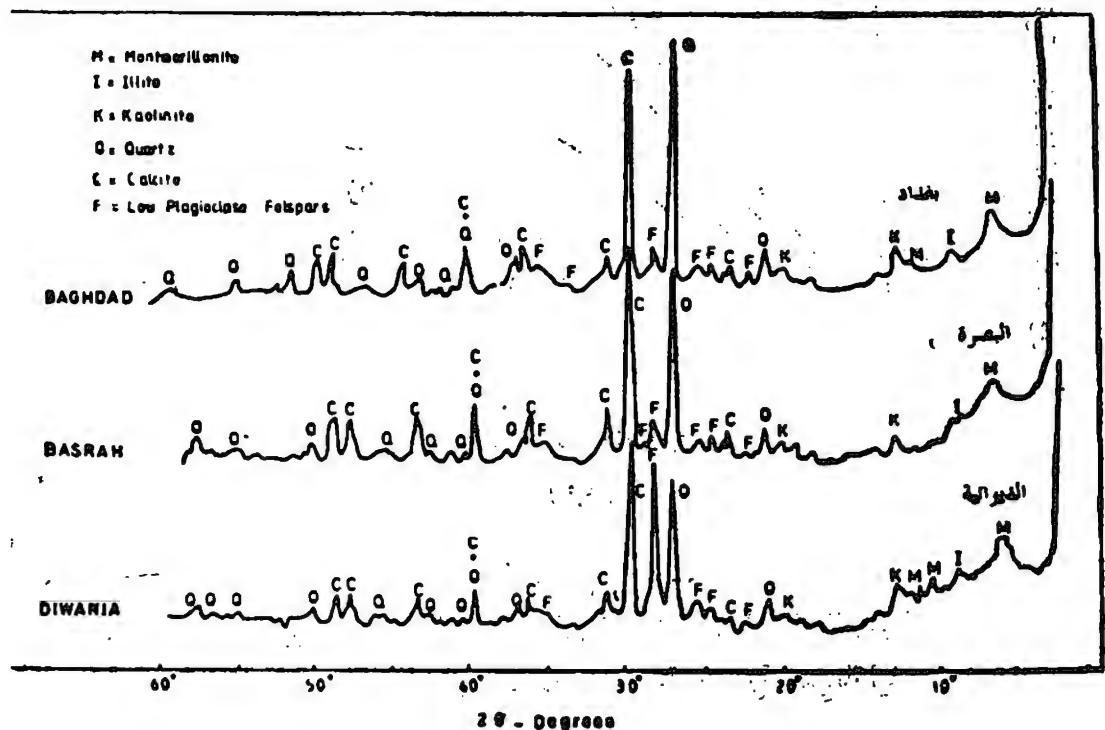
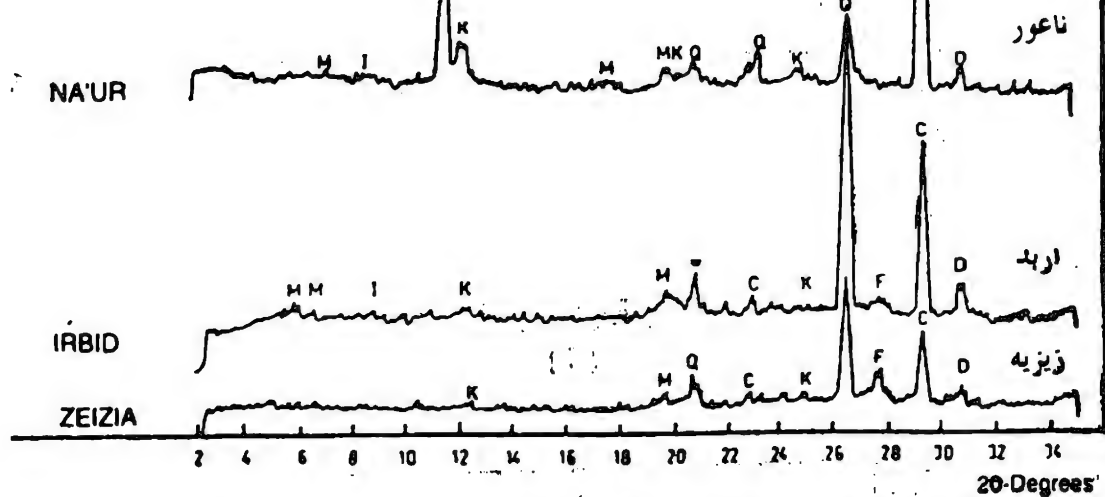
ان تثبيت التربة يمكن ان يكون وسيلة فاعلة لتعبيد الطرق قليلة التكاليف في الوطن العربي كالطرق الريفية لدعم الاقتصاد الوطني . ان ما يشجع على استخدام تكنولوجيا تثبيت التربة كون الوطن العربي يحتوي على اكبر خزين من النفط الخام في العالم وان الاسفلت الناتج العرضي من تصفية النفط يمكن ان يستخدم بكفاءة في تثبيت التربة الخشنة ( الركام والتربة الرملية ) . كما ان المواد الاولية لصناعة الاسمنت والنورة متوفرة في اغلب اقطار الوطن العربي مما يوفر امكانيات لتثبيت التربة الطينية المزيجية ، وان درجات الحرارة في الوطن العربي في اغلب اشهر السنة مناسبة جدا لتثبيت التربة بالاسمنت او النورة . ولا تزال هناك مجالات واسعة امام البحث العلمي للتعرف على مضافات اقتصادية متوفرة محليا لتقليل نسبة الاسمنت المطلوبة لتثبيت التربة الطينية الناعمة في الوطن العربي . ان القرار حول استخدام تثبيت التربة ونوع المثبت هو موازنة بين الهندسة والتكنولوجيا من ناحية ودراسة الجدوى الاقتصادية من ناحية اخرى .

الجدول رقم - ١ -  
الخواص الفيزيائية للتربة

Soil Location	Irbid	Na'ur	Zeize	Mosul	BAGHDAD	DIWANYIA	BASRAII
Specific Gravity (AASHTO T 100-86)(48)	2.70	2.75	2.75	2.71	2.70	2.70	2.70
Atterberg Limits:							
-Liquid limit(%) (AASHTO T 89-86)(48)	52	51	33	54	50	46	52
-Plastic limit (%) (AASHTO T 90-86)(48)	29	24	22	24	25	23	24
-Plasticity index (%) (AASHTO T 90-86)(48)	23	27	12	30	25	23	28
Grain Size Distribution (ASTM D422-63)(49)..							
-Sand (>0.074 mm)(%)	11	3	4	10	5	7	2
-Silt (<0.074 and >0.005 mm)(%)	34	28	51	32	40	41	36
-Clay (<0.005mm)(%)	55	69	45	58	55	52	62
Standard Proctor Compaction (AASHTO T 99-86)(48)							
-Maximum Dry Density (kg/m <sup>3</sup> )	1546	1674	1656	1630	1657	1670	1610
-Optimum Moisture Content (%)	22.7	20.5	20.4	22.5	20.5	20.0	23.0
California Bearing Ratio(%)	3.8	2.5	9.8	—	—	—	—
(AASHTO T193-81)(48) Swell(%)	4.93	2.7	0.8	—	—	—	—
AASHTO Soil Classification (M1 45-82)(48)	A-7-6 (24)	A-7-6 (29)	A-6 (13)	A-7-6 (14)	A-7-6 (16)	A-7-6	A-7-6 (18)
Unified Soil Classification (ASTM D2487-83)(49)	CH	CH	CL	CH	CL-CH	CL	CH
Soil Description ASTM(D2488-69)(49)	Dark brown silty clay	Greenish marly silty clay	Light Brown silty clay	REDDISH BROWN SILTY CLAY	GRAYEY SILTY CLAY	BROWN SILTY CLAY	GRAYEY SILTY CLAY

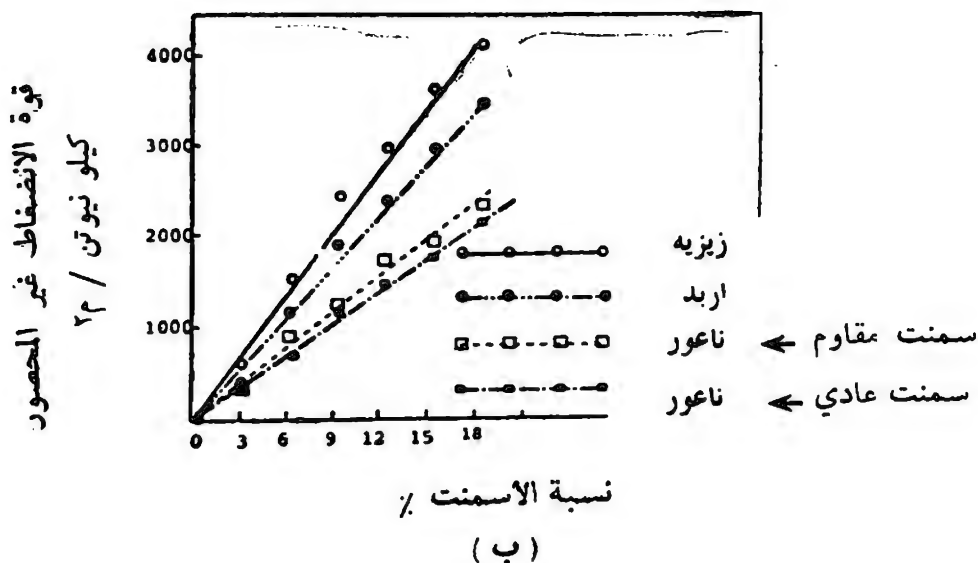
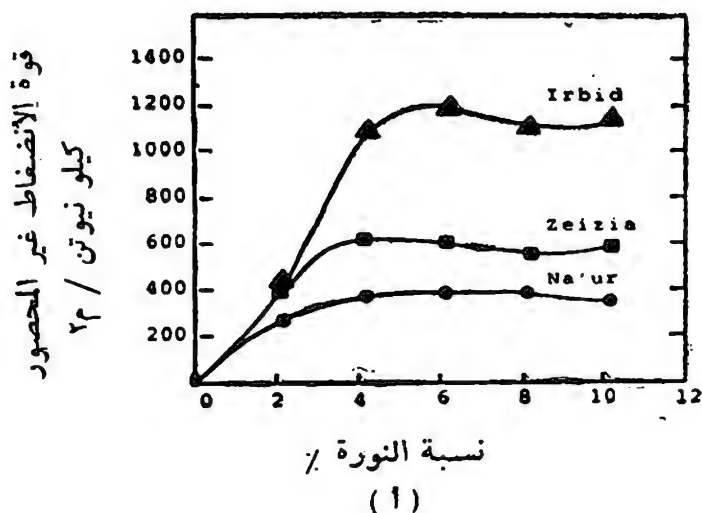


M = MONTMORILLONITE  
 I = ILLITE  
 K = KAOLINITE  
 Q = QUARTZ  
 C = CALCITE  
 F = FELDSPAR  
 D = DOLOMITE  
 G = GYPSUM



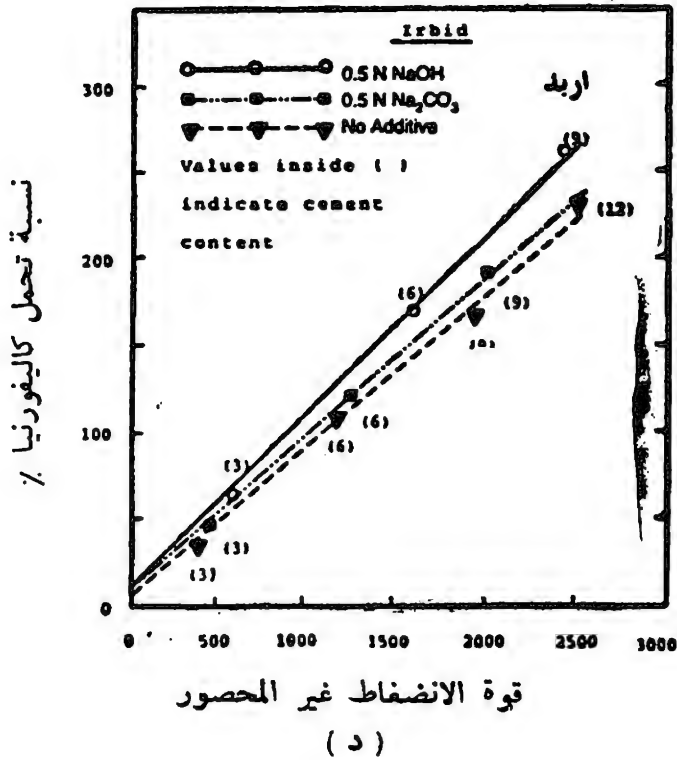
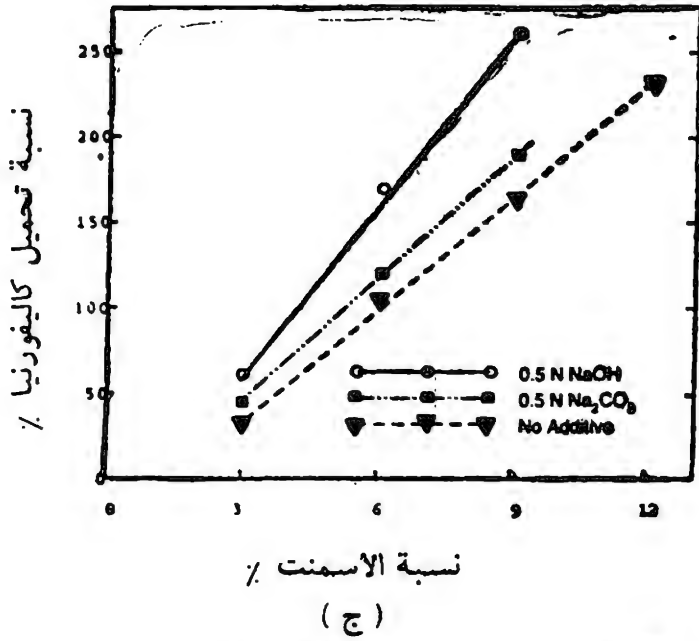
شكل رقم ١ -

تحليل التربة بواسطة اشعة - اكس

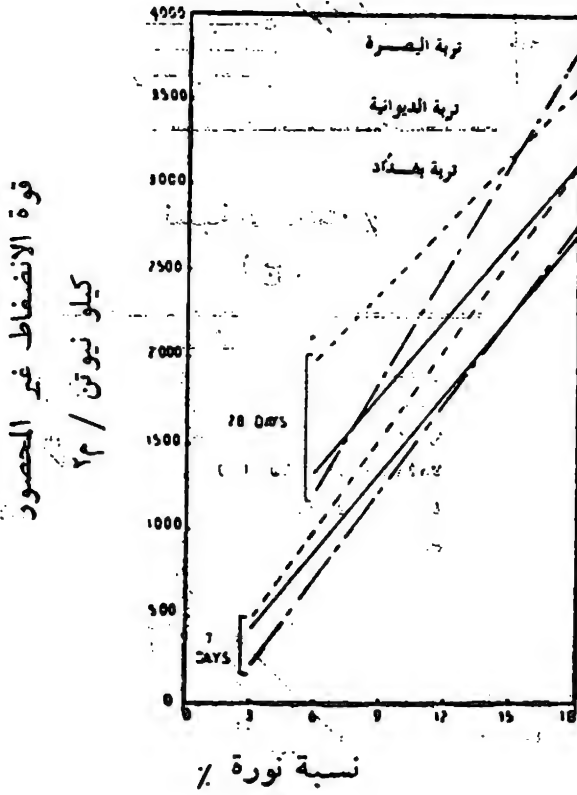


شكل رقم ٢ -

تأثير النورة والاسمنت على قوة تحمل التربة الاردنية  
المرصوة بمحتوى الماء الامثل وبلدة انضاج لسبعة ايام



تابع شكل رقم - ٢ -



(a) - 1

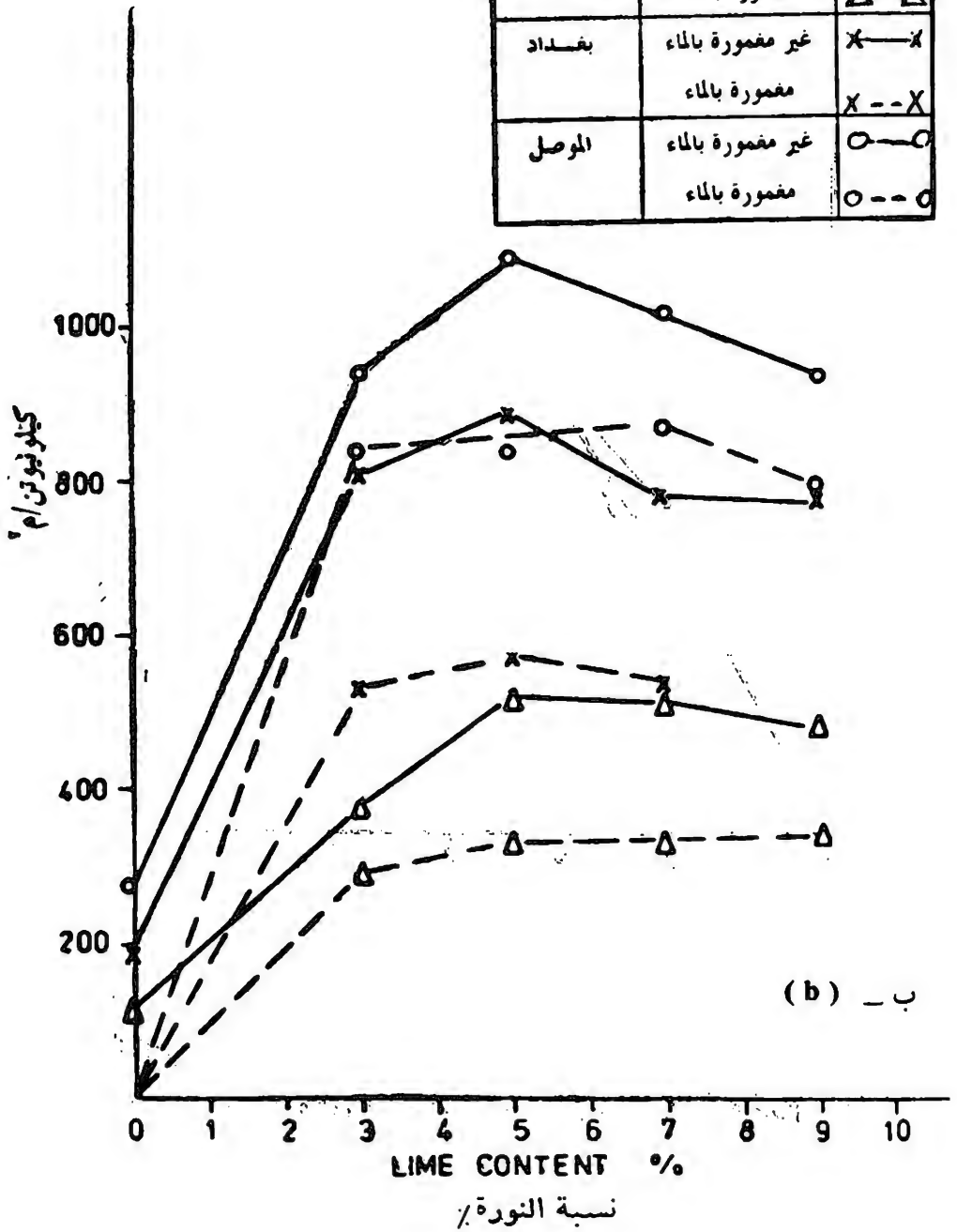
شكل رقم ٣ -

تأثير النورة والأسمت على قوة التربة العراقية المرسومة  
بمحتوى الماء الأمثل وبمدة انضاج سبعة أيام

(c)

... - ... - ...

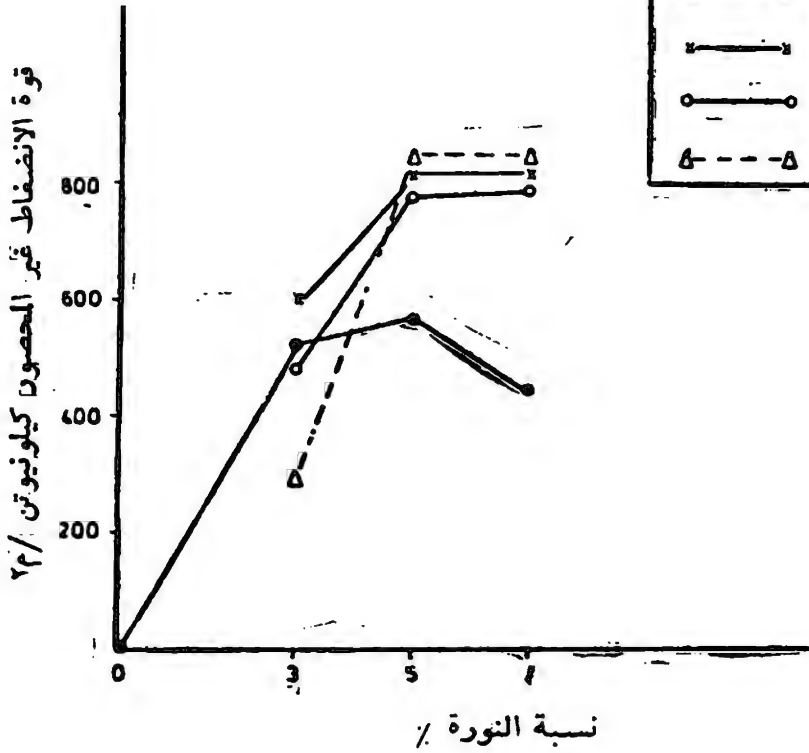
العلامة	الشرح	مصدر التربة
$\triangle \rightarrow \triangle$	غير مغمورة بالماء	البصرة
$\triangle \cdots \triangle$	مغمورة بالماء	
$\times \rightarrow \times$	غير مغمورة بالماء	بغداد
$\times \cdots \times$	مغمورة بالماء	
$\circ \rightarrow \circ$	غير مغمورة بالماء	الموصل
$\circ \cdots \circ$	مغمورة بالماء	



الشكل رقم ٣ -

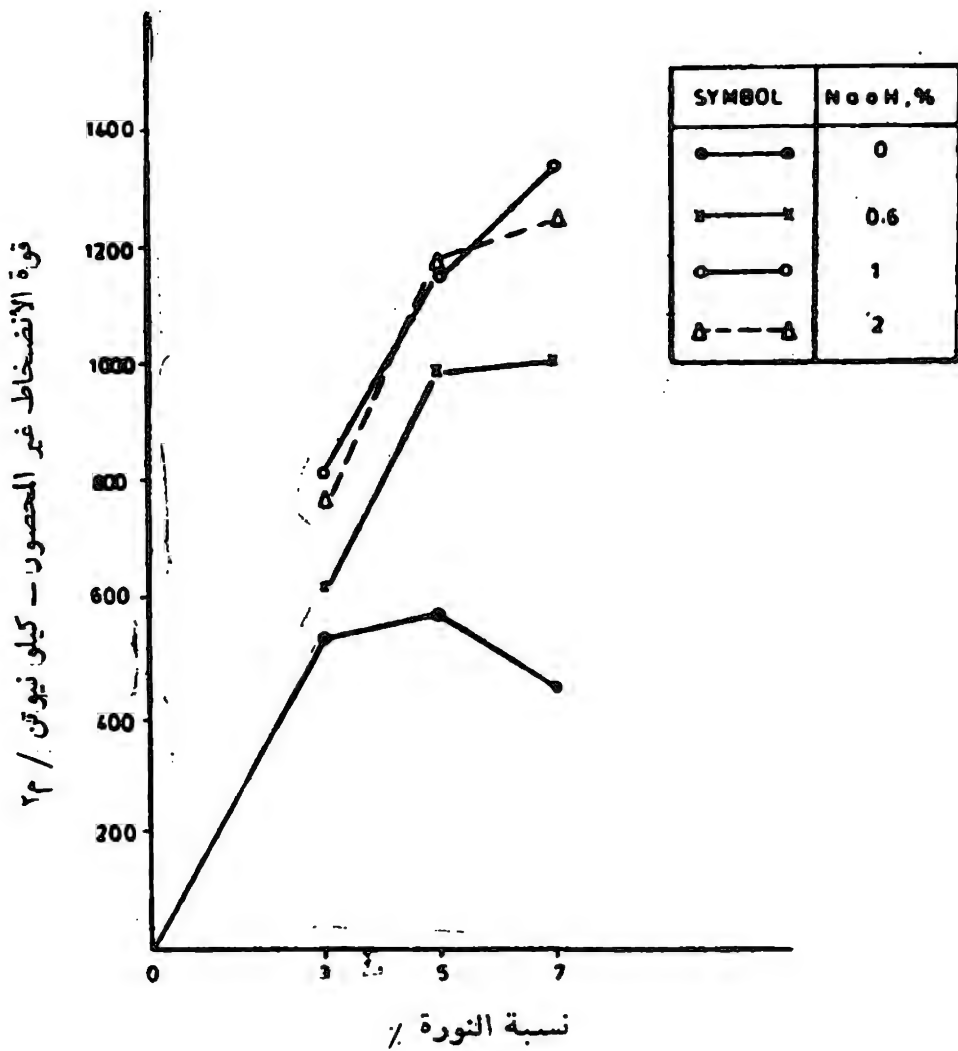


SYMBOL	Na <sub>2</sub> CO <sub>3</sub> %
—●—	0
—x—	0.5
—○—	1
—Δ—	2

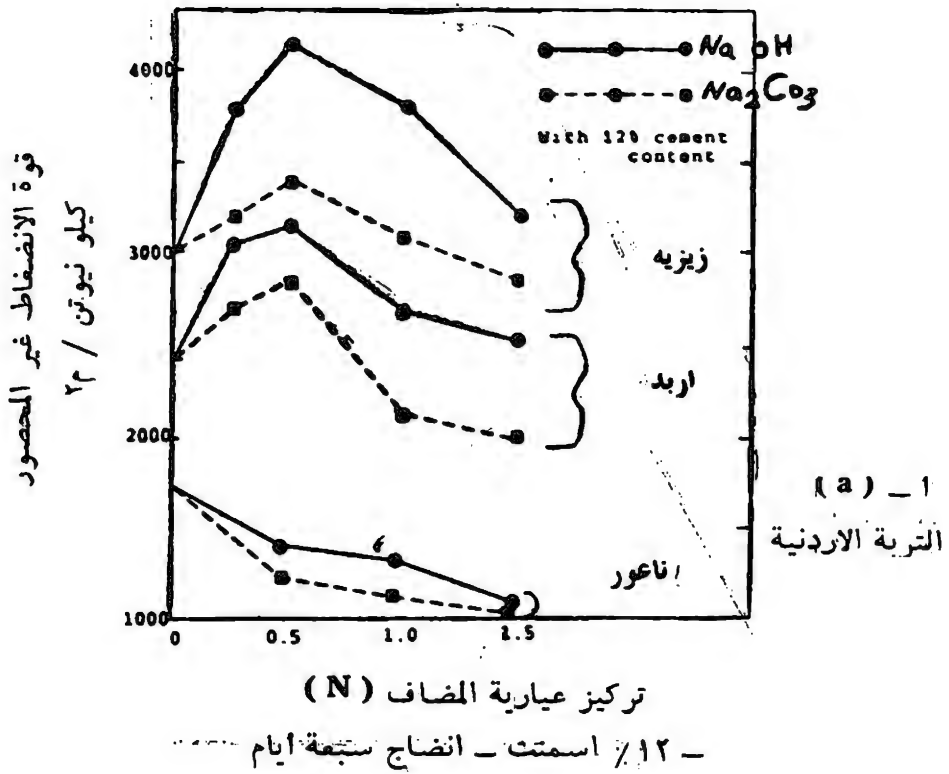


الشكل رقم ٤ -

تأثير نسبة النورة على قوة تربة بغداد مع اضافة مواد كيميائية قلوية بتراكيز مختلفة . ( الخليط مرصوص ومنضج لسبعة أيام ومغمور بالماء ليوم واحد )



تابع شكل رقم - ٤ -

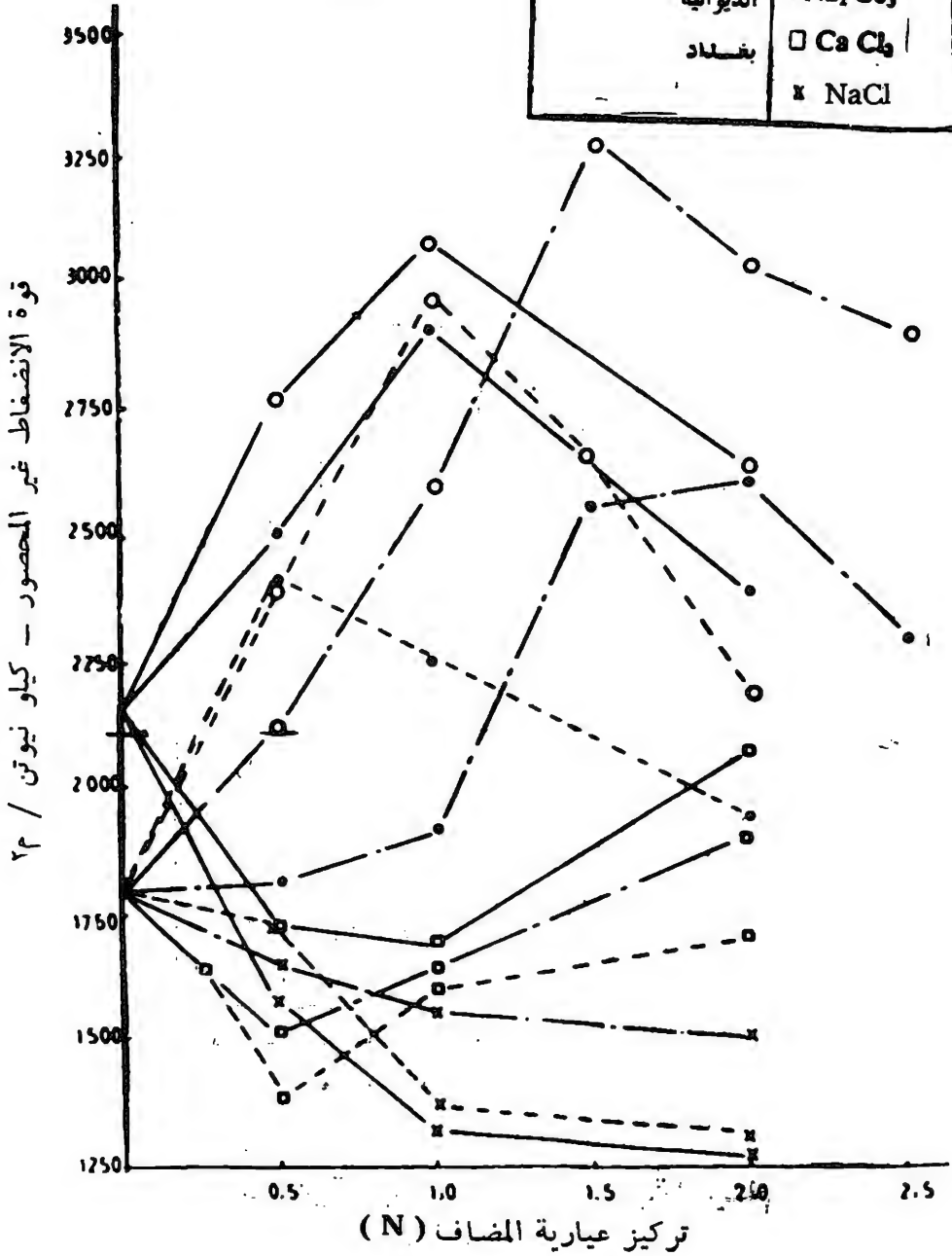


شكل رقم - ٥ -

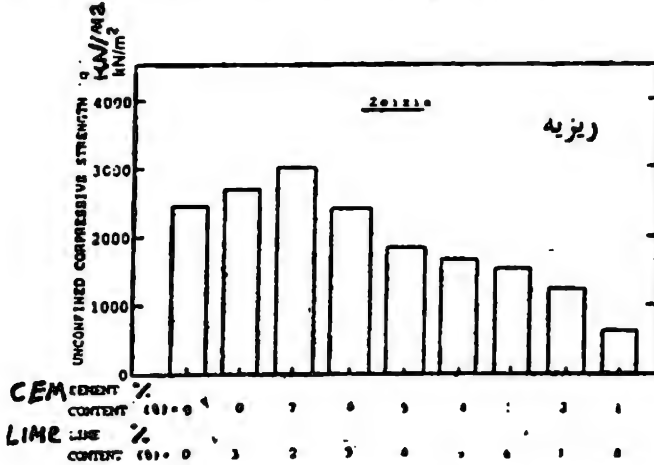
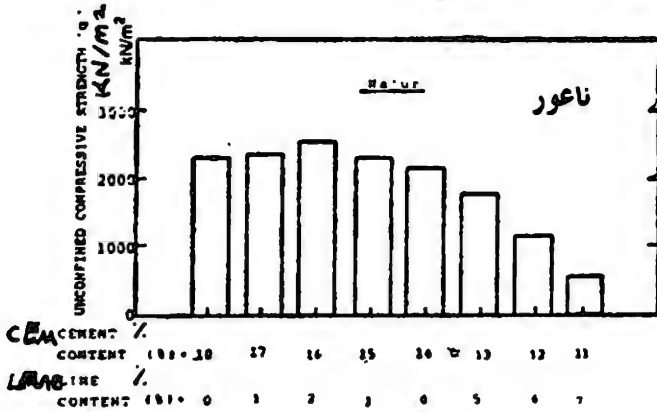
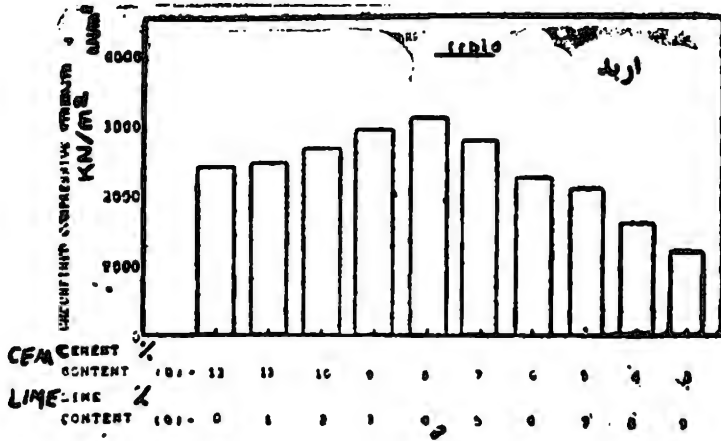
تأثير نوع وتركيز المادة الكيميائية المضافة على قوة مزيج التربة والاسمنت

(ب) - التربة العراقية  
١٢٪ أسمنت

(العلامات)	
المضاف	الرمز
° NaOH	البصرة
• Na <sub>2</sub> CO <sub>3</sub>	الديوانية
□ CaCl <sub>2</sub>	بغداد
x NaCl	

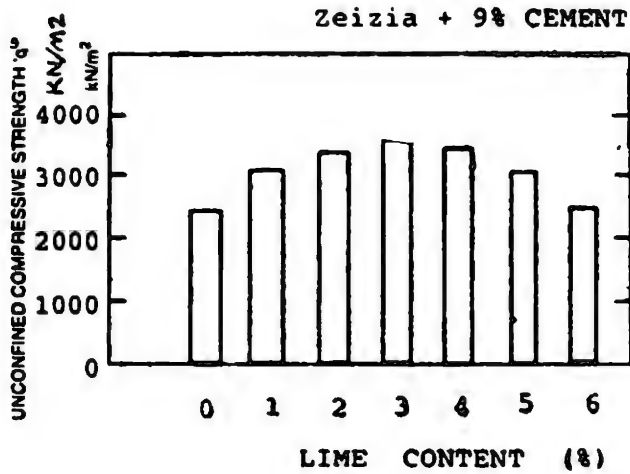
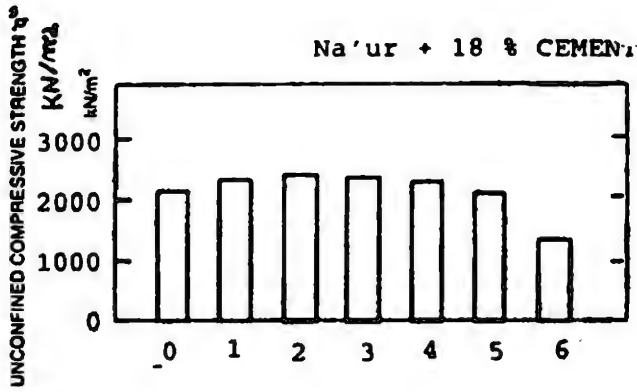
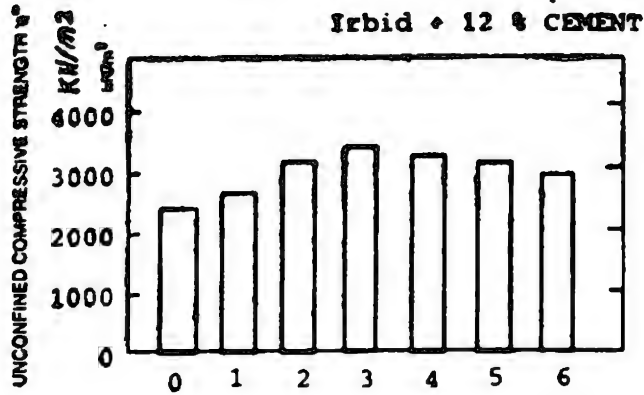


قوة الانضغاط غير المحصور - كيلو نيوتن /  $\text{cm}^2$



- ١ - تأثير اخلال نسبة من النورة محل الاسمنت
- التربة مثبتة مرصوفة ومنضجة ٧ أيام
- الشكل رقم ( ٦ )
- تأثير اضافة النورة على مزيج التربة الاردنية مع الاسمنت

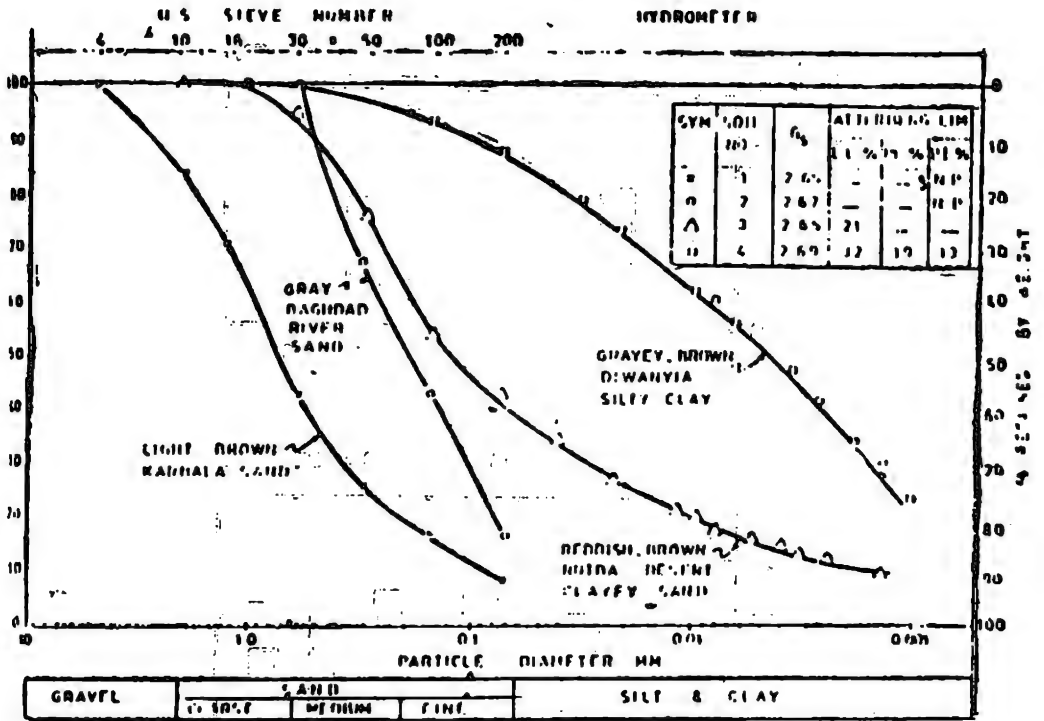




ب - تأثير اضافة النورة  
 - التربة مثبتة بالاسمنت مرصوفة ومنضجة ٧ ايام  
 تابع شكل رقم (٦)

(١)

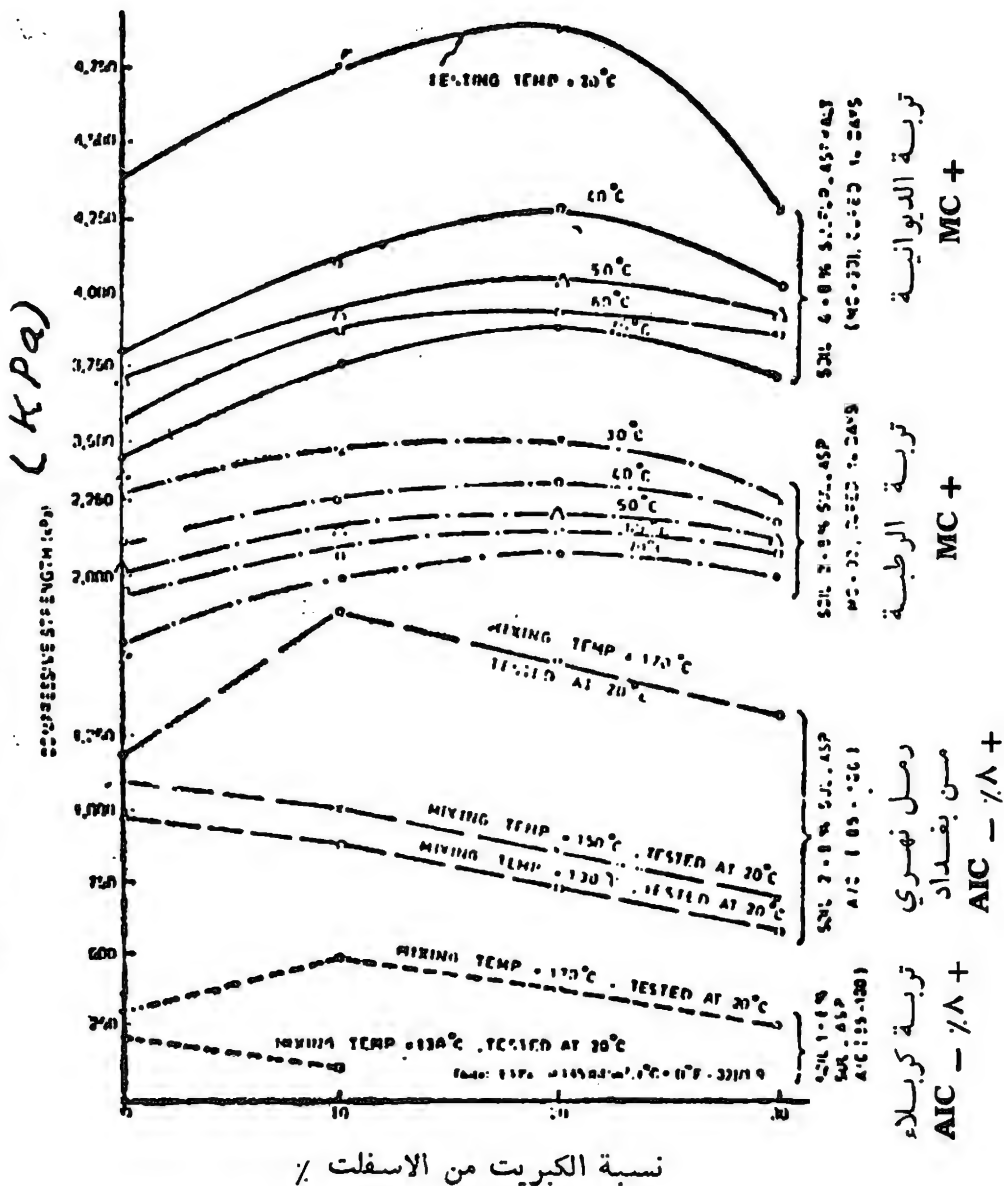
## تدرج التربة



الشكل رقم (٧)

التربة المثبتة بالقلار والكبريت

(ب) تأثير الخلط ودرجة الحرارة أثناء الفحص على القوة



تابع شكل رقم (٧)

1. K. B. Woods "Highway Engineering Handbook" Section 21 by  
A.W. Johnson, M. Herrin, D.T. Davidson, and R.L. Handy  
McGraw-Hill Book Co. Inc. 1960
2. G. A. Leonards "Foundation Engineering"  
Chapter 4 by T. William Lambe  
McGraw Hill Book Co. Inc. — 1962
3. Nagih M. El Rawi "Soil Stabilization"  
Unpublished Notes for the Graduate Course,  
College of Engineering University of Baghdad.
4. K. B. Woods "Highway Engineering Handbook"  
Section 18 by — W.H. Goetz and L.E. Wood,  
McGraw Hill Book Co. Inc. 1960
5. H. Abraham "Asphalt and Allied Substances"  
5<sup>th</sup> ed. Vol 1 and 2.  
Van Nostrand Co. Inc., Princeton 1945.
6. Nagih M. El-Rawi "Correlation of Properties of Iraqi Limestone"  
Highway Research Record, 447  
Highway Research Board, National Academy of Sciences,  
Washington D. C. 1973
7. Nagih M. El-Rawi and Hisham I. Al-Saleem  
"Sulfur — Asphalt as Soil Stabilizers"  
Transportation Research Record 733  
Transportation Research Board, National  
Academy of Sciences, Washington D.C. 1979
8. R. Ashworth "Highway Engineering" Chapter 9,  
Heinemann Educational Book Ltd. London.
9. Nagih M. El-Rawi and Mohammad M. Al-Samadi  
"Optimization of Cement-Lime-Chemical Additives to  
Stabilize Jordanian Soils"  
Journal of Islamic Academy of Sciences, Vol 8, No. 4. 1997

10. Nagih M. El-Rawi and Amal Najim El-Deen "Use of PH values to Find Lime Content Required to Stabilize Iraqi Soils"  
Al-Muhandis, Vol 15, No. 3, Serial 46, Baghdad Dec. 1971.
11. Nagih M. El-Rawi and M.A.H. Hadi  
"Strength Improvement of Iraqi Soil-Lime Mixtures Using Chemical Additives"  
Proc. 4<sup>th</sup> Scientific Conference, Scientific Research Council, Baghdad, 1986.
12. Nagih M. El-Rawi and Razik Toma "Investigation of the Effect of Some Chemical Additives on Strength of Iraqi Soil-Cement Mixtures".  
Bull. of Building Research Center- Scientific Research Council, Baghdad, May 1987.
13. Nagih M. El-Rawi and Ali Aloush "Properties of Plain and Reinforced Soil-Cement Mixtures"  
Journal of Islamic Academy of Sciences — Vol. 8, No. 3, 1997.

# من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية

## قصة الطوفان

د. عامر سليمان  
عضو المجمع العلمي  
قسم الآثار - كلية الاداب  
جامعة الموصل

عنوان غريب حقا ، يلفت الانتباه ، ويقدم العديد من التساؤلات ، ولا يتطابق ظاهريا والقواعد العلمية لدراسة التاريخ التي تقول ان اللاحق ياخذ من السابق وليس العكس على النحو الذي يشير اليه العنوان . غير ان استخدام هذا العنوان هنا جاء للتذكير بان المنهج الذي يجب ان يتبع عند كتابة قصص الانبياء والرسل ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم واشير اليهم في النصوص المسمارية والنصوص القديمة الاخرى ، كالنصوص التوراتية ، يجب ان يعتمد اساسا على ما ورد في القرآن الكريم نقطة انطلاق للتعرف على ما طرأ على تلك القصص ، على نحو ما جاء في النصوص المسمارية والتوراتية من تغيير وما حذف منها او زيد عليها عبر العصور الطويلة التي مرت عليها حتى وجدت طريقها الى التدوين ، فابتعدت تدريجيا عن اصولها التاريخية وجاءت وقد اكتنفها الخيال والاسطورة وتمحورت حول معتقدات القوم الدينية وقت تدوينها وكادت صلتها تنقطع عن اصولها الاولى ، في حين حفظ لنا القرآن الكريم بايجاز شديد الصورة الحقيقية لتلك القصص .

لقد اشار القرآن الكريم الى العديد من القصص والاخبار التي وقعت في عصور ما قبل الاسلام ، بل ان قسما منها حدث في عصور سحيقة في القدم

سبقت العصور التاريخية نفسها ، بيد ان القرآن ليس كتابا تاريخيا هدفه سرد القصص والاحداث وبيان تفاصيلها بل ان ما جاء فيه من اشارات موجزة عنها انما جاء للعبرة والموعظة فكان ان اشير الى القصة او الحادثة الواحدة احيانا في اكثر من مكان واكثر من مناسبة وباساليب مختلفة تنسجم وسياق الايات القرآنية والحكمة من وراء الاشارة الى القصة او الحادثة . فقد اشير الى نوح عليه السلام مثلاً والى حادثة الطوفان في اكثر من اربعين موضعاً ، كما اشير الى كل من ادم وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء والرسل ، عليهم السلام ، في العديد من المواضع .

ورغبة من عدد من الكتاب المسلمين والمفسرين في جمع ما ورد في القرآن الكريم من قصص واخبار تاريخية وتوحيدها وبيان تفاصيلها ، ووضعها بأسلوب تاريخي متسلسل ، على غرار ما جاء في كتب التاريخ ، كان لابد لهم من جمع التفاصيل من مصادر اخرى ، وكان في مقدمة المصادر التي اعتمدوها كتاب العهد القديم<sup>(١)</sup> ، الذي يسمى جوازا ، ومن باب اطلاق اسم الجزء على الكل ، التوراة<sup>(٢)</sup> . ومن المعروف ان التوراة الاصلية نزلت على موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على النحو

(١) وهو كتاب اليهود المقدس ، ويتألف من ٣٩ سفرًا حسب الترجمة البروتستانتية و ٤٦ سفرًا حسب الترجمة الكاثوليكية . وتقسّم الاسفار فيه عادة على ثلاثة اقسام رئيسية يؤلف القسم الاول منها ، وهي الاسفار الخمسة الاولى ، ما يظن اليهود انه بقايا التوراة الاصلية ، لذا تسمى هذه الاسفار بكتب موسى الخمسة او التوراة ( ينظر سوسة ، احمد ، مفصل العرب واليهود في التاريخ ، بغداد ، ط ٥ ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٣ ، طنطاوي ، محمد سيد ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ، البصرة ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ٨٣ - ٩٣ .

(٢) وتعني كلمة توراة بالعبرية ( تعاليم ) او ( قانون ) ينظر

Brown, Driver and Briggs (BDB), A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Oxford, 1959, p. 435.

الذي يراه اكثر الباحثين<sup>(٣)</sup> ، الا انه من الثابت ايضا ان يد التحريف والتغيير والحذف والزيادة ، قد امتدت اليها عبر العصور التي تفصل بين تأريخ نزولها وتأريخ جمعها وتدوينها مع بقية اسفار العهد القديم التي وضعها احبار اليهود عن تأريخهم وعن تأريخ ملوكهم وأنبيائهم وعن علاقاتهم مع الاقوام الاخرى وذلك في حدود القرن السادس قبل الميلاد وما بعده<sup>(٤)</sup> ، لذا جاءت اسفار العهد القديم وهي تعكس اخلاق احبار اليهود وآمالهم واحلامهم وتظهر اليهود بانهم شعب الله المختار والمفضل على غيره ، كما جاءت مليئة بالاطغاء والتناقضات والتحريف والتزوير وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم في اكثر من موضع<sup>(٥)</sup> وما اقتضت اليه الدراسات الحديثة . لذلك ، لا يمكن الركون الى ما جاء في اسفار العهد القديم على النحو الذي دونه احبار اليهود بل يجب على الكاتب او المفسر الذي يروم الافادة مما ورد في قسم من الاسفار من تفاصيل واحداث ورد شيء عنها في القرآن الكريم ان يدقق فيها ويمحص ويكون حذرا اشد الحذر عند الاخذ من تلك الاسفار او الاقتباس منها متنبها الى مواضع التحريف والحذف والزيادة ، رافضا كل ما يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم وبما انه لم يكن لدى الكتاب والمفسرين الاوائل نصوص اخرى اقدم عهدا ، من حيث تأريخ التدوين ، من النصوص التوراتية ، للتثبت بوساطتها من صحة ما ورد فيها من تفاصيل ومعرفة المزيد فيها ، فقد اعتمدوا على تلك النصوص وقبلوها على علاتها وان اشار عدد منهم الى عدم منطقية طائفة مما ورد في

(٣) سوسة : المصدر السابق ، ص ٥٥٥ ، طنطاوي ، المصور السابق ، ص ٢٧ ، باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ط ٢ ، ٩٥٥ ، ج ٢ .

(٤) يرى الباحثون ان معظم اسفار العهد القديم كان قد دونها لاول مرة احبار اليهود في اثناء وجودهم اسرى في بلاد بابل في القرن السادس قبل الميلاد . سوسة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ ، باقر ، المصدر السابق ، ط ٣ ، ص ١١ .

(٥) سورة البقرة / ٧٥ ، النساء / ٤٥ ، المائدة / ١١٤ ، ٤٤ ، الانعام / ٩١ .



اسفار العهد القديم من اخبار وعدم معقوليتها<sup>(٦)</sup> . ومنذ اواسط القرن الماضي ، زيد مصدر جديد ومهم الى مصادر معلوماتنا عن التاريخ القديم بعامه ، وما وقع فيه من احداث وساد من احكام ، تمثل بنتائج التنقيبات الاثرية التي اجريت في المدن والمواقع القديمة . وقد اسفرت تلك التنقيبات عن اكتشاف اعداد كبيرة من النصوص المسمارية المدونة باللغة السومرية او اللغة الاكدية ، او بكليتهما معا ، تم فك رموزها وقراءة ما ضمته من معلومات تاريخية ودينية وغيرها . وقد ترجمت تلك النصوص الى معظم اللغات الحديثة . وهكذا لم يعد كتاب العهد القديم يمثل اقدم المذونات المتيسرة ، كما لم يعد المصدر الاول الذي يعول عليه في دراسة تأريخ الانبياء والرسل الاوائل على الرغم من قدسيته لدى معظم الباحثين واحتوائه على كثير من التفاصيل التي اثبتت دراسة النصوص المسمارية بانها مقتبسة منها ، فتاريخ تدوين عدد من النصوص المسمارية يرقى الى اواخر الالف الثالث ، في حين دون معظمها في الالف الثاني والاول قبل الميلاد وبذلك فهي تسبق تاريخ تدوين اسفار العهد القديم بمدة طويلة . وقد تبين بان عددا من النصوص المسمارية ضم قصصا واخبارا اشير الى قسم منها في القرآن الكريم فضلا عن انها تتشابه احيانا ، وتتطابق احيانا اخرى ، مع ما ورد في اسفار العهد القديم الا انها سبقتها من حيث تأريخ التدوين . ومن جملة تلك القصص والاخبار قصة الطوفان وجنة عدن وقصة خلق الكون وخلق الانسان والواح القدر وعدد من الاحكام والقواعد القانونية وغيرها . ولقد اثار هذا التشابه الذي وجد بين ما ورد في اسفار العهد القديم وما تضمنته النصوص المسمارية ضجة كبرى لا في الاوساط العلمية فحسب بل في الاوساط الدينية وبخاصة في اوربا ، واهتز لذلك مركز كتاب العهد القديم ، وهرع الكتاب والباحثون ، وكثير منهم من رجال الدين ، للبحث عن سر هذا التشابه وتفسيره بما ينسجم ونظرتهم الى كتاب

(٦) ينظر مثلا : ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل ( ٧٠١-٧٠٤ هـ ) ، قصص الانبياء ، بغداد ، ص ٨٤-٨٥ .

العهد القديم الذي يمثل القسم الاول من كتابهم المقدس ، ويحفظ مركزه الديني والتاريخي ، وتوالت البحوث ونشرت الدراسات<sup>(٧)</sup> . واذا اجملنا ما توصل اليه الباحثون الاجانب في تفسير هذا التشابه ، يمكن ان نميز بين مذهبين رئيسين ، يرى المذهب الاول « ان وجود اوجه متشابهة بين النصوص السومرية - البابلية والتوراة انما هو دليل على عمق الروابط بين النتاج الحضاري الرافديني . فاذا كان الاباء الاول جاؤوا فعلا من وادي الرافدين ، كما تؤكد ذلك التوراة مرارا ، فلا تتوقع منهم الا ان يكونوا على علم بنتاج موطنهم الاصلي . ولذلك فان وجود « مادة مستوردة » في سفر التكوين انما هو ، في رأيهم ، « برهان على أصالة اشتقاقها وليس على كونها سرقة نكراء »<sup>(٨)</sup> . وبعبارة اخرى ، ان التشابه انما يؤكد صحة وأصالة ما ورد في التوراة من اخبار وقصص ذكرتها النصوص المسمارية الاقدم عهدا من حيث تاريخ التدوين . اما المذهب الثاني ، فيبدي تحفظا على صحة الرواية التوراتية بان الموطن الاصلي لابراهيم الخليل كان في اور ويتساءل عما اذا كانت المدينة المذكورة في التوراة تدل فعلا على اور في جنوبي العراق ام انها تدل على مدينة اخرى لها الاسم نفسه لكنها تقع في مكان آخر بعيدا الى الشمال ، ربما مدينة اورفا الواقعة في اعالي نهر البليخ الى الشمال من حران ( داخل الاراضي التركية الان )<sup>(٩)</sup> ، يرى اصحاب هذا المذهب ان النتاج الحضاري العراقي القديم الذي نرى انعكاسه في التوراة قد اقتتل الى التوراة « من خلال الصلات التجارية والسياسية والحملات العسكرية ، واهم من

(٧) انظر مثلا Cook, S.A The Laws of Moses and the Code of Hammurabi, London, 1903; Davies, W.W., The Codes of Hammurabi and Moses, 1905 Johnson, C.H., The Relation between the Laws of Babylonia and the Laws of the Hebrew People ... etc.

(٨) علي ، فاضل عبدالواحد ، من الواح سومر الى التوراة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ٢٢٩-٢٣٠ .

(٩) المصدر نفسه ، ص. ٢٤٠-٢٤١ .

ذلك كله من خلال وجود العبرانيين انفسهم في بابل اثناء الاسر البابلي «(١٠)، وبعبارة اخرى ، ان التشابه الموجود بين ما ورد في النصوص المسمارية وما ذكرته اسفار العهد القديم انما هو اقتباس اللاحث من الاقدم وبخاصة وان اسفار العهد القديم كانت قد دونت اول مرة في اثناء وجود اليهود اسرى في بلاد بابل في القرن السادس قبل الميلاد بعد ان كان مدونو التوراة من احبار اليهود قد تعرفوا وبشكل مباشر على عادات البابليين وتقاليدهم وطقوسهم وقصصهم واخبارهم ذات الصلاقة ، لذا فان « الديانة اليهودية كما هي معروفة قد ولدت اثناء الاسر في بلاد بابل وان الاسفار الاولى التي تبدأ بها التوراة قد اخذت شكلها الذي جاءتنا به من خلال وجود اليهود في الاسر » (١١) .

ومنذ اواسط القرن الحالي بدأ عدد من المختصين بالكتابات المسمارية ولغاتها القديمة وبالتاريخ القديم بعامة من العرب ، وجلّهم من العراقيين ، يكتبون عن مضامين النصوص المسمارية ويشيرون الى التشابه الموجود بين ما وجد فيها من قصص واخبار مع ما ذكرته اسفار العهد القديم (١٢) . وانطلاقاً من شعورهم القومي والوطني وردا على دس اليهود المستمر على العرب وعلى تأريخهم وحققهم المتأصل وكرههم لجميع الاقوام من غير اليهود ، ولا سيما البابليين والاشوريين ، لاسباب تأريخية معروفة (١٣) ، فقد ذهبوا في تفسيرهم لوجه الشبه المذهب الثاني وعدّ كل ما ورد في اسفار العهد القديم من قصص واخبار واحكام مشابهة لما ورد في النصوص المسمارية

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

(١٢) انظر مثلاً ، باقر ، ملحمة كلكامش ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ط ٤ ، ص ٤٦ وص ٢٤٧ وما بعدها . علي ، فاضل عبدالواحد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ وما بعدها . سبوسة ، احمد ، المصدر السابق ص ٤٣٣ وما بعدها .

(١٣) من المعروف ان الاشوريين قضوا على مملكة اسرائيل في حدود عام ٧٢١ ق.م. في حين تمكن البابليون من القضاء على مملكة يهوذا في عهد نبوخذنصر الثاني، انظر باقر ، المصدر السابق ، ص ٥١٢ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

انما هي نتيجة طبيعية « لتأثر العبرانيين بالتأج الحضاري لبلاد وادي الرافدين وانعكاس ذلك بشكل واضح في التوراة »<sup>(١٤)</sup> وضربوا لذلك الامثلة الكثيرة مثل قصة خلق الكون وخلق الانسان وجنة عدن وقصة الطوفان وقصة ولادة موسى وغيرها<sup>(١٥)</sup> . وهناك من اشار الى اوجه الشبه فقط من دون تعليق او تفسير علمي او تأريخي او ديني . الا ان الذي يلفت الانتباه في جميع البحوث والدراسات الاجنبية والعربية ويعد نقصا علميا فيها انها لم تشر من قريب او بعيد الى حقيقة معروفة لدى الجميع وهي انه وردت في القرآن الكريم قصص واخبار واشارات مشابهة لقسم مما ورد في اسفار العهد القديم ومن ثم فهي مشابهة من حيث الجوهر والاساس لما ورد في النصوص المسماة ايضا ، ومن هذه القصص قصة الخليفة وقصة الطوفان وقصة ايوب ومولد موسى وغيرها ، ومن المبادئ والاحكام مبدأ القصص ومبدأ الدية واحكام الزواج والبيع وغيرها وذلك على الرغم من معرفة الجميع ان ما ورد في القرآن الكريم يمثل من دون ريب الصيغة الحقيقية المنزلة التي لم تمتد اليها يد التحريف والتغيير او تزيد عليها او تنقص منها . ان عدم الاشارة في بحوث الاجانب بعامة الى ما ذكره القرآن الكريم هو امر متوقع يبد انه غير مبرر علمياً ، فقد يفسر انه نتيجة لعدم اعتقاد الاجانب من غير المسلمين بان القرآن هو كتاب منزل ، ومن ثم فهم لا يؤمنون بصحة ما ورد فيه من معلومات ودقتها ، وهذا تفسير مرفوض علمياً ، فلاحقهم ، مثلاً ، ولا نحن نؤمن او نعترف بصحة ما ورد في النصوص المسماة من معتقدات دينية تقوم على اساس الشرك والتشبيه الا اننا مع ذلك ، نقوم بدراستها وتحليلها وتفحص ما ورد فيها ونوازنها بغيرها بهدف النفوذ من خلالها الى واقع الحياة الدينية عند العراقيين القدماء في حقبة معينة ، وما هذا البحث الا جزء من تلك الدراسات ، وان اغضالنا ما ذكرته تلك النصوص من مبادئ لا تؤمن بها يعد نقصا كبيرا يؤثر علينا في مثل هذه الحالة . لذلك

(١٤) علي ، المصدر السابق ، ٢٣٩-٢٤١ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥-٢٩٠ .

كان اغفال ما ذكره القرآن الكريم بحجة عدم الايمان به مرفوض اساسا .  
وقد يفسر هذا الاغفال بعدم اطلاع الباحثين الاجانب على ما ورد في القرآن  
الكريم من قصص واخبار ذات علاقة ، وان ذلك هو الآخر يعد قصصا كبيرا  
في امكافاتهم العلمية لاستيعاب ما ورد عن تلك القصص والاخبار ولا سيما  
انه قد تمت ترجمة معاني القرآن الى معظم اللغات الاجنبية وغدت في متناول  
ايدي الباحثين والمتتبعين . اما اذا كان الاغفال عن قصة ورغبة في التقليل  
من اهمية ما ورد في القرآن الكريم والظن انه اقتباس مباشر من كتاب العهد  
القديم ، الاقدم من حيث تأريخ التدوين ، فان ذلك يعد تحيزا واضحا لا  
يقبل من باحث علمي موضوعي . لذا تبقى جميع بحوث الاجانب التي  
تناولت الموضوع منذ مطلع القرن الحالي والى الان بحوثا ناقصة علميا على  
جميع المقاييس العلمية التي وضعها الاوربيون انفسهم لتقويم البحوث العلمية  
والتي غدت الاساس الذي نسير عليه ونفتدي به وفضمته جميع تعليماتنا  
ودراساتنا وكتبنا ذات العلاقة باسلوب البحث العلمي ومنهجه .

اما بالنسبة للباحثين العرب والمسلمين عامة المطلعين بالتاكيد على ما ورد  
في القرآن الكريم والمؤمنين بدقته وصحته ، فان اغفالهم ذكر ما ورد في  
القرآن الكريم في بحوثهم العلمية ذات العلاقة لا يمكن ان يفسر ، كما  
تظن ، الا انه خروج عن القواعد والاسس العلمية وتقليد غير مدروس لما ذهب  
اليه الاجانب في دراسة تأريخنا القديم والاسلامي المتميز بالحقد والكرهية  
تجاه العرب والمسلمين بعامة .

ومع الاعتراف بصحة القول بان الاحداث يأخذ من الأقدم ويقتبس منه  
ويتأثر به اذا ما توافرت له طرق الاتصال والاتقال ، الا ان ذلك لا يعنى  
ان جميع اوجه الشبه الموجودة بين ثقافتين هي نتيجة طبيعية لاقتباس الاحداث  
من الاقدم وان توافرت شروط الاقتباس إلا يصح القول عندئذ بان اوجه  
الشبه الكبيرة الموجودة بين اللغة الاكدية ، لغة العراقيين القدماء ، مثلا وبين

اللغة العربية والارامية هو نتيجة طبيعية لاقتباس كل من اللغتين العربية والارامية من اللغة الاكدية ، في حين اثبتت الدراسات التاريخية واللغوية بان اوجه الشبه هذه انما ناتجة عن اشتقاق اللغات الثلاث من اصل واحد هو ما يسمى باللغة الجزرية الام ، وان الاختلافات الموجودة بينها ناتجة عن تأثير كل من اللغات الثلاث بالبيئة التي عاشت فيها والظروف التي احاطت بها واللغات التي احتكت بها عبر القرون المتتالية<sup>(١٦)</sup> . وينطبق الشيء نفسه على موضوع البحث . فهناك اوجه شبه ما من حيث الجوهر بين ما ورد في النصوص المسمارية من قصص واخبار واحكام مع ما يماثلها مما ورد في كتاب التوراة من جهة مع ما اشار اليه القرآن الكريم من جهة اخرى . وان ذلك لا يعني ان الاحداث اقتبس من الاقدم بل انه يعكس حقيقة واضحة وهي ان المصادر الثلاثة تتحدث عن القصص والاحداث نفسها ، كقصة الطوفان مثلا، الا ان الظروف التي احاطت بالروايات الشفوية حتى وجدت طريقها للتدوين من قبل الكتبة السومريين والبابليين والاحبار واليهود اثرت في تلك القصص والاعبار وغيرت من بعض تفاصيلها وازافت اليها تفاصيل جديدة في حين عكس لنا القرآن الكريم حقيقة ما وقع او حدث فعلا من دون تغيير او اضافة ، وان معظم القصص والاعبار ترتبط بالانبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى تباعا الى بني البشر لهدايتهم وازادهم كسلا بلسان قومه ( ابراهيم/٤ ) ومن الرسل من ذكر بالاسم كنوح وابراهيم عليهما السلام ومنهم من لم يذكر ( النساء/١٦٣ ) وانما اذا ما تفحصنا النصوص المسمارية ، ولا سيما القصص والاساطير الدينية والملاحم والقوانين وعدد من النصوص الاخرى ذات العلاقة، وجدنا فيها صدى ما ذكر في القرآن الكريم عن عدد من اولئك الانبياء والرسل وعن الاحكام والمبادئ التي جاؤوا بها ، نقول صدى لان ما ذكر في النصوص المسمارية جاء مغلفا بلباس من الشرك والتشبيه وملئ بالزيادات التي تتم على معتقدات القوم وقت تدوين تلك

(١٦) عن تفصيل ذلك ينظر : سليمان ، عامر ، اللغة الاكدية ، موصل ١٩٩١ .

النصوص الى درجة ان من يقرأ تلك النصوص يبدو له وكأنها لا تمت بصلة الى ما ورد ذكره عنها في القرآن الكريم ، وهو امر طبيعي طالما ان دعوات الرسل والانبياء السابقين وتعاليمهم ، مثل فوح عليه السلام ، لم تدون وقت مجيء اولئك الرسل لتحفظ للاجيال التالية اما لان الكتابة لم تكن معروفة اصلا او لانه لم يكن يسمح بتدوين مثل هذه الدعوات المعارضة والمتقاطعة مع معتقدات القوم ، مثل دعوة ابراهيم عليه السلام الذين كان جزاؤه الحرق ، كما نص على ذلك القرآن الكريم ، لانه جاء بدعوة متقاطعة ومعتقدات القوم السائدة اذذاك .

اما بالنسبة لما جاء في العهد القديم من قصص واخبار ذات علاقة ، فانها قد جمعت بين جوهر ما ورد ذكره في القرآن الكريم وبين التفاصيل الكثيرة التي اكتنفت ذات القصص والاخبار في النصوص المسمارية حتى ظن بعضهم ان ما ذكرته اسفار العهد القديم من قصص مشابهة من حيث التفاصيل كقصة الطوفان مثلا ، لما ورد في النصوص المسمارية انما هو اقتباس مباشر لقصص واساطير سومرية وبابلية<sup>(١٧)</sup> ، كما سبق والمحتا ، في حين ان هذا التشابه ناتج عن اقتباس احبار اليهود للتفاصيل الكثيرة التي اكتنفت القصص والاخبار السومرية والبابلية المشابهة لما جاءت به التوراة اصلا عن ذات القصص والاخبار وذلك في اثناء وجودهم اسرى في بلاد بابل وقت تدوين اسفار العهد القديم في القرن السادس قبل الميلاد وتعرفهم على ما ورد في النصوص المسمارية .

وفي الصفحات الالية محاولة لتحليل عناصر قصة الطوفان الرئيسة في المصادر الثلاثة القرآنية والتوراتية والمسمارية لبيان اوجه الشبه والخلاف بينها واسباب ذلك كمثّل على ما ذكر اعلاه .

(١٧) ينظر مثلا : علي ، فاضل عبدالواحد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

## قصة الطوفان :

تعد قصة الطوفان اكثر القصص التاريخية المعروفة انتشارا (١٨) ، واقدمها من حيث تأريخ التدوين ، وهناك اوجه شبه بين خطوط القصة العامة وجوهرها في المصادر الثلاثة القرآنية والتوراتية والمسمارية تصل احيانا الى درجة التطابق مما يشير ويؤكد ان القصة تعكس حادثة حقيقية وقعت في عصور سحيقة في القدم سبقت العصور التاريخية ههنا ، التي تحدد عادة مع بداية الالف الثالث قبل الميلاد ، وان تلك الحادثة كانت من جسامه التأثير وفداحته انها تركت اثرا بليغا في قهوس الاجيال المتعاقبة وعقولها فتناقلتها بالروايات الشفوية وغيرت من تفاصيلها الحقيقية ونسجت حولها ما نسجت من خيال الرواة حتى وجدت الرواية طريقها الى التدوين اول مرة في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد على ايدي الكتبة السومريين ، كما يستنتج ذلك من النصوص المسمارية التي كانت قد غابت عن الاظار لآلاف من السنين في بطون التلول الاثرية حتى رأت النور ثافية منذ اواسط القرن الماضي عندما اكتشفت وحلت رموزها المسمارية .

شخصية بطل الطوفان : يؤكد القرآن الكريم في اكثر من موضع ان نوحا ، وهو بطل قصة الطوفان ، كان بشرا اعتياديا وعبدا شكورا لله ، وان الله سبحانه وتعالى بعثه رسولا ونذيرا ( الاعراف/ ٦٠ ، ٦٢ ، الشعراء/ ١٠٦-١٠٧ ، هود/ ٢٧ ، ٣١ ، الاسراء/ ٣ ، المؤمنون/ ٢٣ ) .

وفي التوراة تأكيد بشرية نوح ايضا ، اذ كان رجلا وجد نعمة في عيني الرب ، وانه كان رجلا بارا كاملا في اجياله ، وان الله باركه وبنيه ، ( التكوين/ ٦ : ٨ ، ٩ ، ٩ : ١ ، ٨ ) .

(١٨) انتشرت قصة الطوفان في معظم انحاء العالم القديم ، فالى جانب ما ذكرته النصوص المسمارية ، وهي اقدم ما ورد عن القصة مدونا ، واسفار العهد القديم ، وجدت القصة مقتبسة في المآثر الحثية والهورية ، واليونانية والمصرية والهندية وغيرها ( ينظر ، باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٤٤-٤٦ ) .



وعدت النصوص المسمارية السومرية زيو سدرا ، وهو بطل الطوفان فيها ، ملكا او ابن ملك<sup>(١٩)</sup> واكدت القصة البابلية ان اوتنابشتم ، وهو بطل الطوفان الذي يقابل زيو سدرا وفوح ، لم يكن قبل الطوفان الا بشرا<sup>(٢٠)</sup> . اما افراخاسيس ، بطل الطوفان في القصة البابلية الثانية ، فقد وصف بانه كان عبدا للاله انكهي<sup>(٢١)</sup> ، وتتفق القصص المسمارية الثلاث على ان بطل الطوفان رفع الى مصاف الالهة بعد ان حل الطوفان واصبح من الخالدين<sup>(٢٢)</sup> .

اي ان بطل الطوفان على وفق جميع المصادر كان من البشر ، وظل كذلك حسبما يذكر القرآن الكريم ، الا انه عاش عمرا طويلا « الف سنة الا خمسين عاما » ( العنكبوت / ١٤ ) وفي التوراة ايضا ، ايضا عاش نوح ٩٣٠ سنة ، وهي معجزة منحها الله سبحانه وتعالى الى نوح ، رسوله الى البشر ، ولا نجد ضرورة تستوجب منا التوقف لتبرير هذه المعجزة ، فلكل نبي ورسول معجزاته . ونظرا لهذا العمر الطويل الذي عاشه نوح عليه السلام ، ظن السومريون والبابليون ، ومن نقل اليهم الرواية اول مرة شفويا بانه عاش الى الابد وانه اصبح من الخالدين ، وهو استنتاج مفهوم ، الا ان معتقدات

(١٩) علي ، فاضل عبدالواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٢١ .

(٢٠) Borger, R., Babyionisch — Assyrische Lesestucke, Roma 963, III/66

(٢١) علي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩-١٤٠ سطر ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢٢) ورد ( القصة السومرية » ور kec زيو سررا امام اتو وانليل ...

اللذين وهباه حياة ( ابدية ) مثل الالهة ،

واللذين رفعاه الى الحياة الازلية مثل الالهة »

علي ، المصدر السابق ، ص ١٢٢/ سطر ٢٥٤-٢٥٧ . وفي القصة البابلية ذكر :

« ما كان اوتنابشتم قبل الان الا بشرا

ولكن من الان سيكون اوتنابشتم وزوجته مثلنا نحن الالهة »

( المصدر نفسه ، صفحة ١٨٤ / سطر ١٩٣ - ١٩٤ ) .

القوم انذاك وما كتب عنها لا تشير الى وجود بطل الطوفان بين مجمع الالهة السومرية والبابلية وهذا ما يتناقض وقول القصص المسمارية انه كان خالداً وانه اصبح من الالهة .

اما اسم نوح ، فقد ورد في القرآن الكريم بهذه الصيغة ، وهي الصيغة الاصلية لاسمه الحقيقي بلغة قومه التي لا نعرف عنها شيئاً ، شأنه في ذلك شأن اسماء معظم الرسل والانبياء التي وردت في القرآن الكريم بصيغها الاصلية مثل ادم وادريس وابراهيم ويعقوب وغيرهم ، الا ان المعاجم العربية عدت اسم نوح مشتقاً من الجذر الثلاثي نوح ومنه فاح ينوح نوحاً<sup>(٢٣)</sup> ، اما التوراة التي ذكرت الاسم بصيغة مقاربة ، فعدت الاسم مشتقاً من الجذر العبري الثلاثي نوح بمعنى ارتاح او استقر<sup>(٢٤)</sup> .

وفي النصوص المسمارية يبدو ان الاسم الاصل الذي يفترض ان يكون مشابهاً للصيغة القرآنية ، قد سقط كلياً واشير الى بطل الطوفان بدلاً من ذلك ببعض صفاته التي تتم شخصيته ، كطول العمر والحكمة . فالاسم السومري زيو سورا يعني « الذي اطلّ الحياة »<sup>(٢٥)</sup> ، في حين تعني الصيغة الاكدية المرادفة للاسم ، وهي اتو نبشتم ، « وجدت الحياة » كناية عن حصول بطل الطوفان الخلود<sup>(٢٦)</sup> . اما الصيغة البابلية الثانية ، وهي اتراخاسس فيشير الى سعة فهم بطل الطوفان وحكمته حيث تعني ( الواسع في الحكمة )<sup>(٢٧)</sup> ، وهذا ما تؤكدُه القصة البابلية عند قولها بانه الرجل الذي استمع الى وحي اله الحكمة ايا<sup>(٢٨)</sup> .

(٢٣) ينظر مثلاً ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٤٦٦-٤٦٨ .

(٢٤) ينظر : BDB, op, cit., Pp. 628—629.

(٢٥) علي ، فاضل علي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ ملاحظة : ٢٥ .

(٢٦) Oppenheim., L., The Assyrian Dictionary, Chicago, (CAD), Vol. N, p. 296, Vol. I, P. 518; Thompsen, The Epic of Gilgamesh. P. 83.

CAD, Vol. H, P. 122

(٢٧)

(٢٨) علي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

ويبدو لنا ان الصيغتين العربية والعبرية للاسم تؤكد ان الاسم ينتمي الى لغة جزرية شبيهة بالعربية تعتمد الجذر الثلاثي الا انها لم تحفظ للاجيال تالية نظرا لان الكتابة لم تكن معروفة آنذاك فاندثرت ولم يبق منها شيء ، هذا ما حدث لجميع لغات البشر السابقة لعهد التدوين ، الا ان الكتب بنزلة حفظت لنا عددا من اسماء الانبياء والرسل .

ولم يشر القرآن الكريم الى نسب نوح بل اشير الى والديه مرة واحدة ط عندما استغفر لهما نوح وقال «رب اغفر لي والوالدي والمؤمنين والمؤمنات» (نوح/ ٢٨) ، وان ما ذكر في كتب قصص الانبياء والتفسير من اسماء كرت على انها اسماء اباء واجداد نوح حتى آدم فهي مقتبسة كليا من نورا (٢٩) اذ تذكر التوراة في الاصحاح الخامس من سفر التكوين مواليد نوح الى انه ولد نوح وذكر ان المدة التي تفصل بين خلق آدم وولادة نوح كانت ١٠٥٦ سنة فقط وان كان هناك اختلاف في تحديد اعمار مواليد نوح حسب التراجم المختلفة . ويرد في التوراة ذكر اسماء ثمانية من ابناء اجداد نوح وهم ، بدءا من بعد آدم ، كل من شيت وافوش وقينان ومهلليل يارد واخنوخ ومتوشالغ ولامل . واذا ما حسبنا اعمار اجداد نوح سبما وردت في التوراة يتبين ان آدم مات قبل ولادة نوح بمائة وست عشرين سنة فقط . ومن الواضح ان السنوات التي خصصتها التوراة لمدة بين خاتى آدم وولادة نوح قصيرة جدا ولا تتفق وما هو متوافر الا ان معلومات وادلة اثارية عن عمر الانسان (٣٠) . اما النصوص المسامرية ، م تذكر سوى ان بطل الطوفان كان ابنا لملك (٣١) في حين تذكر جداول الملوك

(٢) النجار ، عبد الوهاب ، قصص الانبياء ، بيروت ، ص ٣٠ .  
(٣) انظر مثلا : الدباغ ، تقى ، الوطن العربي في العصور الحجرية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، علي ، عبد القادر حسن ، انسان الكهوف في حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٧٣-٩٨ ، باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ط ٣ ، ص ١٦٣-٢٠٣ .

(٣) See, Jacobsen, Th., The Sumerian King List, Chicago, 1939, P. 74 n. 32; Lambert, W.G., Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960, P. 92-93. Jacobsen, op. cit., pp. 70-127.

السومريين ، التي عدت الطوفان حدا فاصلا بين ملوك ما قبل الطوفان وملوك ما بعد الطوفان ، اسماء ثمانية من الملوك الذين حكموا قبل الطوفان استغرق حكمهم مدة ٢٠٠ - ٢٤١ سنة ثم جاء الطوفان (٣٢) . ان اية مقارنا بسيطة بين ما ورد في التوراة وما ذكر في جداول الملوك السومريين يتسه الى مدى تأثر احبار اليهود بالاسلوب الذي اتبعته جداول الملوك السومريين ولعل في مقدمة ذلك عدد الذين سبقوا نوحاً ، وهم ثمانية ملوك في جداول الملوك وثمانية اجداد في التوراة ، وعلى عكس ما ورد في جداول الملوك من ذكر مدد طويلة جدا لحكم كل ملك من ملوك ما قبل الطوفان ، ذكر ملوك التوراة مددا قصيرة جدا نسبيا لتغطية المدة من ادم وحتى ولادة نوح كما المحنا ، وواضح ان كلا المصدرين بعيدان عن الواقع وعن المنطق المقبول .

وما ذكر عن نسب نوح ينطبق على ذكر أهله وذريته . فمع ان القرآن الكريم قد اشار الى اهل نوح وذريته في اكثر من موضع الا انه لم يذكر اسم اي منهم ، حسب اسلوبه العام ، طالما لم يكن ذكر تلك الاسماء يحفظ هدفا معينا ( الانبياء/٧٦ ، الصافات/٧٥-٧٦ ) بل ان الله سبحانه وتعالى ضرب مثالا للذين كفروا امرأة نوح (التحریم/١٠) وابن نوح (هود/٤٢) دون ذكر اسميهما . وبالمقابل ، فصلت التوراة في ذكر مواليد ابناء نوح واسمائهم وذرياتهم حتى عهد الانبياء المتأخرين ( التكوين/٥ : ٣٢ ، ٦ : ١٠ ، ١١ : ١٨-١٩ ) وخصصت مدة ٨٩٠ سنة فقط للفترة بين ولادة نوح وولادة حفيده ابواهيم ، عليهما السلام . وبما ان نوحا عاش ٩٣٠ سنة ، كما انه على ذلك سفر التكوين ، فان ذلك يعني ان نوحا عاصر حفيده ابراهيم السنوات الاربعين الاخيرة من عمره (٣٣) ويظهر دور احبار اليهود ومدبر

(٣٢) حول ترجمة الجداول ينظر : باقر ، طه ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ وما بعدها .

(٣٣) النجار ، المصدر السابق ، ص ٧٣ ، سوسة ، احمد ، المصدر السابق ، ص ٥٠٦ وما بعدها .

التوراة في تلفيق الاحداث وتزويرها ونسبة احداث معينة الى شخصيات معينة لتحقيق اهداف اليهود عند دراسة وتحليل ما ذكره سفر التكوين عن اولاد نوح وذرياتهم . فقد ذكرت التوراة اسماء ابناء نوح الثلاثة ، سام وحام وياث الذين انتشروا في الارض من بعد الطوفان وذكرت نسل كل من هؤلاء الابناء وعدت ساما الابن الرئيس الذي تفرعت عنه معظم اقوام الشرق الادنى القديم الذين عاشوا في بلاد الشام ووادي الرافدين . ولو اننا فرضنا جدلا صحة ما ذهب اليه التوراة من تفاصيل ، وان لم يكن هناك ما يؤيد او يثبت ذلك بل ان المكتشفات الحديثة تثبت عكس ما ذهب اليه التوراة ، فان دور احبار اليهود يظهر في اقضاء اسماء معينة او اضافة اسماء اخرى لنسل سام او حام بما يتفق وينسجم مع اهداف اليهود واحلامهم . فقد اقصت التوراة كنعان من نسل سام وعدته من نسل حام ، وكنعان ، كما يفترض ، هو جد الكنعانيين الذين عرفت البلاد باسمهم ، وهي ارض كنعان ، كما ورد ذلك في التوراة نفسها ، وهي الارض التي سميت فيما بعد بفلسطين<sup>(٣٤)</sup> . وان اسم ارض كنعان وحده يثبت بان الكنعانيين كانوا اول من سكنوا هذه البلاد واسسوا مدنها الرئيسية مثل اريحا ويسان ومجدو واورشليم التي تشير اسمائها هي الاخرى الى الحقيقة نفسها<sup>(٣٥)</sup> . وقد اثبتت الدراسات اللغوية الحديثة ان اللغة الكنعانية بفروعها المعروفة تمثل

(٣٤) عرفت فلسطين بهذا الاسم منذ هجرة الفلسطينيين اليها ، والفلسطينيون جماعة من الاقوام الابجية فرت من وجه الهجرات اليونانية وهاجروا قسم منهم الى سورية بعد اخفاقهم في النزوح الى مصر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستولت على الساحل السوري الجنوبي وكان يمتد من غزة الى جنوبي يافا ، وكان الكرمل يؤلف الحد الفاصل بينهم وبين الفينيقيين الى الشمال ( انظر باقر ، طه ، المقدمة ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ) .

(٣٥) انظر ، باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، سوسة ، احمد ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

فرعا رئيسا من فروع اللغات الجزرية<sup>(٣٦)</sup> انتشر المتكلمون بها في انحاء بلاد الشام وانهم كانوا على صلة وثيقة بالاقوام الاخرى التي تكلمت باللغات الجزرية الاخرى التي انتشرت في بلاد الشام ووادي الرافدين كالاراميين والاموريين في بلاد الشام والبابليين والاشوريين في وادي الرافدين . من جهة اخرى ، اضافت التوراة اسماء بعض الاقوام التي لا علاقة لها بالاقوام التي افترضت بانها من نسل سام الى نسل سام كالأقوام العيلامية والاقوام الليدية<sup>(٣٧)</sup> . كما نسبت التوراة الى كنعان قصة لا اساس لها من الصحة تسيء الى سلوكه مع ابيه الى درجة دفعت اياه ، حسبما تذكر التوراة ، الى استئزال اللعنات والدعاء بان يكون كنعان عبدا لاخته . ( تكوين / ٩ :

٢٠-٢٨ ) .

وتخلو النصوص السامرية من اي ذكر لاهل فوح وذريته وتكتفي بان عدت بطل الطوفان وزوجته من الالهة بعد حادثة الطوفان .

ويبدو ان الاسلوب الذي اتبعه مدونو التوراة من اجبار اليهود في ذكر الانساب والمواليذ كان اسلوبا شائعا بين الاقوام الجزرية ومرغوبا فيه فوجد استحسافا وقبولا عند قراء التوراة من اليهود وغيرهم واكتسبت المعلومات الواردة فيها قدسية خاصة الى درجة اخذ عنها الكتاب المسلمون الذين تطرقوا الى ذكر قصص الانبياء الكثير من التفاصيل فضمنوها كتاباتهم وغدت تلك التفاصيل المقتبسة جزءا من القصص لا يفتن الى حقيقة اقتباسها وعدم دقتها الا المختصون .

(٣٦) انظر : الاحمد ، سامي سعيد ، المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٩ - ٢٥ . وقد استخدمنا هنا مصطلح اللغات الجزرية بدلا عن المصطلح القديم السامية ، الذي يرى معظم الباحثين العرب ، وبخاصة العراقيين منهم ، عدم دقته من الناحيتين التاريخية واللغوية . انظر باقر ، المصدر السابق ، ط ٣ ، ص ٦٧-٦٨ ، الاحمد ، المصدر السابق ، ص ٣ ، سليمان ، عامر ، المصدر السابق ، ٦٤ .

(٣٧) انظر : سليمان ، المصدر نفسه ، ص ٦٤-٦٥ .

واذا انتقلنا الى الاسباب الكامنة وراء حدوث الطوفان وجدنا تشابها واضحا في جوهر تلك الاسباب في المصادر الثلاثة وان اختلفت التفاصيل .

فقد نص القرآن الكريم على ان الله سبحانه وتعالى ارسل نوحا ليدعو قومه الى عبادة الله الواحد الاحد وينذرهم من عذابه ان هم ظلوا يعبدون سواه ( ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ، ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ) ( هود/ ٢٥-٢٦ ) ، الا انهم رفضوا دعوته وتمادوا في غيهم وضلالهم ولم يؤمن بدعوته الا قهر قليل « قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ، فلم يزدتهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ، ثم اني دعوتهم جهارا ، ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ، ( نوح/ ٩٥ ) ، ولما يؤس نوح من هداية قومه على الرغم مما بشرهم به من المغفرة والنعم الكثيرة التي سينعم بها الله تعالى عليهم ( نوح/ ١٠-١٣ ) ، دعا ربه ان يقضي ما هو قاض ولا يذر على الارض من الكافرين ديارا : « قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » ( نوح/ ٢٦-٢٧ ) ، وكان جواب ربه ان اوحى اليه « واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون » ، ( هود/ ٣٧ ) ، وهكذا بعث الله الطوفان جزاء وفاقا للذين ظلموا انفسهم وابتعدوا عن عبادة الله ورفضوا دعوة رسوله واصروا على عبادة غيره من الاوثان والاصنام ( هود/ ٢٥-٢٦ ) .

وتتحدث التوراة عن اسباب الطوفان في الاصحاح السادس من سفر التكوين حيث تذكر « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض... اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم اولادا . هؤلاء الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر على الارض وان كل شر تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم . فقال الرب امحوا عن وجه الارض الانسان الذي خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لاني حزنت اني عملتهم . واما نوح فوجد نعمة في عيني الرب .... »

فقال الله لنوح نهاية كل البشر قد اتت امامي لان الارض امتلأت ظلما منهم .  
 فيها انا مهلكهم مع الارض ، أصنع لنفسك فلكا فيها انا آت بطوفان الماء على الارض لاهاك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء . كل ما في الارض يموت ولكن اقيم عهدي معك ، ( تكوين ٦ : ١-١٣ ، ١٧ - ١٨ ) .

فالسبب الرئيس للطوفان اذن هو فساد البشر وظلمهم وطغيانهم وتزايد شرورهم ، وهذا ما يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم ، الا ان مدوني التوراة اقتبسوا من النصوص المسمارية التفاصيل التي اكتتفت القصة كتزايد عدد البشر ووصف الرب بصفات لا يجوز نسبتها اليه حيث انها ذكرت بانه ( حزن وتأسف على خالق الانسان وتعليمه ) .

اما النصوص المسمارية السومرية والاكديّة ، فاذا جردناها مما زيد عليها من تفاصيل اضافها الرواة او ما لحق بها من زيادات تنسجم مع معتقدات القوم وقت تدوينها اول مرة ، وجدنا انها تشير باساليبها الخاص الى ان سبب الطوفان كان للتخلص من البشر بعد ان تكاثر الناس وزاد ضجيجهم وصخبهم مما ازعج الاله حيث ذكرت تلك النصوص انه :

« لم تمض بعد الف ومئتي سنة  
 حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس  
 واصبحت البلاد تخور مثل الثور  
 فانزعج الاله ( اذليل ) من ضجيجهم  
 اجل لقد سمع اذليل صخبهم  
 فقال مخاطبا الالهة العظام  
 لقد اصبح صخب البشر شديدا عليّ  
 وقد حرمني ضجيجهم من النوم  
 فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس » (٣٨)

(٣٨) علي ، فاضل عبد الواحد ، الطوفان ، ص ٥٦ .



وهكذا امر الاله ارسال الاوبئة والامراض والايام والجفاف لافناء  
بشر ، وعندما أخفقت تلك الوسائل بسبب وقوف الاله ايا ، كما تذكر  
صوص المسمارية ، الى جانب البشر وتخليصهم كل مرة مما ارسل عليهم  
له اذليل ، قرر الاله اذليل ان يبعث الطوفان لافناء البشر على ان يؤدي  
ميع الالهة ، بما فيهم الاله ايا ، القسم على ذلك :

« هيا تؤدي القسم لاحداث الطوفان » (٣٩)

وهكذا كان الطوفان بسبب ما اثاره البشر من صخب وضجيج ازعج  
له اذليل ، الاله الرئيس .

وهكذا تقرر احداث الطوفان بعد الغضب الالهي من البشر على وفق  
الثلاثة .

« وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتس  
كانوا يفعلون . واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين  
لموا انهم مغرقون » ( هود/٣٧-٣٨ ) . ولما اتم نوح صنع السفينة وجاء  
وعد ورأى الامارة على ابتداء الطوفان ، وهو ان يفور التنور ، حمل في  
سفينة ، كما امره الله تعالى اهله ومن آمن معه : « حتى اذا جاء امرنا  
فار التنور قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه  
قول ومن آمن وما آمن معه الا قليل » ( هود/٤١ ) وكان الطوفان ،  
ففتحن ابواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على  
قد قدر » ( القمر/١٢-١٣ ) . وطافت السفينة وهي تجري بهم في  
وج كالجبال ، ( هود/٤٢ ) ، واغرق من كان خارج السفينة ، ثم كانت  
بأية الطوفان ، « وقيل يا ارض ابلي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء  
قضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » ( هود/٤٥ ) .

وتفصل التوراة في وصف السفينة التي اوحى الى نوح صنعها فتذكر  
نوع الخشب والقار ومقاسات السفينة وبابها « اصنع لنفسك فلكا من  
خشب جفر • تجعل الفلك مساكن • وتطليه من داخل ومن خارج بالقار •  
وهكذا تصنعه : ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا ارتفاعه •  
وتصنع كوى الفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق • وتصنع باب الفلك  
في جانبه • مساكن سفاية ومتوسطة وعلوية تحمله » ( تكوين ٦ / ١٣ :  
١٦ ) ثم تفصل في ذكر الداخلين الى السفينة من اهل نوح واسمائهم ومن  
الحيوانات واجناسهم : « في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافت •  
بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك • هم وكل الوحوش  
كاجناسها وكل البهائم كاجناسها وكل الدبابات التي تدب على الارض  
كاجناسها ، وكل الطيور كاجناسها ، كل عصفور ، كل ذي جناح • ودخلت  
الى نوح ، الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة • والداخلون  
دخلت ذكرا وانثى • من كل ذي جسد • كما امره الله • واغلق الرب عليه  
( تكوين ٧ / ١٣-١٦ ) •

ثم كان الطوفان ، كما قال الرب ، بعد سبعة ايام • وقد حددت التوراة  
وقت حدوث الطوفان بالسنة والشهر واليوم من عمر نوح وذكرت بان  
الطوفان دام اربعين يوما حيث « اتفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت  
طاقات السماء » ( تكوين ٧ / ١٠-١١ ) وتكاثرت المياه وارتفعت وغطت  
كل شيء حتى الجبال الشامخة ( ومات كل ذي جسد كان يدب على الارض  
من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزاحفات التي كانت تزحف على الارض  
وجميع الناس ، وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسين يوما » ( تكوين /  
٧ : ٢٤ ) •

ثم هدأت المياه ، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء واستقر الفلك  
على جبال اراراط • وتحدد التوراة يوم استقرار الفلك بدقة وانه بعد اربعين  
يوما من تاريخ استقرارها بدأ نوح بارسال الغراب ومن ثم الحمامة مرة  
ومرتين للتأكد من انحسار المياه ، وفي يوم محدد خرج نوح ومن معه من

الفلك وقدم القرايين ، وتذكر التوراة كيف ان الله تعالى عقد ميثاقاً مع نوح وبنيه بان لا يحدث طوفانا آخر وان علامة ذلك الميثاق القوس الذي يظهر في السحاب ( تكوين ٩/ : ١٢-١٤ )

ويستنتج مما ورد في النصوص المسمارية ، ان الطوفان كان مخططاً له ان يأتي على البشرية برمتها ، الا ان الاله ايا ، صديق البشر حسب معتقدات القوم انذاك ، حذر احد البشر فاوحى اليه من خلال مخاطبة الكوخ والجدار بان يبني له سفينة للخلاص من الخطر المحدق بالبشر :

« يا كوخ ! يا كوخ ! يا جدار ! ، يا جدار ! •

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط  
ايها الرجل « الشروبكي » يا ابن « اوبار - توتو »  
قوض البيت وابن لك فلكا ( سفينة )  
تخل عن مالك وانشد النجاة  
انذ الملك وخلص حياتك » (٤٠)

وصدع الرجل لتنفيذ الامر وبدأ ببناء السفينة حسب المواصفات التي اوحى بها اليه ، وقد فصلت المصادر المسمارية بوصف السفينة وصناعتها ويفهم من ملحمة جاجامش انها بنيت من الخشب واستعمل القير لطلائها وغرزت مسامير من الخشب في الثقوب لمنع تسرب المياه اليها اي انها كانت « ذات الواح ودر » في حين اشارت قصة اخرى الى استخدام القصب في بناء السفينة • وتفصل الملحمة في مقاسات السفينة وشكلها العام ويبدو مما ذكر من قياسات واوصاف انها كانت على شكل مكعب منتظم طول ضلعه ١٢٠ ذراعاً ( ٦٠ متراً ) وارتفاعه ١٢٠ ذراعاً وانها كانت تتكون من

(٤٠) باقر ، طه ، ملحمة جاجامش ، المصدر السابق ، ص ١٥١ . شروباك هي آخر مدينة كانت فيها الملكية قبل الطوفان ، حسبما جاء ذلك في جداول الملوك السومريين ، و اوبال - توتو هو اخر الملوك الذين حكموا فيها .

سبعة طوابق وان ارتفاع كل طابق ٢٠ ذراعا . ومن المحتمل ان الطوابق السبعة كانت مدرجة من حيث المساحة بحيث ان اوسعها يمثل الطابق الاسفل ، اي ١٢٠×١٢٠ ذراعا ، ثم تتناقص مساحة الطابق الثاني والثالث وهكذا حتى الطابق السابع ، وبعبارة اخرى ، ان السفينة كانت ، حسب هذا الاستنتاج ، اشبه بزقورة عائمة على سطح الماء<sup>(٤١)</sup> وبعد ان انتهى صنع السفينة واقيمت الاحتفالات اللازمة لذلك ، هرع رجل الطوفان الى تنفيذ امر الاله ايا الذي يقول :

« واحمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية »<sup>(٤٢)</sup>

ثم يقول الاله ايا مخاطبا رجل الطوفان :

« ترقب الوقت المحدد الذي سوف اخبرك عنه

ثم ادخل السفينة واغلق بابها

احمل فيها شعيرك وامتعك واموالك

وزوجتك وصاحبك وقرييك والعمال الماهرين

واني سارسل اليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي

يأكل العشب في السهل

وانها سوف تنتظر عند بابك »<sup>(٤٣)</sup>

وبعد ان انتهى رجل الطوفان من بناء السفينة وتحميلها ، دخل فيها وغاى بابها منتظرا الساعة المحددة لبدء الطوفان ، وكان ذلك في الليلة السابعة . وقد وصفت لنا القصص المسمارية هول الطوفان الذي استمر سبعة ايام وسبع ليالٍ وقضى على كل شيء في الارض باستثناء من كان في الفلك

---

(٤١) انظر تفاصيل ذلك ، باقر ، المصدر نفسه ، ١٥٣-١٥٤ ، علي ، فاضل عبد الواحد ، المصدر السابق ، ٧٧ - ٨١ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ٧٧ .

(٤٣) علي ، فاضل عبد الواحد ، المصدر السابق ، ص ٨١-٨٢ .

المشحون ، ظلام دامس ، ورعد يشق عنان السماء واعاصير مدمرة ورياح عاتية ومياه كسرت السدود واغرقت كل شيء •

وكان التدمير والهالك الذي حل بالارض مدعاة فدم وحزن عدد من الالهة التي عرفت بحبها للبشر ، على وفق معتقدات القوم انذاك، مثل الاله انكي والالهة ننتو ( عشتار ) ،، وقد وصفت لنا القصص المسمارية ما حل بتلك الالهة من حزن وندم بأسلوب ادبي رائع •

وبعد ان هدأت السماء وخفت وطأة الرياح وسكنت العواصف وانتهى الطوفان واستقرت السفينة على جبل فيسير ، عندها اطلق رجل الطوفان الحماة ليرى فيما اذا كانت المياه قد انحسرت عن الارض ام لا وبعد ان رجعت الحماة اطلق السنونو واخيرا اطلق الغراب الذي لم يعد لانه وجد ارضا يابسة ، عندئذ خرج رجل الطوفان ومن معه من السفينة واقام الاحتفال وقدم القرابين الى الالهة وبعد ان اجتمعت الالهة حول القرابين وجرت مناقشة حادة حول الطوفان واسبابه وتناجى انتهت الى منح رجل الطوفان وزوجته الخلود فصاروا مثل الالهة •

ان اية مقارنة بسيطة للتفاصيل الدقيقة التي اوردها التوراة عن السفينة وقياساتها واسلوب بنائها وعن الطوفان وموعده وعن هوله والمدة التي استغرقها وعن نهايته وعلامة ذلك لا تدع مجالاً للشك بان مدوني التوراة قد اقتبسوا معظم تلك التفاصيل من القصص المسمارية و اضافوها الى قصة الطوفان الاصلية التي يفترض ان ضمتها التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام • من جانب آخر يبدو واضحاً من دراسة وتحليل القصة التوراتية ومقارنتها مع القصة المسمارية ان اجبار اليهود اضافوا الى القصة كذلك زيادات معينة تخدم اهدافهم وتحقق احلامهم ولا سيما فيما له علاقة باولاد نوح ونسلهم الى عهد انبيائهم المتأخرين ، كما سبق المحنا ، لتثبيت حقوق مزعومة في ارض فلسطين •

ومن المهم الإشارة الى انه وعلى الرغم من تعدد قصص الطوفان في النصوص المسماية وتفصيلها في النصوص التوراتية ومع كثرة المكتشفات الاثرية في منطقة الشرق الادنى القديم الا انه لم يظهر حتى الان ما يناقض ما ورد في القرآن الكريم عن الطوفان ، فجوهر القصة التي وردت في جميع النصوص الاخرى مثابة لما ورد في القرآن الكريم ، اما التفاصيل الكثيرة التي اكتنتف القصة في النصوص المسماية واقتلت الى النصوص التوراتية وكذلك التفاصيل التي اضافها احبار اليهود عند تدوينهم اسفار التوراة اول مرة ، فانها لا تقوى على المناقشة العلمية بل ان المكتشفات الاثرية والاستنتاجات العلمية والمنطقية قد اثبتت بطلانها وبعدها عن الحقائق ، مما يشير ويؤكد ضرورة الاعتماد اولا وقبل كل شيء على ما ذكره القرآن الكريم من اخبار وقصص ورد ما يشابهها في النصوص التوراتية والمسماية بوصفها الاخبار والقصص الصحيحة من دون زيادة او نقصان عندها يسهل تجريد النصوص الاخرى من الزيادات والاضافات والتحوير والتغير احيانا والتزوير احيانا اخرى وصولا الى الحقيقة . ولسنا هنا في مجال التفصيل في اخبار الطوفان كما ورد ذلك في النصوص المسماية اذ تمت ترجمة تلك النصوص الى معظم اللغات الحديثة ،، ومنها الى اللغة العربية ، ترجمة دقيقة ومفيدة ، الا اننا اردنا الإشارة الى التشابه الموجود بين جوهر القصة في المصادر الثلاث واسباب ذلك والى اوجه الخلاف واسباب مؤكدين دقة ما ورد في القرآن الكريم وصحته .

## وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية

د. د. محمد ضاري حمادي

عضو المجمع العلمي - بغداد

جامعة بغداد - كلية الآداب

من المقرر أن ترقى الإنسان في درجات العلم يوصله الى ما لم يكن له به من عهد سابق ، وأن هذا الجديد يفرض عليه أن يضع له ما يناسبه من التسمية . وهكذا يضع الواضع الاول - وهو من يصل الى الجديد - التسمية من لغته هو ، أما من يضع التسمية ، بعد الواضع الاول ، في لغة أخرى فهو الواضع الثاني . وهنا يلزم أن يجد الواضع الثاني تسمية من لغته لا من لغة الواضع الاول ؛ فإن تعذر عليه الامر اضطرّ الى اقتراض تسمية الواضع الاول ، وإدخالها في متن لغته ، بمقتضى لوازم الاقتراض اللغوي وشروطه . على أن مما يلزم التنبيه عليه أن مصطلح الواضع الاول لا يوجب بالضرورة أن يكون وافيا بالمراد ؛ فقد يخطئ الدلالة على ما يراد الدلالة عليه ، فلا يجد الواضع الثاني مندوحة من التعويل على حقيقة المسمى ، لا أن يشغله النظر في معنى مصطلح الواضع الاول عن تلك الحقيقة . يقول الدكتور جميل الملائكة في هذا الصدد ما نصّه : « يلزم في جميع الاحوال الاهتمام عند وضع المصطلحات بالمعنى قبل اللفظ ، مع ملاحظة أن المصطلح الاجنبي قد لا يكون في كل الحالات موفقا كل التوفيق في تأدية المعنى المراد به ، وقد يكون مغلوطا أصلا . » (١)

ولئن كان الاهتمام بالمفهوم أمرا جوهريا ، لقد كان الاهتمام بالتخصيص أمرا جوهريا آخر يستلزمه استقرار المصطلح واستمراره ؛ وذلك أن يكون لكل مفهوم مصطلح مخصوص به ، وأن يكون لكل مصطلح مفهوم مخصوص به . وقد وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة القرار الآتي : « الاصطلاحات

العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى . » (٢) وأقرّ المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط في ندوته التي أقامها في شباط سنة ١٩٨١م هذا المبدأ ؛ فنصّت الفقرة الثانية من مقررات الندوة على ما يأتي : « وضع مصطلح واحد للمفهوم الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد » (٣) ، ونصّت الفقرة الثالثة من تلك المقررات على ما يأتي : « تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك » (٤) . أما في الترادف فينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل لفظة ،، وتفضيل اللفظة التي يوحى جذرها بالمفهوم الاصلي اوضح من غيرها ، وذلك ما أقرته الندوة المذكورة . (٥) لقد اتخذت اللغة العربية وسائل تضع بها المصطلح العلمي ، أشهرها ما يأتي :

الوسيلة الاولى : النقل الدلالي : وهو وسيلة يلجأ اليها الواضع حين لا يجد اللفظ الدال دلالة مباشرة على المعنى المقصود فلا بدّ قبل اللجوء الى النقل الدلالي من البحث عن اللفظ العربي المعبرّ تعبيراً مباشراً عن المراد بالمصطلح العلمي ، فاذا لم يتيسر العثور على ذلك اللفظ تولى الواضع نقل المعنى اللغوي للفظ من الالفاظ الى المعنى العلمي المطلوب ؛ إذ يستعمل الواضع عندئذ ذلك اللفظ في غير دلالاته الاصلية ؛ أي في دلالة اخرى جديدة على أن تكون بين الدالتين علاقة ، مع قرينة تمنع من ارادة الدلالة الاصلية . لقد أفاض علماء العربية في بيان العلاقة بين الدالتين الاصلية والجديدة ، وفصلوا القول في أوضاعها ، وبيّنوا أن تلك العلاقة إما أن تكون المشابهة فالمجاز هنا « استعارة » وإما أن تكون غير المشابهة فالمجاز هنا « مرسل » ويستطيع المعنيّ بوضع المصطلح العلمي في العربية الوقوف على تفصيلات تلك العلاقة وألوانها في مظانها القديمة والحديثة ولاسيما في علم البيان من علوم البلاغة العربية ، وفي علم الوضع من علوم الكلمة العربية . ومن المناسب الاشارة هنا الى أن العلاقة إن لم تكن المشابهة ( المجاز بالاستعارة ) ،



فإنها تنطوي على أنواع وألوان مختلفة ( المجاز المرسل ) منها السببية  
والمسببة والكلية والجزئية ، والآلية والمحلية ، واللازمة والملزومية والبدلية  
والمبدلية ، والدلالية والمدلولية والمظهرية والضدية، وغير ذلك من العلاقات .<sup>(٦)</sup>  
إنّ تحقق أيّ من ، العلاقات بين الدّلاتين كاف للاصطلاح وعلى هذا  
سجلت ندوة الرباط المشار اليها آنفا « ضرورة وجود مناسبة او مشاركة او  
مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ، ولا يشترط في  
المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي . »<sup>(٧)</sup>

إن النقل الدلالي وسيلة وضعية حققت للعربية قديما وحديثا ثروة  
هائلة من المصطلحات العلمية ، وقد أقبل واضعو المصطلحات العلمية العربية  
على هذه الوسيلة فأغنتهم بما عبّروا به عن مفاهيم العلم وثمار الحضارة ، ومن  
ذلك آلات ظهرت في العصر الحديث كالسيارة والقطار والهاتف والطيارة  
والدبابة والغواصة والباخرة والحافلة والشاحنة والمطبعة . . . وغيرها الكثير  
الكثير . ولم يكن هذا النقل ليتم لو لم تتحقق العلاقة بين الدلالة الوضعية  
لكل من هذه الالفاظ والدلالة الاصطلاحية لها . فالدلالة الوضعية للقطار  
مثلا هي مشهد الابل حين يسير بعضها خلف بعض على نسق واحد . جاء في  
معجم « لسان العرب » لابن منظور ( ٧١١هـ ) ما فنه : « القطار : أن تقطر  
الابل بعضها الى بعض على نسق واحد . »<sup>(٨)</sup> ولذا صحّ في العصر الحديث  
إطلاق « القطار » على الآلة الحديثة للعلاقة القائمة بين الدلاتين ( الاصلية  
والجديدة ) وهي الشبه في الصورة المتمثلة بالتتابع على نسق واحد ، وفي  
الغرض المتمثل بما تؤديه مجموعة الابل تلك وما تؤديه الآلة الحديثة . . .  
وهكذا لا بد من تحقق العلاقة في كل لفظ نقله واضع المصطلح العلمي العربي  
من دلالاته الاولى الى دلالاته الجديدة ؛ سواء أكانت تلك العلاقة المشابهة  
( المجاز بالاستعارة ) أم احدى علاقات المجاز المرسل .

الوسيلة الثانية : الاشتقاق : وهو أخذ كلمة من أخرى ؛ فهو وسيلة في  
توليد الجديد من الكلمات . وقد عرفت العربية بأنها لغة اشتقاقية ، ومن

هنا بذل علماء هذه اللغة عنايتهم البالغة في استقراء أقيستها • وقد وجدوا أن من تلك الأقيسة ما يطرد ولا ينقطع ، وأن منها ما ينقطع ولا يطرد • وهكذا غدا التوليد بالقياس الذي يطرد ولا ينقطع سبيلا واسعا الى ابتكار الجديد من الالفاظ • فبمقتضى خضوع الحالة لهذا القياس - الذي يطرد ولا ينقطع - نستطيع استنباط مصدر الفعل ، وفعل المصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأسماء التفضيل ، والزمان ، والمكان ، والآلة • ومن هنا أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارا بتكملة فروع المادة اللغوية التي لم تذكر المعجمات الا بعض ألفاظها كالمصدر ، أو الفعل ، أو أحد المشتقات الأخرى • (٩)

إنّ تسخير الأوزان القياسية في توليد المصطلحات العلمية في القديم ، وفي الحديث ، قد أثمر الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية ، عبر التاريخ حتى الوقت الحاضر ، كتلك التي ظهرت في العصر الحديث من مثل : المِحْصَد ، والمِبْذَر ، والمتَحَف ، والمَصْرِف ، والمِذْياع ، والمِنْظار ، وغيرهما الكثير ••• وقد يكون هناك أكثر من وزن في الباب الاشتقاقي الواحد كما هو الحال في اسم الآلة مثلا ؛ إذ إن أوزانه من الفعل الثلاثي هي : « مِفْعَل » و « مِفْعَلَة » ، و « مِفْعَال » • وقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن هذه الأوزان الثلاثة قياسية ؛ فنصّ قراره على أنه « يصاغ قياسا من الفعل الثلاثي على وزن « مِفْعَل » ، و « مِفْعَلَة » ، و « مِفْعَال » ؛ للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء • » (١٠) ، وأوصى المجمع أن يكون ذلك عند غياب المسموع من أسماء الآلات ؛ وهذا نصّه : « ويوصي المجمع باتباع صيغ المسموع من أسماء الآلات فاذا لم يسمع وزن منها لفعل جاز أن يصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة » (١١) • والحق أن أوزان المسموع من أسماء الآلة والاداة كثيرة ، وقد استقرى الاستاذ محمد بهجة الاثري ذلك ، ويبيّن أن تلك الأوزان لا تنحصر في الثلاثة المذكورة ؛ إذ منها : « فاعِل » ، و « فاعِلَة » ،

و « فَعُول » ، و « فَعِيل » ، و « فَعِيلَة » ، و « فاعول » ، و « فَعَالَة » ،  
وغيرها (١٢) ، كما يبيّن أن العرب اشتقت أسماءً للآلة والاداة من الفعل المتعدي  
واللازم ، والثلاثي وغيره ، ومن المصدر ومن اسم العين . (١٣)

ومن الممكن الانتفاع من هذه الظاهرة في العربية ، وذلك في تحقيق  
التمييز الدقيق بين مصطلح علمي وآخر في الحقل العلميّ الواحد . وقد  
أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارا في هذا المجال ، وهو التمييز بين  
المصطلحات العلمية بتخصيص كل وزن من اوزان الآلة الثلاثة بحالة معينة ،  
وهذا نصه : « تلتزم صيغة واحدة تجري عليها كلمات الجنس الواحد ، فما  
يراد به الكشف وضعنا له صيغة « مِفْعَال » Scope ، وما يراد به  
القياس وضعنا له صيغة « مِفْعَل » Meter وما يراد به الرسم  
وضعنا له صيغة « مِفْعَلَة » Graph . » (١٤) ومن الباحثين من يرى  
في هذا المنحى تقييدا ثقيلا لواقع المصطلح ؛ فقال مصطفى الشهابي : « وأعتقد  
أن هذا القرار يقيد المجمع ولجائه وسائر واضعي المصطلحات بقيد ثقیل .  
ومع هذا قرأت أخيرا مقالا لاحد اعضاء المجمع يقول فيه إن المجمع عدل عن  
قائمة المصطلحات التي كان وضعها على أساس هذه القواعد الثلاث . » (١٥) .  
والذي يراه هذا البحث هنا أن هذا القرار قد رسم القواعد بوضوح لا لبس  
معه ولا صعوبة ، فما يراد به الكشف فله صيغة ، وما يراد به القياس فله  
صيغة أخرى ، وما يراد به الرسم فله صيغة ثالثة ؛ فالامر ميسور ، والطريق  
محدد . أما فائدة ذلك فهو التخصيص المميّز ، وهو ما اتفق واضعوا المصطلحات  
العلمية ومستعملوها على أهميته والحاجة اليه .

ومن الباحثين من يعد النحت - وهو توليد كلمة من كلمتين او اكثر ،  
بعد تهذيب فيهما وتشذيب - مسلکا من مسالك الاشتقاق المفضي الى توليد  
الالفاظ الجديدة على نحو ما قال الاقدمون « عبشمي » نسبة الى « عبد  
شمس » . وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارين في شأنه الاول  
مقتضب والثاني فيه تفصيل ، ونصّ الاول هو : « يجوز النحت عندما تاجيء

اليه الضرورة العلمية» (١٦) أما نصّ الثاني فهو : « النحت ظاهرة لغوية احتاجت اليها اللغة قديما وحديثا . ولم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسيته ، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين او اكثر اسم أو فعل عند الحاجة على ان يراعى ما أمكن استخدام الاصلي من الحروف دون الزوائد . فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي ، والوصف منه باضافة ياء النسب ، وان كان فعلاً كان على وزن « فَعْلَل » أو « تَفَعَّلَل » ، الا اذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جريا على ما ورد من الكلمات المنحوتة . » (١٧)

والذي يراه هذا البحث أن النحت وسيلة يلجأ اليها واضع المصطلح العلمي في العربية اذا تعذر عليه الوضع بالوسائل اللغوية العربية وهي : أولا - الترجمة المباشرة . ثانيا - الترجمة المجازية ( النقل الدلالي ) . وقد مرّ بنا أنّها الكلام على هذين الامرين في فقرة واحدة هي « النقل الدلالي » ؛ لان النقل هذا لا يلجأ اليه الا اذا تعذرت الترجمة المباشرة . ثالثا - الاشتقاق القياسي الذي مضى عرضه في هذا البحث . وعليه ، كان يلزم فيما يرى هذا البحث أن يشار في قراره مجمع اللغة العربية بالقاهرة المذكورين الى مرتبة النحت في وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية ، وأكّنه يشغل هذه المرتبة المتأخرة ؛ فلا يجوز اللجوء اليه قبل الترجمة ( بنوعها المباشر والمجازي ) ، والاشتقاق . هذا الى ان امرا آخر كان يلزم الاشارة اليه في موضوع النحت في العربية ، وهو موافقة الكلمة المولدة بطريقة النحت للذوق العربي ، ولجرس الكلمة العربية ونسيجها الصوتي . ولقد قلت في بحثي « النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العامة » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٠ م ما نصه : « ولا جدال في لزوم أن يكون النحت على وفق ما عرفته اللغة العربية في الماضي من مراعاة اوزان الكلمة ، وحسن نسيجها الصوتي ،

وموافقتها الذوق وحظوتها عند الناس ، بالاستساغة والقبول .» (١٨) . ذلك  
أن النحت إِيصاق ، وأن العربية لغة اشتقاقية ؛ فلا بد من تحقق الشروط  
المذكورة في الكلمة المنحوتة ، ومن الأولى أن نعبّر عن المصطاح المطلوب بأكثر  
من كلمة واحدة على أن نعبّر عنه بكلمة منحوتة تفتقر إلى أي شرط مما  
تقدم من تلك الشروط .

إن الاشتقاق مسلك لغوي دقيق يقتضي التأني والإتقان ، وإن ما مضى  
من الكلام فيه إنما يخص ذلك الاشتقاق الذي يطرد قياسه ولا ينقطع ؛ فهو  
السبيل إلى التوليد الصحيح للكلمة السليمة مبنى ومعنى . أما الاشتقاق  
الذي لا يطرد قياسه بل ينقطع فلا يصح أن يكون قاعدة تسلك في ذلك  
التوليد ، وإلا ظهرت كلمات غريبة على الذوق ، غريبة على السمع والنطق .  
الوسيلة الثالثة : الاقتراض اللغوي : وهو أن تأخذ لغة من لغة أخرى ،  
وذلك عام في اللغات . قال الدكتور علي القاسمي في كتابه : « مقدمة في  
علم المصطلح » : « وهي عملية عرفتها اللغات عموماً حينما يعتمد الناطقون بلغة  
ما إلى استعارة ألفاظ من لغة أخرى عندما تدعو الحاجة إلى ذلك .» (١٩) ومن  
الحق القول بأن فتح هذا الباب على مصراعيه من دون شرط أو ضابط يفضي  
في آخر المطاف إلى إغراق اللغة المقترضة في بحر الدخيل . وقد استنبط علماء  
اللغة العربية مما فعله الفصحاء ضوابط في هذا الباب ، أظهرها أن الاقتراض  
إنما يكون عند الضرورة الملجئة ؛ وهي ألا يعثر من يروم وضع المصطاح العلمي  
على ما يؤديه من الكلمات العربية ، ثم يتعذر عليه توليد الكلمة العربية بالنقل  
الدلالي ، أو بالاشتقاق القياسي ، أو بالنحت ، بمقتضى ما مرّ في هذا البحث  
من لوازم هذه الوسائل وشروطها ، فعند ذلك يلجأ إلى الاقتراض اللغوي ؛  
حتى إذا تقرر ذلك لزم إخضاع اللفظة المقترضة لمنهج التعريب . وبهذا فصّر  
قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو : « يجيز المجمع أن يستعمل بعض  
الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم .» (٢٠) .  
فما منهج التعريب الذي اختطّه الفصحاء ، والذي يلزم أن نسير عليه ؟ إن ذلك

المنهج يقوم على أمرين جوهرين اولهما واجب ملزم ، والثاني جائز لا واجب .  
أما الاول فيخص الصوت وأما الثاني فيخص البناء ؛ وعلى النحو الاتي بياؤه :

الاول - ما يخصّ الصوت : إن الكلمة الاجنبية التي يراد اقتراضها  
وإدخالها متن اللغة العربية عند الضرورة الملجئة التي أشير اليها آفا ، إما أن  
تكون حروفها من حروف العربية نفسها ؛ أي ليس فيها صوت من غير اصوات  
العربية ، وإما أن تكون حروفها من غير حروف العربية ، وإما أن تشتمل على  
النوعين معا . وخلاصة هذا ان الكلمة الاجنبية إما أن تشتمل على صوت لا  
وجود له في العربية ، وإما ألا تشتمل على ذلك . فان هي اشتملت على ذلك  
الصوت الاجنبي كان الواجب هنا تغيير ذلك الصوت الى صوت عربي ، وهذا  
أمر واجب نصّ على ذلك علماء اللغة العربية في القديم . جاء في كتاب سيبويه  
ما نصه : « إعلم أنهم يغيرون من الحروف الاعجمية » (٢١) . وفيه أيضا : « فالبدل مطّرد في كل حرف  
ليس من حروفهم ؛ يبدل منه ما قرب منه من حروف الاعجمية » (٢٢) . وهكذا ،  
كان الفصحاء يغيرون أي صوت غير عربي الى صوت عربي ؛ فلزم الاقتداء  
بهم والاختذ بمنهجهم . قال الجواليقي : « والابدال لازم ؛ لئلا يدخلوا في  
كلامهم ما ليس من حروفهم » (٢٣) . وعلى هذا يكون ما قرره مجمع اللغة  
العربية بالقاهرة من كتابة الاعلام الاجنبية بحسب نطقها في لغاتها الاصلية  
إدخالاً للاصوات غير العربية في اللغة العربية (٢٤) ، وذلك مناقض لمنهج  
الفصحاء في التعريب ، على ما تقدم بياؤه آفاً مع أن المجمع نفسه قد نصّ  
في قراره في التعريب على أن اللفظ الاجنبي الذي يجيزه المجمع عند الضرورة  
يستعمل « على طريقة العرب في تعريبهم » ، على ما تقدم . (٢٥)

وقد تشتمل الكلمة الاجنبية على صوت عربي ؛ فاذا أدخلت في العربية  
غير ذلك الصوت العربي الى صوت عربي آخر . قال الجواليقي : « وليس  
في كلامهم زاي بعد دال إلا دخيل . من ذلك الهنداز ، والمهندز . وأبدلوا

الزاي سينا ، فقالوا : ( المهندس ) (٢٦) . على ان ذلك لا يتحتم في كل حال ؛ ومثاله انه « ليس في أصول أبنية العرب اسم فيه تون بعدها راء ؛ فاذا مرّ بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرّب ؛ فحو : فرجس ، وئرس . . . » (٢٧) وهكذا تركها الفصحاء على حالها ، فلم يبدلوا صوتا من صوت . يقول سيبويه في هذا : « وأما ما لا يطّرد فيه البديل فالحرف الذي هو من حروف العرب » (٢٨)

يتضح ، إذن ، أن الابدال الصوتي في هذا الباب على نوعين ؛ أحدهما مطّرد ، وهو الذي يخص ما تخلو منه العربية من الاصوات التي في اللغات الأخرى . والاخر غير مطّرد ، وهو الذي يخص ما في العربية من الاصوات التي في اللغات الأخرى . يقول الخفاجي : « والحروف المبدلة عشرة : خمسة يطّرد إبدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء مما ليس في كلامهم ، وهي المخطوطة . وخمسة لا تطّرد وهي السين والشين والعين واللام والراء ، وكل حرف وافق الحروف العربية . والحاء قد تبدل من الخاء كما في حبّ ، وخبّ ، وهذا كله أغلبيّ . » (٢٩)

الثاني - ما يخص البناء : من الكلمات الاجنبية ما يوافق بناؤه بناء الكلمة العربية ، ومنها ما لا يوافق . اما الاول فلا إشكال فيه ؛ إذ هو باق على بناءه ، وأما الثاني فان الفصحاء قد يخضعونه لبناء الكلمة العربية ، وقد لا يخضعونه . قال سيبويه : « فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه . » (٣٠) . وواضح أن هذا الالحاق يقتضي تغييرا في البنية اللغوية ، من الزيادة والحذف وغيرهما ، ولكن الفصحاء قد يفعلون ذلك فيما لم يلحقوه ببناء كلامهم ايضا . وقد يتركون الكلمة الاجنبية على حالها ، سواء أعلسى بنائهم كانت أم لم تكن ؛ وذلك اذا كانت تلك الكلمة ذات حروف من حروفهم . (٣١)

وقد يسنّ سيبويه أن الفصحاء حين يُلحِقون إنما يفعلون ذلك على غرار إلحاقهم كلمة عربية ببناء كلمة عربية أخرى ، على ما هو معروف في علم

الصرف العربي ، فقال : « لَمَّا ارادوا ان يعرّبوه ألحقوه ببناء كلامهم ، كما يلحقون الحروف بالحروف العربية . » (٣٢) وعليه ، يحاول المعرّب إلحاق الكلمة الاجنبية ببناء الكلمة العربية ، فان تعذر ذلك حاول جعلها على بناء يقارب بناء الكلمة العربية ، فان تعذر ذلك تركها على هيئتها الاصلية . (٣٣)

لقد واجهت العربية قضية المصطلح العلمي ، عبر التاريخ ، مواجهة برهنت فيها على قدرتها العالية في توليد الالفاظ المعبرة عن المعاني الجديدة وفي نقل دلالات الالفاظ الى ما يتغني المصطلح العلمي ، وفي اعتماد منهج علمي دقيق في الاقتراض اللغوي . وقد شهد العصر الحديث وضع ثروة هائلة من المصطلحات العلمية العربية بالوسائل نفسها ، تلك التي وضع بها علماءنا الماضون مصطلحات العلوم والفنون والآداب .

إن اللغة العربية مستمرة بهذه المواجهة وسط موجات المصطلح العلمي الحديث ، وسيوله الدقّة ، ذلك أن للعربية مناهجها الراسخة ، وقدراتها الكاملة ، وطاقاتها الكامنة ، التي تجعلها وافية بما يراد منها ، معبرة ، مصوّرة في العصر الحديث ، وفي العصور اللاحقة .





## الهوامش والمصادر

- (١) مجلة المجمع العلمي العراقي : مج (٢٤) - ص (١٠) .
- (٢) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث ( مجموعة القرارات العلمية من الدورة الاولى الى الدورة الثامنة والعشرين ) : اخراج : محمد خلف الله احمد ، ومحمد شوقي امين [ القاهرة ( مجمع اللغة العربية ) ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ] : ص (١٤١) .
- (٣) ، (٤) : مقدمة في علم المصطلح : د. علي القاسمي . [ بغداد ( دار الحرية للطباعة ) ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م (نشرته « الموسوعة الصغيرة » : صادرة عن دار الشؤون الثقافية والنشر ) . ] : ص (١٠٨) .
- (٥) مقدمة في علم المصطلح : ص (١١٠-١١١) في الفقرتين : (١٣) ، و(١٥) .
- (٦) ينظر : مفتاح العلوم : السكاكي [ القاهرة ( مطبعة مصطفى البابي الحلبي ) ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م - ط (١) ] : ص (١٦٨ - فما بعدها ) ، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان : السيوطي [ القاهرة ( دار احياء الكتب العربية ) د.ت ] : ص (٩١ - فما بعدها ) .
- (٧) مقدمة في علم المصطلح : ص (١٠٧) .
- (٨) لسان العرب : ابن منظور [ بيروت ( دار صادر ) ١٣٧٥ - ١٣٧٦هـ/١٩٥٥ - ١٩٥٦م ] : مادة « ق ط ر » .
- (٩) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (١٨ - ٢٠) .  
أشار المجمع في ختام قراره الى انه ان سماع عن العرب ما يخالف هذا القياس « عملنا بالمسموع فقط ، او عملنا بالمسموع او القياس » . ونرى ، في هذه الحالة ، الاخذ بالمسموع فقط ؛ لان السماع اذا ورد يبطل القياس .  
ينظر : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : د. محمد ضاري حمادي ( [ بغداد ( دار الرشيد - بوزارة الثقافة والاعلام ) ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ] : ص (٢٧٥) .
- (١٠) ، (١١) : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (٣٤) .
- (١٢) ، (١٣) : ينظر : حركة التعريب في العراق : د. احمد مطلوب [ بغداد ( معهد البحوث والدراسات العربية - بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ] : ص (١٧٩-١٨٢) .
- (١٤) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (٧٠) .

- (١٥) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : مصطفى الشهابي [ دمشق (مطبعة الترقى) ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م - ط ٢ ] : ص (٧٦) .
- (١٦) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (٩) .
- (١٧) كتاب في اصول اللغة : اخراج : محمد خلف الله احمد ، ومحمد شوقي امين [ القاهرة ( مجمع اللغة العربية ) ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ] : ص (٤٩) .
- (١٨) مجلة المجمع العلمي العراقي : مج (٣١) - ج (٢) - ص (١٨٧) .
- (١٩) مقدمة في علم المصطلح : ص (١٠٠) .
- (٢٠) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (٨٣) .
- (٢١) ، (٢٢) : كتاب سيبويه [ تح : عبدالسلام محمد هارون . القاهرة (الهيئة العامة المصرية للكتاب ) ١٣٨٥-١٣٩٧هـ/١٩٦٦-١٩٧٧م ] : ٣٠٣/٤ ، ٣٠٦/٤ .
- (٢٣) المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم : الجواليقي [ تح : احمد محمد شاكر . القاهرة ( مطبعة دار الكتب ) ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م - ط ٢ ] : ص (٥٤) .
- (٢٤) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : القسم الثالث : ص (٩٥) - فما بعدها ) .
- (٢٥) ينظر : الهامش العشرون .
- (٢٦) ، (٢٧) : المغرب : ص (٥٩) .
- (٢٨) : كتاب سيبويه : ٣٠٦/٤ .
- (٢٩) شفاء القليل فيما في كلام العرب من المغرب والدخيل : الخفاجي [ تح : محمد عبدالمنعم خفاجي . القاهرة ( المطبعة المنيرية ) ١٣٧١هـ/١٩٥٢م - ط ١ ] : ص (٢٥) .
- (٣٠) ، (٣١) ، (٣٢) : كتاب سيبويه : ٣٠٣/٤ ، ٣٠٤/٤ ، ٣٠٤/٤ .
- (٣٣) اصطلاح مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما جاء من المغرب في معجمه الوسيط بالرمز ( مع ) ، ويدل على « اللفظ الاجنبي الذي غيره العرب بالنقص ، او الزيادة ، او القلب » واصطلاح على ما جاء من الدخيل في المعجم المذكور بالرمز (د) ، ويدل على « اللفظ الاجنبي الذي دخل العربية دون تغيير » . ينظر : المعجم الوسيط : اخراج : ابراهيم مصطفى وآخرين . القاهرة ( مجمع اللغة العربية ) ١٣٨٠-١٣٨١هـ/١٩٦٠ - ١٩٦١م ] : ص (١٤) من التقديم .

# القرآن الكريم مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياتها

حفصة رمزي العمري  
المدرسة في كلية الهندسة  
جامعة بغداد

## المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين الذي لا اله الا هو  
والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله  
وصحبه .

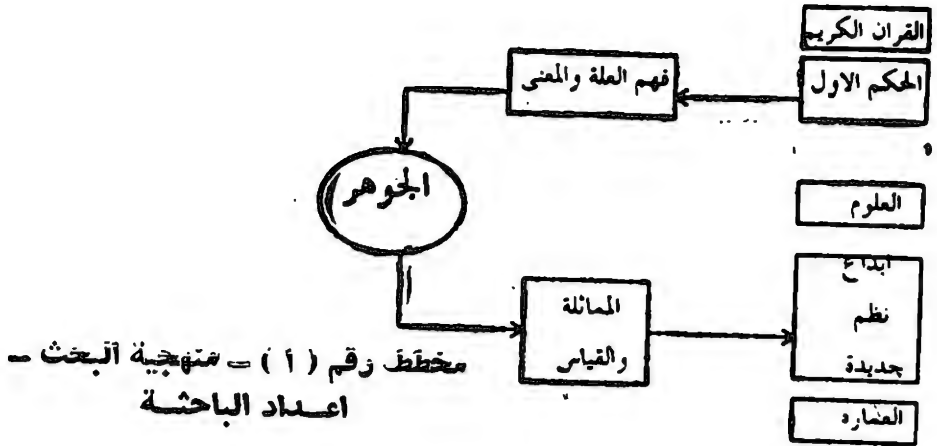
ان لكل حضارة من الحضارات تصوراً وفكراً سائداً يفهم على وفقه له  
كل شيء وهو الذي يحدد معالم هذه الحضارة ويملي منهجيتها والذي تعبر  
عنه نتائج الانسان المتنوعة ومنها العمارة التي تفهم كاحدى مواضيع المعرفة  
الانسانية وكظاهرة حضارية تتكون من حقل نظري متأث من تطور الفكر  
البشري الذي تكون فيه العمارة موضوعاً تجري معرفته وتطوره الذاتى  
بالفكر ، وحقلاً عملياً يمثل تطبيقات لهذا الفكر وانتقالاً من المجرد الى  
العيني ، وهنالك دائماً وحدة بين الفكر والتطبيق وكلاهما يدعم الآخر .

ولقد تميزت العمارة الاسلامية بخصائص اعطتها هوية ميزتها عن باقى  
الحضارات وان تحقيق الهوية والخصوصية يتطلب الموازنة بين عدة بنىات  
( بنية الوجود الانساني ، بنية الوجود المكاني ، واخيراً تأثير عامل الزمان )  
وهي عملية تواصل مستمرة بين الماضي والحاضر والمستقبل حيث ذهب اليه  
كثير من منظري العمارة الى اعتبارها احدى الظواهر الحضارية المتسمة  
بالشمولية . ومما لاشك فيه ان الفكر والفلسفة والمعتقد هي احدى العوامل

المهمة والاساسية التي اسهمت في تحقيق هوية مشتركة للعمارة الاسلامية على الرغم من امتدادها على ارض شاسعة لها ظروف بيئية وطبيعية وثقافية وحضارية مختلفة ولفترات زمنية طويلة .

ان تحقيق الهوية كان ولا يزال احد المحددات الاساسية التي تشغل فكر كل معماري عربي ومسلم وايماناً باهمية الموضوع الذي يحتاج الى المزيد من البحوث فاننا في هذا البحث نتناول احد المحددات المهمة لتحقيق الهوية وهو الفكر الاسلامي ومما لاشك فيه ان القرآن الكريم هو المنبع الاصيل للفكر الاسلامي ، وهو البحر المحيط الذي تتشعب منه علوم الاولين والآخرين كما ذهب الى ذلك العديد من العلماء امثال الكندي والتوحيدي والغزالي والرازي وغيرهم من علماء المسلمين الاوائل والمتأخرين فقد قال الزركشي « كل من كان حظه في العلوم اوفر كان نصيبه في علم القرآن أكثر » . وتستند فرضية البحث الى ان القرآن الكريم وأعجازه مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياتها . ويهدف البحث الى ايضاح سبل الماثلة بين علوم القرآن وأعجازه وبين العمارة والذي يمين في استنباط نظريات معمارية فلسفية وعلمية تحقق سبق العلمي وتؤكد الاعجاز القرآني وتذكر بعظمة الله ونعمه على عباده المؤمنين . قال تعالى « سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » ( فصلت ٥٣ ) . وبذلك يستند المنهج الى مفهوم الماثلة والقياس بين العمارة وعلوم القرآن الكريم ( مخطط رقم ١ ) .

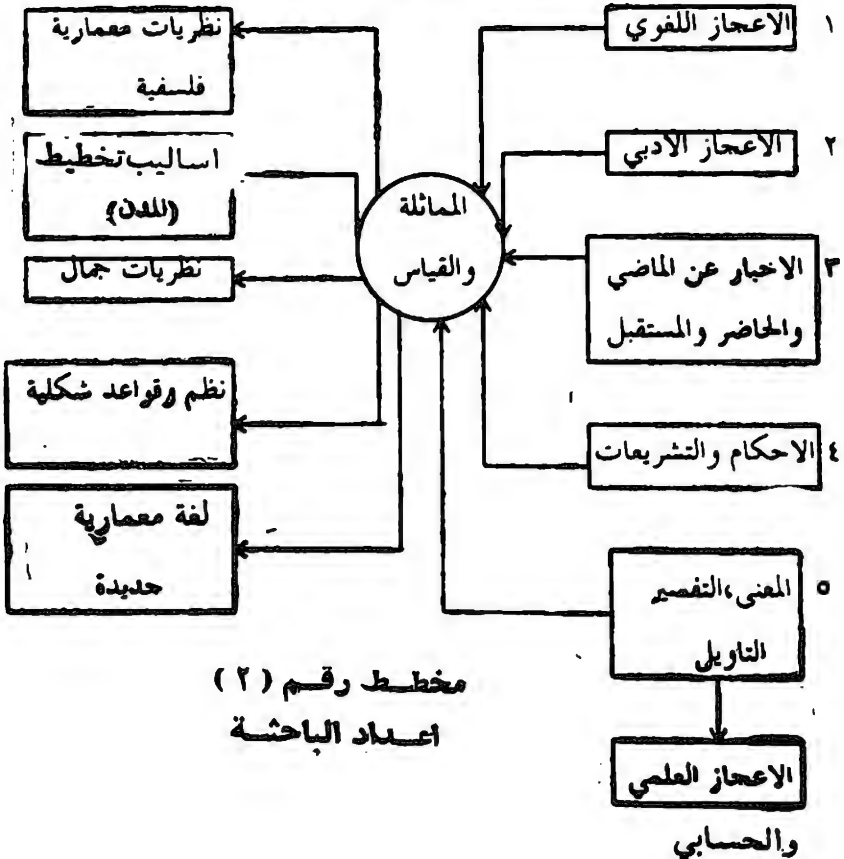
ونظراً لان موضوع الاعجاز القرآني قد يكون بعيداً عن تصور العديد من المعمارين فقد قسم البحث الى بايين اساسيين الباب الاول يضم المدخل والتعريف بالاعجاز القرآني ثم انواع الاعجاز القرآني . ويضم الباب الثاني الماثلة والقياس والعمارة وسبل الاستنباط والاستدلال من القرآن الكريم .



العلوة :-

القران  
الكريم

الاستنباط



ونفتذر من الاطالة في الباب الاول حيث نفتقد بأهميته ولا سيما بعد كثرة دراسة المناهج الفلسفية الغربية في اقسام العمارة في الجامعات والتأثر بها من غير العودة الى المنهج الفكري الذي خص به الله عز وجل العرب والمسلمين ليكونوا خير امة اخرجت للناس والتي تحميهم من التخطط بالمناهج والسبل .

فان وفقت لذلك فأجره على الله تعالى وحده ، وان اخطأت فأسال الله تعالى التوبة والمغفرة والحمد لله كثيرا .

## الباب الاول

### ١ - المدخل :

ان القرآن الكريم هو مشكاة الهداية ومركز الاشعاع الذي يفيض بالنور على وجه الزمن ويهدي الى ما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ، لم يترك ناحية من نواحي الحياة الانسانية دينية كانت ام دنيوية الا آفاد فيها السبيل وارشد فيها ، الى اقوم الطرق واحسن المناهج ، قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ( النحل ٨٩ ) « وانزلنا اليكم فوراً مبيناً » ( النساء ١٧٤ ) (٢) .

ولقد ترك الله عز وجل اكتشاف اعجاز القرآن في شتى النواحي للازمان والقرون مصداق ذلك قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . فان حرف السين في لفظ سنريهم تفيد المستقبل والمستقبل يستمر ، كلما أنقرض جيل يأتي جيل بعده ، وهكذا الى قيام الساعة فيكون عطاء القرآن متجدداً (٣) . قال عز وجل « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون » ( العنكبوت ٤٩ ) ، والاية هي العلامة والحجة وقد تكون الاية برهاناً علمياً يعجز المبطلون عن معارضته وقد تكون برهاناً روحياً يعجزون عن مقاومته وقد تكون برهاناً مادياً يبهت الحواس قبل العقول والآرواح

مثل عصا موسى عليه السلام ، ولحكمة ربانية سمي كل مقطع في القرآن الكريم بآية • ونلاحظ ان القرآن الكريم استعمل لفظ ( آية ) ، غير ان اصطلاح المتكلمين المسلمين جرى على لفظ ( المعجزة ) • ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ومعانية لا تستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن (٤) •

## ٢ - اعجاز القرآن الكريم :

تبين لنا مما سبق ان القرآن الكريم يتسم بالشمولية ، وهي من اعجازه ، وقد تناول اعجاز القرآن الكريم العديد من العلماء والمفسرين والفقهاء واللغويين والعلماء وتنوعت وجهاتهم • فقد قال السيوطي في اعجاز القرآن ( المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة ، وهي اما حسية واما عقلية • واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم • واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم • ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة ، خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذو البصائر (٥) •

واورد الحداد في كتابه ( نظم القرآن الكريم ، الجزء الاول » اعجاز القرآن » ) العديد من الالوجه التي توصل اليها العلماء والمفسرون والتي اخذ بها من كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٦) • ويمكننا ان نقول في مسائل الاعجاز القرآني ( بما له علاقة بموضوع البحث ) ما يأتي :

- ١ - الاعجاز اللغوي ( البلاغة ، الفصاحة ، البيان ، البديع ، ..... ) •
- ٢ - الاعجاز الادبي ( النظم ، الاسلوب ومخاطبة النفس البشرية ) •
- ٣ - الاعجاز في الاخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل ( التنبؤ ) •
- ٤ - الاعجاز في الاحكام والتشريع •
- ٥ - الاعجاز في المعنى ( التفسير والتأويل والاستنباط ) • والذي يمكن ان نقول فيه :

## ٥-١ الاعجاز العلمي والحسابي •

ولا نقول ذلك حصراً وانما قد يتم التوصل الى كثير من المسائل الحديثة والمستقبلية والمواكبة لكل زمان ٠٠٠ ( والله اعلم ) •

## ٣ - انواع الاعجاز القرآني :

### ٣ - ١ - الاعجاز اللغوي :

لقد توجه علماء العرب القدامى مثل عبدالقاهر الجرجاني ويحيى بن حمزة وغيرهم من الكتاب والبلاغيين والنقاد لدراسة الاعجاز اللغوي ، فقد وجدوا في القرآن وما لم يجدوه في كلام العرب ٠٠ (٧) •

وقد اورد كثير من العلماء المسلمين عددا من الاعجازات اللغوية للقرآن الكريم ونرى هنا انه من الفائدة ذكر بعضها والتي تفيد المعمارى في القياس عليها ، ( كما سيتم توضيحه ) ، ونورد منها :

### ٣ - ١ - ١ - البيان :

يضم البيان المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والحصص والاختصاص والايجاز والاطناب وغيرها من الوجوه • ويعد المجاز أصل البيان والبديع والبلاغة ، حيث لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن وهو كل لفظ بقي على موضوعه وهو اكثر الكلام اما المجاز فهو ابلغ من الحقيقة كقوله تعالى: « كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو • • » فالدعاء من النار مجاز • أما التشبيه فهو اخراج الاغص الى الاظهر ، والغرض منه تأنيس النفس باخراجها من خفي الى جلي • أما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة وقيل هي مجاز عقلي ، وحكمة الاستعارة اظهار الخفي ، وايضاح الذي ليس بجلي وهو انواع مثل : « وفجرنا الارض عيوناً » وهي المبالغة •

### ٣ - ١ - ٢ - البديع في القرآن :

البديع علم وفن في محسنات الكلام اللفظية والمعنوية لذلك فهو يشترك في الكثير من اشكاله مع فن البيان ويقتصرون في البيان على اوجه المجاز



والاستعارة والتشبيه ، ويتركون سائر الوجوه عادة للمحسنات اللفظية في البديع ، ذكر منها الحداد ١٦٨ نوعا ، نورد منها : التجريد ، والانسجام ، والائتلاف ، والاستثناء ، والابدال ، والتعديد ، والجمع ، والمؤتلف والمختلف ، والمبالغة ، والافراط ، والطباق ، والمقابلة ، والبراعة في الاستهلاك وائتلاف الفاصلة مع الآية ، والتكرار والامتساع والمقارنة والمناقضة والافصال وحسن الختام<sup>(٨)</sup> .

### ٣ - ٢ - الاعجاز الادبي :

شكل الاعجاز اللغوي بداية التوجه الحديث نحو الاعجاز الادبي الا ان بداياته الاولى كانت في العديد من الكتب القديمة ولعل الزمخشري من أشهر المفسرين اهتماما بالبلاغة والتفسير الادبي ويكاد كشافه يكون عمدة هذا الاتجاه والذي يعني بايصال كلمات القرآن وعباراته الى القلوب قبل ايصالها الى الآذان وفي هذا خير عظيم لا يعرفه الا من تذوق القرآن وأدرك ما فيه من حكمة بالغة وقول فصل .

وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب كثيرا من المفسرين المتوجهين بهذا الاتجاه ، منهم قول الاستاذ محمد الذهبي بأن التفسير في هذا العصر يتلون باللون الادبي الاجتماعي<sup>(٩)</sup> . ويرى سيد قطب في كتابه التصوير الفني للقرآن ، ان المفسرين الاوائل لم يبحثوا الجمال الفني في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي البالغ حد الكمال فخرجوا في مباحث فقهية وجدلية ونحوية وصرفية وتاريخية وأسطورية وبذلك ضاعت الفرصة التي كانت مهيئة للمفسرين لرسم صور واضحة للجمال الفني للقرآن . ويفسر كثيرا من آيات القرآن الكريم على وفق هذا التصور بشكل رائع . وهو بهذا يعالج النواحي الحسية والنفسية والفنية والذوقية الجمالية للقرآن<sup>(١٠)</sup> .

### ٣ - ٣ - الاعجاز بالاخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل : ( الفيوب )

( وهي من معجزات القرآن العظيم . ما تضمنه من اخبار عن قصص

الاولين حكاية من شهداء وحضرها • وما فيه من الاخبار عن الفيوب المستقبلية التي وقع بعضها في زمن الرسول (ص) • ولا يزال الكثير منها مستمر بالاخبار عن المستقبل ) حيث يقول الدكتور عماد الدين خليل ، في القرآن تنهواى الجدران التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وهو امتداد وجداني لمساحة واسعة (١١) • وقد أورد بعض العلماء العلوم الكونية والطبيعية ضمن هذا الباب ، فضلا عن الاحداث والاخبار •

### ٣ - ٤ - الاعجاز في الاحكام والتشريع :

جاء القرآن كتاب هداية لانقاذ البشر من الضلال حيث يتناول بتفصيل معجز علاقة الانسان بربه وعلاقة الانسان بالانسان وينتجه الاسلام الى الواقعية المثالية ليحقق مجتمعا علميا متطورا ومثاليا في منهجه واخلاقه •

وقد حمل القرآن الكريم والدين الاسلامي اتجاهين رئيسين :

٣-٤-١- الاتجاه الاول المتضمن لعقيدة التوحيد وعبادة الله عز وجل وتحديد العلاقة بين الانسان والخالق • وقد اعتبر سيد قطب التوحيد المفهوم الاول للتصور الاسلامي ، ان التصور الاسلامي هو الوحيد الذي بقي قائما على اساس التوحيد الكامل الخالص خلافا عن باقي الاديان والعقائد • فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته متفرد في خصائصه « ليس كمثله شيء » ( الشورى ١١ ) ، « فلا تضربوا لله الامثال » ( النحل ٧٤ ) انه تحرير الانسان من العبودية للعباد يحقق الثبات والتوازن في حياة المسلم يمنعه من التخطي في الافكار « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ( الروم ٣٠ ) حيث يجد المسلم العديد من صور التوازن ، بين عالم المادة وعالم الروح ، بين فاعلية الانسان وفاعلية الكون • محققا الايجابية والواقعية فالدين الاسلامي دين ايجابي يدعو الى العلم والعمل فوجود الانسان على الارض يقتضيه حركة وعمل في ذات نفسه وفي الآخرين من حوله فهو دين للحياة والواقع •

٣-٤-٢- الاتجاه الثاني : وقوف التصور الاسلامي على قاعدة التوحيد  
فالله هو الخالق المبدع المهيمن المدبر والكون والانسان من ابداع الله وبينهما  
تفاعل وتناسق ، والانسان مسلط على المادة يدع فيها ينشئ ويطور ويغير  
ويظهر اسرارها . وان خلافة الانسان في الارض استلزمت الاحكام  
والتشريعات الموجهة لسلوكه فردا وجماعة مما تمكنه من اقامة حضارة تكرم  
الانسان وتوحد الله وتعم فيها المثالية والقيم الاخلاقية التي تحدد طبيعة  
العلاقات الانسانية ، المسلمين مع غيرهم ، المسلمين فيما بينهم ، فسادت بذلك  
كثير من المفاهيم والمضامين الاجتماعية التي أدت دورا مهما وأساسيا في  
تخطيط المدينة الاسلامية والعمارة الاسلامية وتصميمها منها :

١ - مفهوم الوسطية : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء  
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ( البقرة ١٤٣ ) وعن الرسول  
(ص) « خير الامور اوسطها » .

٢ - المساواة : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط « ( النساء  
١٣٥ ) » وعن الرسول (ص) « المسلمون سواسية كأسنان المشط » .

٣ - البساطة : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا  
أخذ ايسرهما ما لم يكن اثما » .

٤ - التواضع : « والله لا يحب كل مختال فخور » ( الحديد ٢٣ ) .  
٥ - عدم الاسراف : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب  
المُسرفين » . مع اظهار النعمة .

٦ - الاحساس بالجمال : « من حرم زينة الله التي اخرج لعباده  
والطيبات من الرزق » ( الاعراف ٣٢ ) .

٧ - التكافل الاجتماعي : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم  
فصاصة » ( الحشر ٩ ) . والمثالية في الاخلاق .

٨ - الخصوصية ( العزل البصري ) •

٩ - التجريد وكراهية التصوير •

١٠ - الحقوق الاجتماعية : حق الطريق ، حق الجيرة ، حق الماء ، وسلامة

البيئة ، وسيادة مبدأ « لا ضرر ولا ضرار » •

٣ - ٥ - الإعجاز في المعنى ( التفسير والتأويل والاستنباط ) :

ان أصل الوقوف على معاني القرآن هو التفكير والتدبر ويتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه • قال ابن فارس : معاني العبارات التي يجرى بها عن الاشياء ترجع الى ثلاثة ، المعنى والتفسير والتأويل ، فأما المعنى فهو القصد والمراد ، والتفسير هو الاظهار والكشف ، أما التأويل فأصله من المال وهو العاقبة والمصير ، فكان التأويل صرف الاية الى ما تحمله من المعاني (١٢) •

ويقول الزركشي بأن الإعجاز يكون في اللفظ والمعنى والملاءمة ( النظم والتأليف ) • وان في القرآن علم الاولين والآخرين وما من شيء الا ويمكن استخراج منه (١٣) • وقد أوضح الامام الغزالي في كتابه « جواهر القرآن » أهمية التفسير والتأويل حيث بين بأن جواهر القرآن لها أصداف والصدف هو أول ما يظهر، فصدف القرآن وكسوته اللغة العربية وعلومها والتي تراد للتفسير ، وينهي بعلم أصول الفقه وهو ضبط قوانين الاستدلال بالآيات والاخبار على احكام الشريعة (١٤) •

ان توجه العلماء الى التفسير والتأويل والاستنباط والاستدلال من آيات وسور القرآن الكريم هي التي قادت الى اظهار الإعجاز العلمي والإعجاز الحسابي للقرآن الكريم التي ستظهر المزيد من العلوم والمعارف بأذن الله .... •

### ٣ - ٥ - ١ - الإعجاز العلمي :

لقد حث الله عز وجل على العلم والتعلم وبين أهمية العلماء وتفضيل آدم على الملائكة بالعلم وأستحباب الرحلة لطلب العلم ، كما حث على تعلم عدد السنين والحساب<sup>(١٥)</sup> . ومشروعية الاستنباط « ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (النساء ٨٣) .

بين كثير من العلماء القدامى بأن القرآن الكريم حوى مفاتيح كل علوم الدنيا والدين وكان منهما وما يكون الى يوم القيامة ، وكان من أبرزهم الامام الغزالي الذي أكد في كتابه « احياء علوم الدين » : بل كل ما اشكل فهمه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ، وفي القرآن اليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدررها « ثم يمضي في كتابه « جواهر القرآن » فيقرر هذا الرأي حيث يعقد الفصل الخامس منه بكيفية افشاع سائر العلوم من القرآن .

ثم يأتي جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ ، ويقرر في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » وفي كتابه « الاكلیل في استنباط التنزيل » ما قدره الغزالي ، من ان القرآن قد حوى كل علوم الاولين والآخرين ، ( وهو ما ايده الزركشي ) كما بينا ، ويسوق من الادلة على ذلك قوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ( الانعام ٣٨ ) وقوله « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ( النحل ٨٩ ) ثم تكلم عن العلوم التي تفرعت عن القرآن من علم القراءات ..... الى علم الهندسة والجبر وغيرها .... وفيه أصول الصنائع وأسماء الالات<sup>(١٦)</sup> . ويؤيد ذلك الرازي في اهتمامه بالمسائل العلمية والظواهر الفلكية فيوسع معاني الاستدلالات القرآنية<sup>(١٧)</sup> .

ومعنى الإعجاز العلمي كما قرره الشيخ عبدالمجيد الزنداني في كتابه « تأصيل الإعجاز في القرآن والسنة » بأنه « اخبار القرآن الكريم بحقيقة علمية اثبتها العلم التجريبي وثبت عدم امكانية ادراكها بالوسائل البشرية في

زمن الرسول ( ص ) » (١٨) . وقد أورد مؤلفا كتاب الموضوعات الطبية في القرآن الكريم المقاصد الآتية من استدلال القرآن الكريم بالموضوعات الطبيعية :-

١ - اظهار قدرة الخالق عز وجل والتفكير بعظمته سبحانه وتعالى وبيان نعمة الكثيرة على عباده .

٢ - تنبيه العقول للتفكير والتدبر والنظر والاستنباط ( البحث والسبق العلمي ) . وبالاسلوب الذي يلائم جميع الاجيال وحسب المستوى العلمي لكل جيل ، وبيان الاعجاز العلمي وتعزيز معاني واركان الآيات ( كالإيمان بالله واليوم الآخر ) .

ونجد ان القرآن الكريم سبق عصر العلم والعلماء باعجازه العلمي بأربعة عشر قرنا من الزمان ، في خلق الانسان والطبيعة والكون ، وكلما وصل العلم الى حقيقة مستقبلا .. وجد ان القرآن سبقه اليها وسبق قوله بها (١٩) . ولقد أنكشفت للمسلم آفاق جديدة في اعجاز القرآن الكريم وهي الاعجاز العددي الحسابي في الرسم العثماني حيث اتجهت كثير من البحوث الحديثة نحو هذا الباب الجديد الذي يفتح آفاقا جديدة مواكبة لعصر الاتصالات والحسابات ( الكمبيوتر ) (٢٠) .

## الباب الثاني

### ١ - المماثلة والقياس والعمارة :

ان الله هو الخالق البارئ المصور وهو الذي يستطيع اليجاد من العدم. أما الانسان فإنه لا يبدع من غير مادة وجودية ، التي هي الاساس التي يستند اليها فعل الانسان وعليه يجري عملياته الذهنية ، من تركيب وتفكيك وهي عامة في كل الفعل الانساني ، الا أن الفعل الابداعي يتميز بالقدرة على المماثلة ، حيث يقول ابن تيمية « ان أصل العلوم العقلية والنظرية اعتبار

الشيء بمثله» (٢١) . واساس انواع المماثلة هو المجاز ، اي الاستعمال المجازي للافكار ، والمجاز يقوم بربط شيئين مختلفين او حتى غير مترابطين . او قد تكون المماثلة تشبيه ، ويقول الجرجاني « الاستعارة ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل » . ويقول الجابري « بنية التشبيه (المماثلة) هي نفسها بنية القياس » (٢٢) .

القياس في اللغة هو تقدير شيء على مثال شيء آخر وتسويته به ( ١٧ - ص ١٣٧ ) . وهو اساس الفعل العقلي والذهني ، وهو استخراج علاقات موجودة اصلا بصورة كامنة ولذلك يطلق عليه بالاستنباط او الاستدراج ، اي استخراج المعرفة من الاصل ، فالقياس اذن اظهار لعلاقة وليس ايجادها من العدم ، وهو تقدير شيء على مثال شيء آخر وتسويته به . واركاز القياس في التشريع الاسلامي اربعة هي الاصل والفرع والعلة والحكم .

فمثلا في قياس التمثيل نقول بين رأس الانسان وجسده ( الاصل ) مفصل ( رقة ) . والعلة كونهما جزءين مختلفين ، لذلك فإن الحكم وجود ( مفصل ) ينقل الى الفرع ( بدن العمود والجسر ) (٢٣) .

والقياس هو اساس كل ابداع علمي وفني ويقوم على اساس الجمع بين التشابهات والتفريق بين المختلفات والمبنيات على وجود علة مشتركة بين الاصل والفرع . والقياس الاسلامي ينتقل الى القياس والمماثلة المعمارية .

ونورد رأي الفاروقي الذي يرى أن القرآن الكريم مصدر اساسي للتأثير على تكون الفنون الاسلامية حيث يرى بأن تأثير القرآن الكريم على الفنون يكون من خلال ثلاثة مستويات .

المستوى الاول : القرآن مصدر للتوحيد ، وان الرسالة الاسلامية تعبر عن التوحيد ، و اشار الى ان صفات التعبير الجمالي عن التوحيد هي

اللانهاية والكمال وتم هذا في الفن من خلال التجريد والبنية القياسية والربط المتتابع والتكرار والحركة الديناميكية ( مفهوم الزمان والمكان في الفن )  
واخيرا التعقيد •

المستوى الثاني : ان شكل القرآن الكريم هو شكل فني ، مكون من السور والآيات ، يعبر عن اللانهاية في النسق للفن الاسلامي والذي يعبر عنها الاعجاز القرآني في اللفظ والتشكيل وطرح المعاني والقيم والقصص معبرا عن الخصائص الستة السابقة :

اما المستوى الثالث : فهو كون القرآن مثل فن ايقوني ، حيث لم يعط الفن العقائدية ( الايديولوجية ) والمحتوى والشكل فقط وانما اعطاها المادة فأصبح هو المادة المستخدمة في فن جديد وهو فن الكتابة الاسلامية المميز للعمارة الاسلامية (٢٤) •

ونعتقد ان كل اوجه الاعجاز القرآني السابقة الذكر تمثل اوجها للمائلة والقياس مع العمارة وتمكن من استنباط نظريات وعلوم معمارية حديثة •  
حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم • وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى • ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله • وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم • وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنه ، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة السرد ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا « انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولم نشرك بربنا احدا » • ومن قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم ) • رواه وصححه الترمذي عن الحارث الاعور عن علي رضي الله عنه •



## ٢ - الماثلة بين الإعجاز اللغوي والعمارة :

تمثل اللغة إحدى الحقول الخصبة التي أثرت على العمارة ولا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد انتشار الفلسفة البنيوية والعلوم السيمائية والمتمثلة بدراسات الفيلسوفين بيرس ودي سوسور ، التي انعكست على العمارة بمحاولات كثير من المماريين بالماثلة بين العمارة واللغة من خلال ثلاثة مستويات أشار إليها جارلس مورس (٢٥) وهي :

٢ - ١ - المستوى البراغماتي ( العملي ) : وهو المستوى الذي يتعامل مع الأصول والاستعمالات واثـر العلامات على أولئك الذين يستعملونها ، والتي قادت إلى مجال الدراسات التقنية والبيئية في العمارة والتي أشار إليها شولز في كتابه Intentions in Architecture والتي تشمل كل العوامل النفسية والاجتماعية التي تشارك كأهداف ومقاصد مبتغاة (٢٦) .

ومما لا شك فيه أن اللغة وسلوك الإنسان والنواحي النفسية كلها تمثل مواضيع يمكن دراستها من خلال اللغة والنظم والمعنى في القرآن الكريم حيث يتضمن القرآن الكريم ما يقارب الـ ( ١٧٣ ) آية في الطب النفسي وطب المجتمع (٢٧) .

٢ - ٢ - المستوى التركيبي للغة ( اللفظ ) : وهي القواعد الهيكلية للغة تكون الكلمات والالفاظ من الأحرف ومن ثم تركيب الجمل . وهو ما اهتم به جومسكي وعمل كثير من المماريين على الماثلة بين نظم اللغة التركيبية ونظم العمارة أمثال برودبنت (٢٨) حيث توصل إلى فهم العمارة من خلال هذه الماثلة مع البنية العميقة Deep Structure التي افترضها جومسكي على اعتبار أن لكل إنسان مقدرة فطرية على توليد الجمل فنحن نمتلك فهماً معيناً للعالم .

ثم عن طريق المماثلة حاول دراسة الغرائز غير التعليمية التي تحفز على تكوين العمارة مثل الجوع ، الامان ، الراحة والتنفس ... فاستخرج اربع بنيات عميقة متجذرة في العمارة هي :-

- ١ - العمارة كحاوي Container
- ٢ - العمارة كمعدل Modifier
- ٣ - العمارة كرمز Symbol
- ٤ - العمارة كمستهلك Consumer

ومن خلال عملية التحويل والمطابقة توصل الى اربعة اساليب تصميم :

اشكال لغوية ( سوسير )	مماثلة	اساليب تصميم
١ - Phonetic		١ - Pragmatic Design
٢ - Analogical		٢ - Typolic Design
٣ - Folk entymology		٣ - Analogic Design
٤ - Agglutination		٤ - Canonic Design

كما استخدم المعماري بيتر ايزمن اسلوب المماثلة مع نموذج جومسكي لغرض انشاء قواعد ولغة جديدة<sup>(٢٩)</sup> ونجد هنا - أيضا - ان قواعد تركيب اللغة والنواحي الغرائزية والفطرية عند الانسان تمثل مواضيع لها اصول واضحة في القرآن الكريم تعطي تفسيرات اكثر صدق وعلمية من تفسيرات الانسان .

## ٢ - ٣ - المستوى الدلالي :

بما ان الاساس هو التعبير عن معان من خلال الالفاظ فان الالفاظ وحدها غير قادرة على نقل المعنى ، وانما يكون عند الضم وتكوين علاقات وهو ما

اهتم به علماء الدلالة امثال دي سوسير حيث اعتبر اللغة دالة على مدلول •

وان الانتقال من نظام اللفظ الى نظام المعنى انما يتم عن طريق الاستدلال والطابع الاستدلالي هو ما يميز الاساليب البلاغية في اللغة وهي اللغة المجازية ثم الاستعارة والكناية والتمثيل •

ولقد استعملت الاستعارة في مجال العمارة في مختلف الازمان مثل مبنى TWA في نيويورك المصمم من قبل المعماري ايروسارنين وهي استعارة من شكل الطير والطائرة والطيران وهي استعارة تعتمد على تشبيهات مباشرة • وهناك نوع آخر يؤدي الى المشاركة العقلية للمتلقي مثل كنيسة رون شام للمعمار لو كوربوزيه حيث قورنت باشكل متعددة مثل البطة السفينة واليد و..... ولكن لو كوربوزيه اوضح بأنها استعارة من شكل الصدفة<sup>(٣٠)</sup> •

واستخدام المجاز المرسل في مسجد جامعة بغداد فالقبة جزء من المسجد في العمارة التقليدية ، ولكونها جزءا مهما منه فقد استعير بها عن المسجد واستخدام الكناية في باب الفتوح في القاهرة في مصر تعبير عن القوة والمنعة •

ويتبين مما سبق ان الاستفادة من انواع البديع والبيان المذكورة سابقا في القياس والمماثلة في العمارة تهيم كثيرا من الابواب المفتوحة للباحثين المعماريين المسلمين لتحقيق الابداع والسبق العلمي والنظري •

## ٣ - المماثلة بين الاعجاز الادبي للقرآن والعمارة :

لقد اتجه كثير من المعماريين الى دراسة اثر النواحي الحسية والروحية على العمارة من خلال الروى الشعرية عند الفرد والجماعة امثال لويس كان وشولز متأثرين بفلسفة هايدكر الظاهرية باعتبار الشعر يعبر عن حقيقة الوجود الانساني ، الا ان هذه التوجهات بقيت غير واضحة وتتسم بالغموض والذاتية ، وهنا ممكن ان تضع الدراسات القرآنية اطاراً اكثر علمية وموضوعية

بهذا الخصوص • يقول الاستاذ عبدالكريم الخطيب رحمه الله « والصدق الذي نزل به القرآن صدق مطلق تناول الحقائق كلها من جميع جهاتها • الحقائق الكونية والحقائق الدينية والحقائق الدنيوية جميعاً • فكل مقررات القرآن الكريم عن السنن الكونية وعن الوجود الانساني ... قائمة على الحق المطلق الذي لا يتغير ولا يتبدل • وليس كذلك الحقائق التي يتصورها الناس ، لن تخلو من شوائب الضعف البشري ولن تصفو ابداً من كدر الطبيعة البشرية (٣١) •

والاعجاز الادبي هو المتمم للاعجاز اللغوي الا انه يتناول الاحاسيس والمشاعر والنوازع الفنية والجمالية للانسان ، وبذلك فانه يكون نظام فني وجمالي متكامل يمكن ان يستخلصه المعماري لابداع نظام جمالي حيث نجد في التصوير الفني للقرآن امكانية الابداع واسعة فوصف الصورة والحركة والايقاع الموسيقي واللون والظل والتكرار والتوازن والتناسق والاتساق والتماثل والوحدات ، كلها تكون نظاماً فنياً وقواعد للتصوير المعماري ممكن استخدامها في استقلالية الشكل وتلقائية العمارة Autonomous Architecture والانماط الشكلية وبذلك تحقق العمارة النواحي الحسية والجمالية • وبما يوافق فطرة الانسان ويحقق الذوق السليم • حيث يحقق الوحدة والتوازن والنظام والتكرار الا اننا نجد التنوع في الوقت نفسه ، حيث نلاحظ التنوع في العرض بالوصف ، مثل النخيل والاعناب والزيتون الذي يحوي تنوعاً في اللون والمشاهد وهناك التنوع في التعبير والالفاظ ، ويتم التناسق والتناسب من خلال نظام صحيح ، سرد عذب ، معنى مترابط ، نسق متسلسل ، تعبير مصور ، موسيقى منظمة ، وبهذا كله يتم الابداع (٣٢) •

٤ - المماثلة بين الاعجاز في الاخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل والعمارة :  
احدى مقاصد الاخبار والقصص عن الماضي هي العبر والاستنباط من الاحداث والاحكام ، وقد استنبطه عبدالعزيز ابو الخيسل من قصة ذي

القرنين في القرآن الكريم في سورة الكهف استخدام الحديد المسلح في البناء وهو ما تم ابداعه بعد الثورة الصناعية<sup>(٣٣)</sup> حيث اشارت الاية الكريمة الى استخدام ذي القرنين للحديد في البناء في بناء السد الذي حجز ياجوج وماجوج وبذلك يتبين لنا ان هناك المزيد من امكانية الاستنباط والسبق العلمي في القرآن الكريم .

#### ٥ - المماثلة والقياس بين اعجاز القرآن في التشريع والعمارة :

مما لا شك فيه ان للاحكام والتشريع الاسلامي اثراً اساسياً في تخطيط المدينة والعمارة الاسلامية وتشكيلها ، حيث امتازت العمارة الاسلامية باهتمامها بالنواحي المادية والروحية لتشكّل كياناً موحداً بين الوظيفة والجمال .

يعد العامل الروحي الثقافي من اهم العوامل التي تحدد شخصية المدينة العربية المتميزة . فالاسلام طبع جميع المدن العربية بطابع الاخلاق التي فرضتها الشريعة . وتوحدت العقليات والعواطف بتأثير الثقافة الاسلامية التي انتشرت عن طريق المسجد اولا والمدارس فيما بعد .

ويمكن تحديد اثر الدين الاسلامي ومفاهيمه الاجتماعية والثقافية بما يأتي :

#### ٥ - ١ - على مستوى تخطيط المدينة :

##### أ - مكونات المدينة :

١ - المسجد : احتل المسجد مركز المدينة ، معبراً عن المركز الروحي والديني والسياسي والاجتماعي والعلمي والاقتصادي حيث ارتبط به كل من :

— دار الامارة ( مركز الحكم ) .

— بيت المال .

٢ - نمو الاسواق التجارية على خطوط المركز الرئيسة بشكل عضوي حيث تتركز فيها جميع نشاطات المدنية الاقتصادية والمعبرة عن سعي المسلمين للعمل والاعمار .

٣ - نمو القطاعات السكنية بشكل عضوي تراكمي حول فواة المدينة « المسجد الجامع » ، والتفاف كل قطاع سكني حول المسجد المحلي معبرة عن ارتباط السكان بعقيدتهم ومركزها المسجد لاداء الصلاة والاستماع الى الخطبة والوعظ والدرس ، وقراءة القرآن والتعلم حيث تميزت بكونها بناء متراصاً ومتلاصقاً ، فكل مسكن معبر عن المؤمن الساكن داخلة معبرة عن الحديث النبوي الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وشبك اصابه » .

٤ - الاسوار والحصون : لتأمين الامن والاستقرار .

٥ - ٢ - المفهوم الفضائي ( العام الخاص ) في المدينة الاسلامية :

ان مفهوم الفضاء في المدينة الاسلامية يختلف بشكل اساسي عن مفهوم الفضاء في المدن الاوربية ويأتي ذلك جراء اختلاف المفاهيم الاجتماعية والعام والخاص ذلك انطلاقاً من تأثير الفكر الاسلامي :

أ - وجود تدرج واضح من العام الى الخاص : الفضاءات العامة الرئيسة لم توجد بشكل ساحات كبيرة خارجية قرب المسجد مثلاً كما في التخطيط الاوربي وانما ضمن المباني العامة فهي عامة ضمن المفهوم الخاص ومحكومة بقوانين المبنى العام الذي تنتمي اليه ، فالصحن يخضع لقانون المسجد من الحركة والهدوء والنظافة ... وفضاء المدرسة ضمن نظام ومحددات المدرسة وهكذا ...

- الشوارع الرئيسة عامة ولكنها ليست ثابتة وانما فضاء متحرك .  
- الشوارع الثانوية اقل عمومية ... وهكذا وصولاً الى الفضاء الخاص في المحلة واخيراً بالفناء الموجود في المسكن .

## ب - مفهوم الاتجاهية ( المحورية ) في فضاء المدينة •

تعتبر المحورية احدى العوامل الحسية والبصرية المهمة التي اثرت على فضاء المدينة الاسلامية والتي تأثرت بدورها بشكل واضح بالدين الاسلامي فالاتجاه الروحي للمسلمين نحو الكعبة المكرمة<sup>(٢٤)</sup> قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام • وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجه • الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتي عليكم لعلكم تهتدون » ( البقرة ١٠ ) فادى ذلك الى :

١ - اتجاهيه المسجد نحو الكعبة •

٢ - اتجاهية النسيج الحضري نحو المسجد •

٣ - اتجاهية الطرق والازقة نحو المسجد •

٤ - اتجاهية المساكن نحو الكعبة • قال تعالى في سورة يونس « واجعلوا بيوتكم قبلة » •

ج - افقية التخطيط واحترام المقياس الانساني وارتفاع المآذن فقط في خط افق المدينة مغبرة عن اهمية المساجد •

## ٥ - ٣ - العمارة والمباني :

لقد اثر التشريع الاسلامي على تشكيل العمارة والمباني الاسلامية والمتسمة بما يأتي :

٥-٣-١ - سيادة النوع المفتوح نحو الداخل والمغلق من الخارج كنوع اولي في العمارة الاسلامية وذلك بفعل استجابته لمتطلبات البيئة الثقافية والاجتماعية والدينية وتحقيقا للخصوصية وحرمة الفضاء •

٥-٣-٢ - التنوع ضمن وحدة النوع بما يحقق تنوع الوظائف واختلاف البيئة المحلية والاقليمية والمناخية والجغرافية والقومية وغيرها من العوامل الخاصة بكل موقع ومنطقة •

- ٣-٣-٥ - تميز العديد من الخصائص التي انعكست من الدين الاسلامي :
- ١ - البساطة والتواضع وعدم التطاول بالبنيان • حيث كان المسكن متواضعا في خارجه بل متقشفا •
  - ٢ - احترام المقياس الانساني •
  - ٣ - الوحدة والتنوع •
  - ٤ - خدمة الانسان وحاجياته •
  - ٥ - الاهتمام بلنواحي الحسية الجمالية والتعبيرية •
  - ٦ - المحورية والتماثل •
  - ٧ - الهندسية والتناسب الهندسي مع العضوية •
  - ٨ - افتتاح المبنى نحو السماء من خلال الفناء الداخلي معبراً عن راحة النفس عن طريق الخلود لمناجاة الله (٣٥) •
  - ٩ - الالتحام بين المباني للتعبير عن التوحيد والوحدة في الفكر وعدم ادراك المباني ككتل منفصلة كما في المدن الاوربية •
  - ١٠ - تأثير عنصر الظل والضوء •
  - ١١ - التوحيد بين الجمال والوظيفية والجمال والتقنية (٣٦) •
- ان المظهر التخطيطي للمدينة يتأثر الى جانب العوامل الاجتماعية بالظروف المناخية وعوامل الامن والدفاع ثم بمدى ارتباط السكان فيما بينهم • ومن هذه العوامل ما يوضح الاسباب التي جعلت عرض الشارع يقل كثيراً عن ارتفاع المباني على جانبيه لتوفير اكبر قدر من الظلال للمارة فيه وقد يتطور الامر الى تسقيف هذه الشوارع (٣٧) • لقد كانت العوامل الطبيعية المناخية والجغرافية والصحية احدى العوامل الاساسية في اختيار موقع المدينة الاسلامية (٣٨) •



ان تطور المدن الاسلامية اقترن بالاحكام والتشريعات وقوانين البناء التي حديها الفقه الاسلامي فقد عمل الكثيرين من الفقهاء على الاستنباط والقياس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في تحديد الخصائص والاسس والارتفاعات والعلاقات بين الابنية والتخطيط والتشكيل لمحددات الابعاد والارتفاعات والعلاقات بين الابنية والتخطيط والتشكيل لمحددات الشرع الاسلامي (٣٩) .

ولا نكر هنا تأثير المسلمين في تخطيط وتصميم مدنها وعمائرهم بالحضارات السابقة لهم حيث ان طبيعة الاسلام في الرغبة بالتطور والتقدم العلمي جعلته يستفيد من تلك الحضارات ويعيد تشكيلها بما يلائم الدين الاسلامي .

## ٦ - الاعجاز العلمي والعمارة :

ـ المماثلة مع الطبيعة والانسان .

ويمثل اتجاه حديث يؤدي الى ابداع نظريات معمارية حديثة ومهمة وذلك من خلال التفكير والتدبر بخلق الله في الارض والسماء والنبات والحيوان والانسان . حيث توجهت كثير من الابحاث المعمارية الحديثة نحو محاولة المماثلة بين الانسان وبين العمارة وذلك من خلال عدة محاور ... (٤٠) .

أ - النظام الشكلي ... التماثل ...

ب - النظام الخدمي ، اوعية الانسان ... والاحشاء الداخلية .

ج - نظام العزل البيئي ... بشرة الجلد .. ومحافظة الانسان على درجة الحرارة .

د - محاولة الربط بين الفلك والعمارة وحركة الكواكب والسماء وما فيها وهي محاولات بدأها علماء المسلمين امثال الكندي والرازي وغيرهم ... وتتطلب حديثا المزيد من البحث لاستنباط نظم ونظريات معمارية حديثة .

وفي القرآن الكريم مفاتيح تلك العلوم التي تحتاج الى التفسير والتأويل وفهم المعنى والتي يمكن ان توصل الباحث الى الجوهر في المعنى • حيث يمثل المعنى روح القرآن ولا شك في ان الروح اهم من الجسد • والذي قد يأخذ عدة اتجاهات من خلال التفكير في معاني الالفاظ والعبارات •

— وينبه الغزالي الى اهمية التفكير والتدبر بخلق الله ، حيث ينبه الى النحل وعجائبها وهندستها في بناء بيتها فانها تبني على شكل المسدس كيلا يضيق المكان على رفقاتها لانها تزدهم في موضع واحد على كثرتها ولو بنت البيوت المستديرة لبقى خارج المستديرات فرج ضائعة فان الدوائر لاتتراص وكذلك سائر الاشكال — واما المربعات فتتراص ولكن شكل النحل يميل الى الاستدارة فيبقى داخل البيت زوايا ضائعة كما يبقى في المستدير خارج البيت فرج ضائعة فلا شكل من الاشكال يقرب من المستدير بالتراص مثل المسدس وذلك يعرف بالبرهان الهندسي (٤١) •

### الاستنتاجات والتوصيات :

١ — ان معجزة القرآن العظيم باقية في كل مكان وزمان وان مصدر قوة القرآن وروحانيته وسلطاته وعلمه هو علو الجهة التي صدر منها وهو الله عز وجل وان القرآن الكريم بحر لا ينفذ ماؤه وعلمه وان المماثلة بين القرآن ومجمل العلوم ومنها العلوم المعمارية سوف تقود الى التقدم والسبق العلمي •

٢ — ان المماثلة بين انواع الاعجاز القرآني السابقة الذكر والعمارة تقود الى تحقيق نظريات فلسفية معمارية ، وأساليب تخطيط ونظريات جمال ، ونظم وقواعد شكلية وتركيبية ولغة معمارية جديدة ( مخطط رقم (٢) ) •

٣ — ان تفكير المعماري بجانب المعنى والتفسير والتأويل في الالفاظ والعبارات مثل ( مفهوم العمارة والاعمار والسكن والدار والبيت ) تمكنه من

فهم جوهر العمارة والعمران ( وهو هدف سعى اليه كثير من الفلاسفة امثال هايدكر وغيره مع فهم الانسان وطبائعه وغرائزه ونفسيته ) وهو ما اهتم به كثير من العلماء كل ذلك يمكن المعماري من انشاء فلسفة علمية في تحقيق عمارة انسانية تخدم الانسان وتحقق اعمار الارض بما يرضي الله والفطرة السليمة للانسان .

٤ - ان الغيوب والعلوم التي أشار اليها القرآن كالعلوم الطبيعية والكونية مهمة وحيث اننا في عصر استخدام هذه العلوم فينبغي تسخيرها لخدمة الاسلام وقد تحقق للمسلمين معجزات كبيرة اذا تفرغت طائفة للتفقه في الآيات المتعلقة بهذه العلوم .

٥ - يمثل الاعجاز الحسابي في القرآن الكريم احد التوجهات التي تهتم المهندسين والتي يمكن من تحقيق بحوث علمية جديدة ومهمة وخاصة عند ربطها بالعلوم الكونية والطبيعية وجانب للمعنى .

٦ - اننا نحتاج الى ان نتعامل مع القرآن على انه معجزة نحقق منها المعجزات ( كما تحقق ذلك للمسلمين الاولين الذين تحولوا من مجرد قبائل متناثرة الى امة قوية امتدت على ارض شاسعة ولفترة زمنية طويلة محدثة حضارة فاقت حضارات الامم في وقتها ) . وذلك ان الله تعالى يعطي الناس على قدر نيتهم .

وان كل ما سبق يتطلب من المعمار المسلم المزيد من التفكير والتدبر والعلم والعمل ....



## المصادر والمراجع :

١ - القرآن الكريم .

٢ - محمد مصطفى محمد ، ( الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ) ،  
التقديم للكتاب من قبل د. محمد السيد ندا المعمار من جامعة الازهر  
لكلية الامام الاعظم ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية سلسلة الكتب  
الحديثة ، ١٩٨١ .

٣ - العمري والجمال ، د. وميض بن رمزي ومحمد جميل ، ( الموضوعات  
الطبية في القرآن الكريم ) ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر  
١٩٩٥ ، ص ١١ .

٤ - الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، ( البرهان في علوم القرآن ) ،  
الجزء الثاني ، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٧٢ ، ص ٩ .

٥ - السيوطي ، ( الاتقان في علوم القرآن ) ، ( ٧ - ص ١٢٩ ، ج ٤ ص ٣ )  
مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ١٩٦٧ .

٦ - الاستاذ الحداد ، نظم القرآن والكتاب ، ( الكتاب الاول اعجاز القرآن )  
( ص ١٧٧ - ١٩١ ) .

٧ - د. احمد مطلوب ، ( الرسالة الاسلامية ) ٢٨-١١ / ١٦٦٩ ، ( ص ١٠-٢٥ )

٨ - الاستاذ الحداد ، نظم القرآن والكتاب ، المصدر السابق .

٩ - د. أحمد مطلوب ، الرسالة الاسلامية ، المصدر السابق .

١٠ - سيد قطب ، ( التصوير الفني في القرآن ) ، دار المعارف ١٩٦٣ .

١١ - د. عماد الدين خليل ، حوار في المعمار الكوني وقضايا اسلامية

معاصرة ، الدوحة ، دولة قطر ، ١٩٨٧ ص ١١٤ .

١٢ - الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن نفس

المصدر السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٨ .

١٣ - الزركشي نفس المصدر السابق ص ١٦١ - ١٨١ .

- ١٤ - الفزالي ، أبو حامد ، ( جواهر القرآن ) ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٩ .
- ١٥ - محمد مصطفى محمد ، ( الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ) ، مصدر سابق ، ( ص ٢٦٦ - ص ٢٧٢ ) .
- ١٦ - الذهبي ، ( القرآن والعلم وآراء المتطرفين والغلاة ) ، ١٢ حزيران ، ١٩٧٢ ، ص ١٦ .
- ١٧ - د. محسن عبد الحميد ، ( الرازي ومنهجه في التفسير ) ، الرسالة الاسلامية ، ١٢٩ ، ١٩٧٩ ، ص ٤٦ .
- ١٨ - د. وميض بن رمزي ومحمد جميل ، العمري والجمال ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٩ .
- ١٩ - عبدالرزاق نوفل ، ( معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم ) ، دار الكتب العربي ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٣٦ - ص ٤٧ .
- ٢٠ - بشار نهاد حداد ، ( اعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم ) ، مقدمات تنظر النتائج ، المؤسسة الاسلامية بيروت ، لبنان ١٩٩٤ .
- ٢١ - ابن تيمية ، ( النبوات ) دار العلم ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٣٢ .
- ٢٢ - الجابري ، محمد عابد ، ( بنية العقل العربي ) ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٣ .
- ٢٣ - احمد عبد الجبار جودت ، بنية الصورة المعمارية في ضوء نظرية المعرفة الاسلامية اطروحة ماجستير غير منشورة ، ١٩٩٥ ، ص ٨١ .
24. Al-Faruqi, Ismail R., and Al-Faruqi, Lois (The Culture Atlas of Islam 1986), p 112.
25. Broadbent, Bunta, Jencks eds, (Sign, Symbole, and Architecture), John Wiley & Sons, 1980.
26. Schulz, C.W., (Intensions In Architecture), M I T press Cambridge 1977. p. 60.
- ٢٧ - العمري والجمال ، د. وميض بن رمزي ومحمد جميل ، نفس المصدر السابق ص ٨٧-٩٣ .

28. Broadbent, G., (The Deep Structure of Architecture) in Broadbent, Bunta & Jencks, eds, (Sign, Symbole, Architecture). John Wiley & Sons, 1980.

29. Mario Grandelonas (from Strucure to Subject), the Formation of Architectural language, Options M I T press.

30. Broadbent, G. J. (Building design as an Iconic Sign System) in (Sign, Symbole, Architecture), John Wiley & Sons, 1980.

٣١ - الخطيب ، عبدالكريم ، (اعجاز القرآن) الجزء الثاني، ص ١٩٤ - ١٩٩  
٣٢ - العمري ، حفصة رمزي ، (أثر الدين الاسلامي على تكوين مفهوم الجمالية لفن الزخرفة في العمارة الاسلامية ) المؤتمر الهندسي الرابع  
١٩٩٧/١١ ، مجلة الهندسة .

٣٣ - عبدالعزيز ابا الخيل ، (الكتاب والسنة اساس تأويل العمارة الاسلامية)،  
الجزء الاول ، ١٩٨٩ .

٣٤ - العمري ، حفصة رمزي ، (عمارة المساجد الحديثة في العراق ) ،  
اطروحة ماجستير غير منشورة ، ١٩٨٩ .

٣٥ - د. غفيف بهنسي ، ( العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع ) ،  
المجلس القومي للثقافة العربية ، ص ٣٧ .

٣٦ - العمري ، حفصة العمري ، ( اثر الدين الاسلامي على تكوين مفهوم  
الجمالية لفن الزخرفة في العمارة الاسلامية ) نفس المصدر السابق .

٣٧ - د. عبد الباقي ابراهيم ، ( تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة العربية  
الاسلامية المعاصرة ) ، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ،  
القاهرة ، ص ٤٠ .

٣٨ - د. طاهر مظفر ، ( تخطيط المدن العربية الاسلامية ) ١٩٨٦ .

39. Besim Selim Hakim, (Arabic Islamic Cities) KPI, London  
England. 1986.

40. Architectural Design, 1996, London W2 34N.

٤١ - الغزالي ، ابو حامد ، ( جواهر القرآن ) نفس المصدر السابق  
ص ٤٠-٤١ .

# العلاقة بين الكلمة واللحن في بعض صيغ التراث والموروث الموسيقي العراقي

ا.د. طارق حسون فريد

✽ **التنوع الجغرافي والسكاني في العراق وعلاقته بتنوع فنونه الموسيقية**

العراق هو البوابة الشرقية للوطن العربي • ولموقعه المتميز هذا اصبح  
يفصل بين الدول الاسلامية الناطقة بلغات مختلفة والواقعة في شماله وشرقه  
وبين اقطار الوطن العربي التي تمتد غربا في آسيا وشمال افريقيا • وبسبب  
موقعه هذا كان العراق عبر التاريخ ، ومنذ اقدم الحضارات التي ظهرت فيه ،  
نقطة التقاء وبودقة تفاعل قل مثلها بحيث جعلت منه قطرا يتميز بثرائه  
الحضاري وتنوعه الثقافي وتعدد ملامح التراث والموروث الموسيقي - الغنائي  
- الحركي فيه •

كما يتميز العراق بتنوعه السكاني وتعدد قومياته ودياناته ومذاهبه  
وطوائفه يتميز ايضا بتنوعه الجغرافي والمناخي • فتكامل الثلوج قمم جباله  
الشمالية بينما تطلّ حدوده الجنوبية على الخليج العربي • وترتبط صحاريه  
الشرقية والجنوبية الشرقية بأربع دول عربية • وتتميز جغرافية العراق  
بطبغرافية متنوعة ، فهناك الغابات والمروج الخضر والسهول المترامية وبحيرات  
الاهوار الواسعة اضافة لحوضي نهري دجلة والفرات وروافدهما والبحيرات  
الطبيعية والاصطناعية العديدة •

ولان جغرافية العراق بهذا التميز الفريد على الرغم من صغر مساحته  
نسبيا ، ولكون تاريخه الحضاري بهذه العراقة ، وسكانه بهذا التنوع القومي ،  
كان من الطبيعي ان تتنوع فنونه الموسيقية ، وبالتالي طرائق ادائها الآلي  
على آلات موسيقية احتوت على الفصائل الاربعة الرئيسة لها منذ حضارة  
سومر وبابل وآشور •

ولابد من التأكيد هنا على ان التنوع الاجتماعي والثقافي والفني الموسيقي يجب ان يفهم في اطار الوحدة الوطنية والانتماء القومي لقيم الحضارة العربية الاسلامية كنمط في الحياة وفي النفسية والسلوك والتذوق الفني والتحسس الجمالي والتطلعات الانسانية . فحضارة العراق العربية الاسلامية وعبر القرون الاربعة عشرة الماضية من مسيرتها قد استطاعت ان تحافظ على شخصيتها الجوهرية وملامح اصالتها الاساسية على الرغم من كونها كانت مفتوحة النوافذ على مختلف الثقافات المعاصرة عبر مسيرتها الخصبة .

ويوزع العراق المعاصر الى اكثر من منطقة جغرافية متميزة الملامح تبعا لاختلاف التضاريس والمناخ والتنوع السكاني والمعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية وغير ذلك . وتكاد تكون جميع مناطقه ، وماعدا المنطقة المحصورة بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد وشمال القرنة ، لها امتدادات طبيعية خارج حدوده الدولية . فتمتد المنطقة الشمالية ( الجبلية ) شمالا وشرقا نحو تركيا والهند ، وترتبط المنطقة الشرقية ، ذات المساحة الاوسع نسبيا ، باقطار المشرق العربي الاخرى ، اما منطقة جنوب العراق فيتعدى امتدادها اقطار دول الخليج العربي ليصل الى سواحل القارة الافريقية الشرقية والهند . ولقد عبرت من خلال هذه الامتدادات الجغرافية الطبيعية من والى العراق مختلف التأثيرات الفنية جيلا بعد جيل ، واستطاعت ان تكون الملامح الاساسية لشخصيته الفنية .

ونتيجة لهذا التنوع الجغرافي والمناخي والسكاني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي تنوعت العلاقة بين الكلمة واللحن ايضا ، وبخاصة في صيغ وانماط الموروث الشعبي المتناقل شفاها ( الادب الشعبي ، الغناء ، الحكايات والاساطير .. ) . بينما نجد هذه العلاقة هي اقرب للثبات في الاشكال الغنائية التقليدية الدينية منها والدينية ( ترتيل القرآن الكريم ، غناء المقام والموشح .. ) .



**\* تبلور اللغة الفنية في العراق وتأثيراتها**  
**على عناصر المادة الموسيقية - الكلمة واللحن -**

منذ ظهور المجتمعات الاولى في وادي الرافدين ادركت اهمية الفنون الجميلة ، ودورها في التعبير عن الافكار والمفاهيم والقيم . ونتيجة لهذا الادراك الواعي المبكر لعلاقة الفنون الجميلة بالانسان ، ودورها في خلق اجواء سعادته واطمئنائه ، واثارة البهجة والسعادة في حياته ، ورفع مستوى رهافة مشاعره وعواطفه ، وكذلك تحفيزه على عمل الخير وتجنب الشر ، ومساعدته على التأمل والتجلي والتسامي ، ظهرت تدريجيا في العراق بما يشبه المؤسسات الادارية والثقافية والتعليمية عبر العصور وعُرفت بمسميات مختلفة . كما تراوح ارتباطها بين السلطة الدينية والديوية وانتمائها اليها . وكان من بين واجبات هذه المؤسسات دراسة العلاقة بين الفرد والمجتمع والدولة والفنون الجميلة ، ومن ثم تشريع وتنفيذ الافكار المحورية الرئيسة التي تنظم هذه العلاقة لما فيه خير المجتمع .

ومع تغير فلسفة الحياة ومنطلقاتها الدينية والديوية تغيرت كذلك الافكار المحورية الرئيسة الخاصة بأساليب التعامل مع الفنون الزمنية والتشكيلية . والناظر لما اختزنته كتب التراث العربي ومدونات الحضارات القديمة المتعاقبة في وادي الرافدين واماكن اخرى ، ليجد الكثير والمتنوع حول ما قيل بشأن الفنون الزمنية ، ومن بينها ما قيل حول الفنون الموسيقية ، ونعني بذلك نصوص الاغاني وألحانها وايقاعاتها ورقصات وآلاتها الموسيقية .

ان ما حفظ لنا مدونا حول الفنون الموسيقية ، ونعني الفناء والعزف والرقص ، يعكس الاتجاهات الفلسفية المتعاقبة ، ومواقف السلطة التشريعية والقضائية ، وطبيعة التقاليد والعادات والاعراف السائدة في كل مرحلة من مراحل المسيرة الحياتية ، وبالتالي يجسد علاقة الفنون الموسيقية بقيم السماء والارض عموما .

لقد بات من المستطاع تفسير ظواهر اللغة الفنية التي برزت عبر حركة التاريخ الانساني ، ومن ضمنها حركة التاريخ العربي قبل ظهور الاسلام

وبعده ، بكل موضوعية وتجرد ومن منطلقات ومناهج فلسفية متعددة وذلك على اساس ان تلك الظواهر قد ظهرت اصلا لتعبّر عن مكنونات الذات وشعور الجماعة ، وعن الوجود الانساني وحاجة الفرد والمجتمع والدولة ، وابتكرت لتجسد الطموحات الخيرة والامال المشروعة والمنطلقات الذوقية والجمالية والحسية •

لقد اتخذت وسائل التعبير العربي الفني لها لغة ، بل لغات فنية متطورة جيلا بعد جيل ، واعتمدت على التعامل مع مواد مختلفة وظروف متغيرة ، وتمكنت من صبغتها بشخصيتها الحضارية المتميزة • فأضافت الى تلك اللغات الفنية العديد من السمات البيئية الخاصة من خلال التفاعل مع حركة تطور مسيرتها الحضارية في بيئات جغرافية مختلفة متوزعة في القارات الثلاثة الاقدم آسيا وافريقيا واوربا •

وبرزت نتيجة لكل ذلك التفاعل الايجابي المتواصل اشكال وانواع فنية لم تُعرف من قبل في مجال اللغة وآدابها ، والاصوات وانغامها ، والحركات وايقاعاتها ، والالوان وظلالها ، والكتل وسطوحها وغير ذلك من اشكال التعبير الفني المتجسد عن طريق استغلال الطاقة والمادة المخترنة في الانسان العربي او المتوفرة في محيطه الحضاري المتنوع •

ان التنوع الكبير للفنون الموسيقية التقليدية والشعبية لا ينظر لها على انها ظواهر فنية منعزلة او مقطوعة عن القيم الروحية ومحيطها الاجتماعي ومناخها الجغرافي وواقعها الاقتصادي ، وعن مختلف علاقاتها الحضارية والثقافية الاخرى ، بل تأخذ بنظر الاعتبار كل هذه العوامل والظروف والتأثيرات عند البحث عن مبررات هذا التنوع او ذلك التباين في بناء القصيدة وتركيب المقامة وبنية الاغنية والتلاوة والترتيل ، وهيكल اللحن ، وتنوعات الحركة التعبيرية الراقصة ، وغير ذلك •

ومن يحتسب التراث والموروث الموسيقي العراقي هو جملة نصوص وألحان وايقاعات وأساليب أداء ، وطرائق تعبير تؤدّي وتنتج وتستهلك في

مناسبات معينة ، تتكرر عبر الفصول ومراحل حياة الانسان المختلفة ، فانه لم يصب كبد الحقيقة بالكامل . فعلى ذلك الباحث الدارس ان ينطلق من كونها تنتج وتؤدي وتستهلك بارتباط وثيق مع كل امتدادات التراث والموروث الموسيقي العمودية والافقية ، ونعني امتدادات العمق التاريخي والارتباطات مع الثقافات الانسانية المعاصرة لمسيرتها غير القصيرة .

فأي تناول للتراث الغنائي التقليدي والموروث الغنائي الشعبي بالدراسة والتحليل لا يمكن فصله عن مسيرة العراق المعاصر ومقدرته الذاتية العالية على احياء التراث والموروث الفني من جهة ، واستلهامه بما يتناسب مع منطلقات العصر من جهة اخرى . ان مسيرة الفنون الموسيقية في العراق المعاصر يمكن ان تحدد وتضمن ليس من خلال تناول مختلف الصيغ والقوالب الغنائية الموسيقية الحركية بالدراسة والتحليل وابرز عناصرها الموسيقية فقط ، بل من خلال فهم ابعاد الموقف الرسمي منها ايضا ، ومعرفة الموقف التشريعي من الفنان الموسيقي ، وادراك دوره الاجتماعي ووظيفته الحياتية .

لقد بات من الواضح قيمة التراث والموروث الموسيقي ودلالتهما من حيث المضمون المرتبط بمسيرة الحياة والمجتمع ، واصبح من الممكن تفسير وجودهما ابتكارا واداءا وتلقيا بين مختلف الاوساط والشرائح العراقية ، إلا انه مازالت هناك مجالات عديدة اخرى لم تتوضح كما يجب من حيث مستوى الدراسة المنهجية لعناصره الموسيقية وما يرتبط بها من عناصر اخرى كاللغة والحركة وغير ذلك .

ومما لاشك فيه ان هذه المجالات المختلفة التي لم تتناولها يد الباحث كما ينبغي بحاجة الى عدد من المتخصصين في مختلف فروع الدراسات الانسانية ، لتتمكن بعدئذ من تحقيق المستوى المطلوب من العلمية في التناول والبحث والدراسة والتحليل والدراسة المقارنة ، ثم استخلاص الاجابات المطلوبة حول التراث والموروث الموسيقي المتنوع ابتكارا واداء واستهلاكاً .

## \* العلاقة بين العنصر اللغوي والصوتي والحركي في الغناء الشعبي

تبتكر الاغاني الشعبية المعبرة عن الحالات الوجدانية المختلفة ، او المصاحبة لانجاز الاعمال اليومية ، تلقائيا وتنبتق من احساس فطري واحتياج غريزي عفويا . ويتبلور العنصر اللغوي واللحني والحركي وغير ذلك للمأثور الشعبي خلال عملية الممارسة المتكررة ضمن مناخ الحالة النفسية الجماعية والثابتة نسبيا ، او مع اداء عمل متكرر ، أو المشاركة في تأدية فعل حياتي ما بدورات زمنية متتالية خلال جيل واحد او عدة اجيال . ويفترض ان يتم الابتكار والتبلور في بيئة اجتماعية وثقافية واقتصادية واحدة او متقاربة ، تتشابه في همومها وهواجسها ورغباتها وآمالها ، كما تمتهن مهنة واحدة ، او تقوم بنمط واحد من العمل او الاعمال المتقاربة .

ان اي اختلاف في المستوى الفني للاغنية الشعبية ، او اي تباين في اسلوب بنائها الموسيقي او طابعها العام يتأتى قبل كل شيء من سيطرة او بروز هذا العنصر او ذاك من العناصر الموسيقية المكونة لها . وعند الافتراض ب بروز عنصر النص على عنصري اللحن والايقاع في اغنية شعبية ما فهم من ذلك بان كلماتها قد اكتسبت مسارا لحنيا وتركيبا ايقاعيا معيناً عندما كانت تتكرر خلال مختلف الفعاليات الاجتماعية المنبثقة من التقاليد والعادات والاعراف والطقوس والمراسيم .

وتصبح لكلمات الاغنية ، وقد تكون عبارة قصيرة او مقطعا شعريا او اكثر ، وظيفة محددة تشبع الاحتياج النفسي المساعد على تحمل الصعاب ، وتخفيف الهمم ، ودفع الملل والاقباض النفسي ، وتقضية الوقت . كما تمنح الاحساس بالرضى والراحة من جهة ، وتصبح لها وظيفة تنظيم العمل الجماعي وجهده العضلي ( الفسيولوجي ) المضني ، او وظيفة تنسيق اداء اي فعل حياتي ديني او دنيوي ، جماعي او فردي من جهة اخرى .

فمع مرور الزمن تتبلور عناصر الاغنية الشعبية الرئيسة ، وتكتسب صفة الثبات والرسوخ النسبي المرتبط قبل كل شيء بالالة الموسيقية التي يمتلكها الانسان ، اي جهازه الصوتي ، او حنجرته ومدى تطورها ومستوى صقل امكاناتها الادائية . كما ان صلة المسار اللحني والتركيب الايقاعي لهذه الاغنية الشعبية او تلك وثيقة بمعطيات المناخ الصوتي الطبيعي والمستوى الثقافي والحضاري الذي تعيش فيه تلك الجماعة او ذلك الفرد المبتكر والمؤدي لها .

وهناك العشرات من مختلف الالفاظ والكلمات والعبارات والاشطر الشعرية والابيات التي يرددنها الفلاحون والمزارعون والصناع والمهنيون والصيادون والبحارة والباعة الجوالون وما الى غير ذلك خلال تأدية اعمالهم اليومية . او تردها الجددات والمربيات والامهات خلال قيامهن بواجباتهن المنزلية وتربية اطفالهن ، واحفادهن ، كنوع من التعبير عما يجيش في صدورهن من الوجد والالم والفراق والامل والسعادة والرغبة وغير ذلك . (١)

ولعل لعناصر الموسيقى ، التي تدخل في اسلوب اداء مقاطع النص القاء او ترتيلا او اقشادا او غناء ، الدور الذي لا يعوض في وظيفتها الذاتية والاجتماعية والفنية ، فضلا عن تسهيلها لمهمة الاداء الفردي او الجماعي المكرس لتلك الوظيفة الاجتماعية ، والمتصف بالبساطة والعفوية والتلقائية . وبالطبع مع تنوع اساليب الاداء تتنوع وتختلف التراكيب الايقاعية والمسارات اللحنية ، التي تسير عملية افسيا ب مقاطع كلمات النص من افواه منشديه او مرتليه او مغنيه .

ومن منطلق ما سبق تبلورت مع ، الوقت في العراق وترسخت في لا شعور مواطنيه وذاكرة الاجيال مختلف الهازيج والحدوات والمواويل و (الهوسات) والبطاطيق والادعية والتهاليل والتراتيل والاغاني المختلفة ، التي رافقت بعضها عمل الرجال والنساء في القرى والارياف والحوضر والمدن والبوادي والواحات والمواني والاهوار ، وعبر بعضها الاخر منها عن رحلات الصيد

والقنص والسفر والتجارة والغوص ، و اوقات الاستعداد لصد هجوم الاعداء والطامعين والدفاع عن الديار والعرض والشرف والقبيلة والشعب والوطن .

ومن خلال الدراسة الاولى لاغلب صيغ الغناء الشعبي وقوالبه ، المذكورة اعلاه ، يلاحظ التقارب الكبير ، الذي يصل حدود التطابق فيها ، بين ايقاع العنصر اللغوي وايقاعها الموسيقي وبين المسار اللحني لالقاء مقاطع كلمات النص ، من قبل المؤدي او المؤدين ، ولحن طبقات اصوات المرددین . كما نجد ان كلا هذين العنصرين ، اي اللغوي والموسيقي ، مكرسان في الواقع للتمازج مع العنصر الحركي .

من الاراء الجادة المطروحة حول تحديد الخصائص الموسيقية الشعبية ، هو الرأي القائل : « بالاخذ بعين الاعتبار دوما بان المنطلق الاساسي العام لاي تحديد هو التركيب الموسيقي والنص الادبي معا ، مع الاولى التي يحتلها الواحد وتارة الاخر من هذين العنصرين ، عند الحديث عن الخصائص الموسيقية الشعبية » .<sup>(٢)</sup> وفي هذا الرأي يلاحظ استثناءً للعنصر الحركي الذي لا نعتقد بانه يقل شأنًا عن العنصر اللغوي وعن العنصر الصوتي ، اي التكوين اللحني والايقاع الموسيقي ، عند المحاولة لالقاء بعض الضوء على قضايا المفهوم والمقومات والخصائص للفنون الشعبية .

وكما نعتقد ، ان المنطلق الاساسي العام لاي تحديد يطرح هو : الاخذ بنظر الاعتبار العناصر الثلاثة المكونة لمحتوى وشكل الفن الشعبي في آن واحد في حالة اشتراكها في بنيته الاساسية مع ابراز دور ذلك العنصر الذي يحتل الاولى على حساب ثانوية العنصرين الاخرين ، ومع معرفة العنصر الثاني في تسلسل الفاعلية في تحديد الخصائص والمميزات الفنية .

ونرى ان العنصر الحركي<sup>(٣)</sup> يلعب دورا بارزا في كثير من الاحيان في تحديد شكل ومضمون العنصر اللغوي او العنصر الصوتي ، او كليهما معا . وحقا هذا ما يحصل في الكثير من الممارسات الحركية اليومية خلال تأدية

مختلف الاعمال • فيتكيف العنصر اللغوي او الصوتي لطبيعة الفعل الحركي المؤدى وإيقاعه اسواء كان دينيا أم دنيويا • ونشاهد هذا بوضوح في ما يسمى باغاني العمل في فنون البحر والاهوار او البر او الحضر • كما ان العنصر الحركي يسهم بفاعلية في ايجاد التوازن الفني المطلوب بين طول الجملة اللحنية والتركيب الايقاعي الموسيقي وعدد المقاطع اللغوية للنص من جهة ، وبين فوعية الحركة التعبيرية الراقصة من جهة اخرى • (٤)

اني مع الرأي القائل : « ان الموسيقى الشعبية لها من الغنى والتنوع ما يجعل كل تحديد او تصنيف او تخصيص من المقاربات العلمية القابلة للنقد والمناقشة » (٥) • وتفسر هذه المقولة على اعتبار العبارة ( كلّ تحديد او تصنيف او تخصيص ) الواردة في الاقتباس اعلاه يقصد منها كلّ ما يمس جوهر العناصر الثلاثة الاساسية المكونة لمادة الفن الشعبي ، وهي العنصر اللغوي والصوتي والحركي ، والتي هي في مستويات مختلفة من زاوية التحديد •

ولأجل ايضاح ذلك لابدّ من الاشارة الى ان العنصر اللغوي (اي النص الشعري او النثري المغنى او المنشد ) والعنصر الحركي ( اي مجموع الحركات التعبيرية الراقصة المرافقة لاداء النص ) يرتبطان في الواقع من حيث ادائهما بالجانب الفسلجي للجهاز العظمي والعضلي والعصبي والصوتي لجسم الانسان • اي ان هناك ضوابط فسلجية تحدد مادة العنصرين السابقين وفوعيتهما ، اضافة الى وجود ارتباط آخر للعنصر اللغوي ، ونقصد بذلك ارتباطه بالجانب الفيزيائي من حيث مادته اللحنية • فهذا الجانب تتحكم فيه قوانين ثابتة تخص موضوع حدوث الاصوات عند الكائنات الحية عموما •

ان لكل مقطع لفظي او كلمة دالة ذات معنى يصدرها الانسان تتألف من اكثر من مقطع لها صوتها ، وتدعى طبقتها او درجتها او نغمتها • وهذه الاصوات او الطبقات التي تكون في النهاية موسيقى الكلام ، او موسيقى لغة التخاطب

اليومي ، لا تأتي في الواقع من فراغ بل ترتبط بالاصوات الطبيعية والاصوات الحية الاخرى وتتحكم فيها قوانين معينة لا يسع المجال لذكرها ضمن هذا السياق •

اما العنصر الثالث ( العنصر الصوتي ) الذي يحدد طبيعة انشائية مقاطع النص وتباين طبقة تلك المقاطع ضمن اداء الحركة التعبيرية ، فانه يرتبط كذلك من زاوية استخراجها من الجهاز الصوتي الانساني بالجانب الفيزيائي من حيث قوانين حدوث الصوت وانتشاره وتغير لونه وقوته ومواقع النبر فيه وتدخل موجاته وانعكاساتها وغير ذلك • ونجد ان هذا الارتباط على الرغم من تنوع وغناه فهو اكثر امكانية للتحديد والتصنيف والتخصيص من تلك المواضيع التي تتعلق بمسائل ارتباط العنصر الصوتي ومجالات دراسته من زاوية المنظور الفلسفي والنفسي والاجتماعي والجمالي والدوقي والتذوقي والابداعي الابتكاري والتلقي الاستهلاكي وغير ذلك لكثير حقا في مجالات فروع الدراسات الموسيقية المقارنة المعاصرة •

وفي مجال الحديث حول العلاقة بين الشعر والموسيقى ( الكلمة واللحن ) في الفن الشعبي وعلاقة كل منهما بالحركة التعبيرية او الراقصة في حالة وجود هذه العلاقة بهذه النسبة او تلك ، يتطلب الرجوع الى الورا قليلا والبحث عن البدايات ان جاز التعبير • فمنذ ايام عكاظ والمربد ، وفي جميع مجالات تحرك الشعراء العرب الشعبيون في فضاء البادية الفسيح ، واجواء قصور الامراء والسلطين والملوك والخلفاء ، ومناخات قول الشعر وقرضه احتياجا ومعاناة وتعبيرا لشتى المواقف والظروف عبر تاريخ الامة الطويل ، كان الشعر العامي والفصيح لا يقرأ في المحافل وعلى الملا قراءة بل يلقى القاء منعما معتمدا على عناصره الموسيقية الذاتية ، اي معتمدا على ايقاعه الموسيقي الداخلي الناتج من تفاصيل اوزانه العروضية <sup>(٦)</sup> وعلى لحنه الموسيقي الداخلي الناتج من امكانية التحكم في تمديد او تقصير الاحرف الصامتة بعد تحريكها



بوساطة احرف العلة والحركات الثلاثة ، وامكانات الادغام والاطهار والاقلاب ، وغير ذلك بهدف تجسيد المعنى وابرار المضمون .

فمن خلال دراسة عملية التحول في الاداء دراسة جادة مستفيضة يمكننا التحدث بحدود الموضوعية المطلوبة عن الموسيقى الذاتية للعنصر اللغوي النثري او الشعري ، وبنفس المستوى يمكننا التحدث عن النسيج الموسيقي اللحني والايقاعي الذي يتمازج مع العنصر اللغوي مغيرا مستوى ادائه . وقد تتطابق عناصر اللغة والموسيقى الى حد ما كما في لغة التخاطب اليومي ضمن مختلف الحوارات الحياتية . الا ان هذا التطابق النسبي سرعان ما يبدأ بالتباعد كلما تحولنا من حالة ادائية الى اخرى اكثر تطوراً . كتحولنا من الكلام الى الالقاء ، ومن الالقاء الى الترتيل ومنه الى الانشاد ثم منه الى الغناء . ثم من غناء ابسط شكلا الى غناء اعقد شكلا ومحتوى وتعبيراً ووظيفة واداءً وغير ذلك . وبالطبع يجب ان لا ننسى هنا ضغط العنصر الحركسي المرافق لاي اداء لغوي موسيقي في حالة اشتراكه ، ولابد من اشتراكه بهذه النسبة او تلك .

فعند دراسة هذا الجانب على وفق منهج علمي واضح يمكننا التحدث آنذاك عن موسيقى العنصر اللغوي النثري او الشعري ، والعنصر اللحني والايقاعي الداخل في طبيعة ادائه لنداءات الباعة وترانيم الامهات ، ومختلف اغاني العمل والافراح والطقوس الدينية والمراسيم والمآتم . فضلا عن امكانية الوصول الى اجابات محددة حول موسيقى الكلام الاعتيادي اليومي ، التي هي ينبوع الاساسي لاي طابع موسيقي قومي ووطني .

ومن دراسة هذا الجانب يمكننا التحدث عن طبيعة العلاقة بين الايقاع الشعري الذي هو موسيقى وبين الايقاع الموسيقي الذي هو شعر من دون كلمات ، وكذلك بين اللحن الشعري الناتج من تتابع طبقات صوت الشاعر عند القائه لاشطر قصيدته او المهورال لاهزوجته ، والتي هي جميعا نوع من المسار

اللحني الذي ترافقه الحركات التعبيرية ، وبين اللحن الموسيقي بطبقاته وابعاده واجناسه وتحلياته الزخرفية التي لا بد أن يتقيد بها كل اسلوب فني لالقاء النص او انشاده او غنائه على وفق الاشكال الفنية المختلفة بهذا المستوى الموسيقي النسبي او ذاك .

ان العلاقة بين الشعر والموسيقى ومع مسيرة التطور الحضاري قد تنوعت نسبيا بما ينسجم مع حركة تطور هذين الفنين من حيث الشكل والمضمون والوظيفة وأساليب الاداء فالعلاقة هذه نمت وتوسعت وتعمقت عندما ازداد ضغط عناصر الفن الاول ( الكلمات - الشعر ) على عناصر الفن الثاني ( الالحان - الموسيقى ) او بالعكس في احيان كثيرة . وفي حالة انتقال اداء كلمات الشطر الشعري ، ولنقل المنظومة او القصيدة ، من حالة الالقاء الى حالة الترتيل او الانشاد او الغناء ضمن اي شكل موسيقي ، او قالب او نمط فني معروف او مبتكر جديد يعني هذا ازدياد ضغط عنصر الايقاع الموسيقي او المسار اللحني على عنصر ايقاع الوزن العروضي والمسار اللحني لالقاؤه .

وكلما ازداد الضغط بين عناصر هذين الفنين ازدادت نسبة التقاطع او التباين او التباعد بين الايقاع الشعري والايقاع الموسيقي . فاختلقت مواقع الضغط والنبر بينهما وتنوعت مواقع القوة والضعف لمكوفاتهما الايقاعية ، وكذلك ازدادت نسبة تكيّف مقاطع لغة الاشطر الشعرية ، من خلال التطويل والتمطيط والتقطيع والتوقف ، الى وحدات المسار اللحني الموسيقي ، ولنقل نغماته ونماذجه التقليدية الجاهزة المعروفة وغير المعروفة واساليبه الفنية المتوارثة والمبتكرة ، والتي تكونها مختلف الابعاد والاجناس ( والسلالم ) والمقامات .

وفي الواقع نتيجة لتنوع العوامل السابقة تغيرت طرائق الغناء الشعبي واساليبه الفنية في العراق . ولهذا السبب تغيرت اطوار الغناء كما في حالة

غناء الابودية مثلا في جنوب العراق ووسطه ، تلك الاطوار الغنائية الشعبية التي تنسب الى اسماء العشائر او الطوائف او المدن او الاشخاص ، او الى الاسلوب الادائي نفسه لكونه شجيا او ثقيلًا صعبا . (٧)

العلاقة في عصرنا بين عناصر الموسيقى ( الايقاع واللحن ) وبين عناصر الشعر الشعبي باشكله المختلفة ( الموال ) ووزن الزهيري الايقاعي وتركيبه العروضي تحديدا ، علاقة تمثل ذروة تباور الملامح الفنية من حيث التوضيب والتعامل . ان الذروة هذه ، التي تمثل الجانب الابتكاري والانشائي والتعبيري ، قد اتت من تمازج وانصهار وتباور عناصر الموسيقى العريضة المنهجية مع عناصر اساليب الابتكار والنظم الشعري الشعبي المتجسدة في احدى ذروات مسيرته الفنية .

وليس بهذا فقط ، بل نجد ان هذه العناصر الفنية اللغوية والموسيقية قد سخرت لتجسيد أحبك وأرصد اشكال وافواع فنون اقطار دول الخليج العربي والجزيرة العربية . تلك الفنون المرتبطة بحياة مجتمعات البادية والمدينة والبحر والاهوار وضاف الانهار وحقول الرز وبساتين النخيل . ومن هذه الزاوية يتراءى للدارس المتفحص مستوى حبكة ومثانه النسيج الموسيقي اللغوي ( الموسَّلغوي ) لفنون البحر والبر وارتفاع مستوى الابتكار والصنعة فيها . فلهذا المواويل والابوذيات والدارمي والشيلات والاهازيج وغير ذلك ، وموسيقاها وايقاعاتها والحركات التعبيرية التي ترافقها ، هي بلا شك ذروة الموروث الفني الشعبي الذي تناقل الينا في هذا العصر .

وهنا ، ومنذ البداية في اي تقييم ، لابد ان نأخذ بنظر الاعتبار مستوى زيادة حبكة ومثانة النسيج الموسيقي اللغوي ( الموسَّلغوي ) نتيجة ضغط العنصر الثالث ( العنصر الحركي ) من خلال تداخل الحركة التوضيحية احيانا ، وتداخل الحركة التعبيرية وايماءات فن الرقص المعبرة عن الروح وانفوس والوجدان احيانا اخرى .

ان تسمية العنصر الحركي بالعنصر الثالث هنا لا تدل على تسلسل أهميته ، فقد يكون هذا العنصر هو العنصر الاساسي الذي يحدد مادة النسيج اللغوي او الموسيقي او كليهما في بعض الفنون الغنائية الشعبية ، وذلك كما نلاحظ ذلك في اداء الهازيج والشيلات في الافراح والاحزان وايام السلم والحرب ، واغاني العمل المختلفة •

وفي الوقت الذي تقترب فيه الى حد التطابق مكونات العنصر الموسيقي - اللغوي - الحركي عند اللقاء الازوجة مثلا وترديدها الجماعي ، نجد أن مكونات العناصر الثلاثة هذه تحافظ كل منها على شخصيتها الابقاعية واللحنية والحركية التعبيرية المميزة عند انشاد او ترتيل او غناء انواع اخرى اكثر تطورا من الغناء الشعبي ، وذلك كالموال المتعدد الاشر ( الرباعي والخماسي والسباعي وغير ذلك ) المعروف باسماء مختلفة في الاقطار العربية •

ان درجة التباين والتميز والتفرد بين مكونات العناصر الثلاثة ، او الكلمة واللحن تحديدا ، لمختلف انواع الغناء الشعبي ، وكذلك الغناء التقليدي ، تتناسب طرديا مع زيادة توسع وتعقد اشكالها الفنية وتشعب مضامينها ووظائفها الفنية والاجتماعية •

ومن منطلق هذا القول نستطيع تفسير سبب ظهور الحدود القصوى من التباين والتنوع بين العناصر الثلاثة المكونة لمادة الاشكال الفنية الموسيقية التقليدية ( الكلاسيكية ) مثل : الموشح وفن الصوت والمواويل والتنزيلات في الغناء البحري الخليجي بخاصة ، وفن المألوف في المغرب العربي والمقام العراقي وما شابه ذلك • حيث في هذه الاشكال الفنية الموسيقية العربية يصعب الحديث عن اي تقارب بين الابقاع الشعري ( ايقاع الكلمة ) والابقاع الموسيقي ( ايقاع لحنها ) وبين كليهما والابقاع التعبيري الراقص المرافق لهما •

كما ان المسار اللحني لتتابع اداء مقاطع النص يتجاوز حدود السياق الاعتيادي لطبقات حجرة الانسان الشعبي • فلا بد من توفر الحنجرة المتدربة

الموهوبة والجهاز الصوتي المتمكن والاذن الموسيقية الموهبة ليستطيع بالتالي المؤدي ( الفنان المغني ) من توزيع مقاطع النص على نغمات المسار اللحني التقليدي المتوارث . وقد يتطلب الامر منه في بعض الاحيان ، نتيجة لضرورة التحولات النغمية والاسراف في توسيع مساحة المسارات اللحنية ، الى مدّ مقطع لفظي ما ، او كلمة محددة في النص ، على مسار نغمات اللحن الذي هو في غاية التعقيد والتنوع والطول . وهذا ما يلاحظ في فن الموشح والمقام العراقي مثلا .

وفي المقابل ، ولأجل المقارنة ، نجد كل مقطع لفظي في الغناء الشعبي ، كما في الاهازيج يقابل نغمة واحدة من نغمات المسار اللحني فضلا عن التطابق في اطولهما ، اي ايقاعهما . وفي الوقت الذي يتطابق ايقاع الحركة التعبيرية ( الراقصة ) في الاهازيج واغاني العمل مع الايقاع اللغوي والايقاع الموسيقي نجد ان الحركات التعبيرية الراقصة في الاشكال الفنية المتطورة لا تتطابق في ايقاعاتها مع ايقاع العنصرين الآخرين .

ولأجل هذا التباين والتفرد كان لابد من اداء الحركات التعبيرية الراقصة من قبل فنان راقص موهوب متمرس ، ويعني هذا ايضا انتقالها من الاداء الجماعي المتصف بالغفوية والتلقائية الى الاداء الفردي المتصف بالانتقان والحبكة والغنى في الاليقاءات التعبيرية التي تشترك في ادائها اعضاء الجسم المختلفة كالاطراف والارداق والاكثاف والرقبة ، وهذا ما يتبين بوضوح في فن الصوت وفن الموشح .

**\* الثابت والمتغير في موسيقى التلاوة بما يتعلق بالجانب العروضي الايقاعي**  
( متري - ريثميكال ) والصوتي ( فونوتيكال ) واللحني ( ملوديكال )

ان مسيرة البحث الموسيقي المعاصر قد اوضحت وجود ثوابت ومتغيرات في عناصر الفنون الموسيقية كما في غيرها من الفنون ، وسعت لتحديد ما وابعادها وتشخيصها بدقة متناهية . ومن دون تلك البحوث الموضوعية وتناجها

واستنتاجاتها لفقدت ملامح الهوية والشخصية الفنية المميزة ، وانعدمت ملامح  
الاصالة ، وضاعت خطوط التأثير والتأثر بين الثقافات المتجاورة •

ومن دون مسيرة البحث الموسيقي المعاصر<sup>(٨)</sup> لما توضحت المتغيرات في  
ادوات التعبير الفني ووسائله ، والنسيج الغنائي الموسيقي والموسيقى الحركي  
وعناصره ، ولما بانت التقنيات الادائية لصوت الانسان وآلته الموسيقية ،  
وكذلك ضاع علينا معرفة الانماط والقوالب والانواع والاشكال الفنية •  
ومن دون وجود تلك المتغيرات في عناصر الثقافة يعني الخمود والانكماش الفني  
والتفوق والبقاء في حالة الاستقرار والسكون الحضاري • وهو امر يتناقض  
مع طبيعة الحياة المتجددة للشعوب والامم الحية • فالشعوب لا تموت والامم  
تسعى نحو العلى وان تستكين الى حين •

لقد تناول الشيخ جلال الحنفي موضوع موسيقى التلاوة قبل ربع قرن  
تقريبا<sup>(٩)</sup> • ومنذ سنة ١٩٦٤م نشرت مقالات قليلة جدا حول موسيقى  
التلاوة • وقد علمت من الدكتورة لويس أبسن الفاروقي انها تناولت موسيقى  
التلاوة من الجانب المتعلق بها كمختصة بالعلوم الدينية<sup>(١٠)</sup> • كما نشر الدكتور  
توما حسن حبيب حول موسيقى التلاوة ضمن تناوله الموسيقى الدينية العربية  
بشكل عام •<sup>(١١)</sup> وفي أواخر عام ١٩٧٥م ارسل الشيخ جلال الحنفي من  
شنغهاي في الصين ورقة الى لجنة المؤتمر الموسيقي المنعقد ببغداد آنذاك •  
وكن عنوان ورقته : التجويد من أقدم قواعد النوبة الموسيقية •

ومن دراسة متفحصة للقليل الذي نشر اضافة لبحثي المتواصل في هذا  
المجال<sup>(١٢)</sup> توضحت امور مهمة عديدة بخصوص موسيقى التلاوة ، وسأتناول  
ضمن هذا العرض الجانب العروضي الايقاعي ( متري - ريتميكال -  
metri-rhythmical ) والصوتي ( فونوتيكال phonetical ) لما لها علاقة  
بموضوع البحث •

ترتكز التلاوة او قراءة النص القرآني على اسس واضحة يلخصها الحنفي  
بثاوث : النغم والصوت الجميل وأصول الاداء ( التراث الشعبي ع ٥ سن  
١٩٧٥ ص ٤٤ ) (١٣) • وترتبط أصول الاداء في جانب كبير منها بالناحية  
الايقاعية لموسيقى التلاوة في حالة كون النغم ( لحن التلاوة ) في اضييق حدوده  
الممكنة والصوت الجميل ( اللون والطابع الصوتي للمقرئ ) في أضيق  
مواصفاته الادائية ( ورقة الحنفي ص ٢ ) (١٤) •

ان العنصر الايقاعي لموسيقى التلاوة يأتي من خلال التزام المقرئ  
بضوابط لفظية منسقة كالمدّ والادغام والأشمام ( اي الاخفاء ) التي رسمت  
لها قواعد ثابتة ووضعت لها اصول معينة لا تتعرض للتغيير والتبديل • ومن  
خلال دراسة تحليلية كاملة (١٥) لثلاث تلاوات قرآنية عراقية استطعنا بالدليل  
القاطع البرهنة على صحة القول القائل : بان هناك اصولا وقواعد ثابتة تتعلق  
بالعنصر الايقاعي للتلاوة • ومازالت هذه القواعد ، وبعد حوالي اربعة عشر  
قرنا ، يتمسك بها القراء العراقيون (١٥) •

لقد نشرت قواعد التلاوة في كتب خاصة تدرّس في المدارس الدينية  
العراقية • وتسمى الكتب التي تبحث في كيفية قراءة النص القرآني قراءة  
صحيحة بكتب علم التجويد او علم الترتيل او قواعد التلاوة • ومعنى التجويد  
هو التحسين ، ويعني الترتيل الترسل في القراءة ، وتقول الآية الكريمة  
( ورتّل القرآن ترتيلا ) اي جوده تجويدا •

ان كتب قواعد التلاوة قد وضعت من قبل القراء البارزين عبر العصور  
الاسلامية ، فظهر اول كتاب منها سنة ٣٣٥هـ ، اي بعد حوالي ثلاثة قرون من  
وفاة النبي محمد (ص) • ولا يكتمل الجانب النظري لقواعد التلاوة الا بالجانب  
العملي ، الذي يتم بالتلقي المباشر من الافواه • فالمقرئ يطبق القواعد النظرية  
عمليا بين يدي معلمه ( شيخه ) ويأخذ من فمه مباشرة كيفية قراءة النص القرآني  
وعندما يتقن الطالب ذلك يمنحه معلمه اجازة في القراءة •

وفي احدى تلك الاجازات ( اي الشهادة بالمفهوم المعاصر ) لوحظ بان مدرس التلاوة لم يكتف بتدوين اسمه كمانح للاجازة ، بل دوّن اسم من منحه واسم الذي منح من منحه الاجازة ، وهكذا يتسلسل في ذكر الاسماء والى ان يصل لذلك المقرئ الذي اخذ قواعد التلاوة مباشرة من النبي محمد (ص) وبدون وجود هذا التسلسل ( ويقال التواتر ) تعتبر القراءة باطلة ويقال غير متواترة . لقد حفظ المسلمون الاوائل في صدورهم الآيات الكريمة كما سمعوها من النبي محمد (ص) ثم تناقلوها من بعده . ومازال القراء العراقيون شديدي التحفظ على قواعد التلاوة ، وحريصين كل الحرص على صون اللسان في النطق الصحيح للآيات الكريمة التي اكملت ضمن سرورها قبل وفاة النبي بثلاثة أشهر .

يلتقي الباحث الموسيقي عند دراسته قواعد التلاوة بالعديد من الفقرات والنصوص التي تشغل الجانب الموسيقي للتلاوة سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة . فيتطاب منه استنتاج المدلول الايقاعي منها . فالفقرات والنصوص المعنية بذلك بحاجة الى تفسير موسيقي من خلال تطبيقاتها العملية . فعلى الباحث ان يحلل ويعال ويستنتج كيفية حدوث التغير الايقاعي ، وذلك ليس من نصوص قواعد التلاوة فقط بل من التطبيق العملي لها وما يسمعه من المقرئ مباشرة . وبعد توصل الباحث الى فرضيات او استنتاجات محددة من النصوص النظرية عليه آنذاك مقارنتها بما هو موجود فعلا من مكونات موسيقية برزت بعد الانتهاء من عمالية التدوين والتحليل العلمي المتكامل لتلاوة ما او عدة تلاوات ، وذلك حسب سعة الموضوع قيد الدراسة .

ومن دراستي لثلاثة كتب في قواعد التلاوة او علم التجويد وجدت ان ابرز ما جاء فيها هو كيفية قراءة النص القرآني من حيث اعطاء الحروف حقها ومستحقها على وفق مقاييس لغة القرآن . فالتركيز هنا على ناحيتين اساسيتين هما اولاً : كيفية نطق الاحرف العربية والمحافظة على صفات الحرف الذاتية



وحالات اظهاره واخفائه وتحريكه ، اي الاهتمام بالجانب الفونوتيكي او الصوتي للحرف . ثم ثانيا : اعطاء كل حرف ما يستحقه من طول زمني في اثناء تلفظه ، والاهتمام بماكن تغير الطول تبعا لتبدل موقع الحرف في الكلمة ، او وفقا لما سبقه او تلاه من احرف . وكذلك التقيد الدقيق بالحالات التي يفقد الحرف فيه طوله الاعتيادي وذلك عند ادغامه بحرف تالي مثلا . كما وجدت في نصوص قواعد التلاوة شرحا مستفيضا لمواقع السكوت مع اخذ الشهيق ، والسكوت القصير مع مسك النفس ، ومواقع الوقف عند قراءة النص ، وكيفية تقطيعه او الوصل بين الكلمات القرآنية ، وغير ذلك .

ومما تقدم نجد ان قواعد التلاوة تعطي اهتماما كبيرا للجانب الايقاعي والعروضي ( متركال ) وبذلك استطاعت ان تحدد المقرئ المجاز بتدوين ثابت للتركيب الايقاعية للاحرف ( والمقاطع والكلمات ) وان لم تستعمل اي نوع من التدوين الايقاعي الموسيقي المعروف<sup>(١٦)</sup> . وعلى هذه الارضية الايقاعية الثابتة يخرج المقرئ كل حرف وكل مقطع من النص القرآني الكريم باللون الصوتي المحدد له ، كما اجازت له استعمال النغمة ( او النغمات ) التي تناسبه وفق مواصفات النغم المجاز بها حسب تفسير بعض الآيات القرآنية وما جاءت به الاحاديث النبوية الشريفة .<sup>(١٧)</sup>

فعلى المقرئ او المرتل ان يوازن بحذر شديد ودقة متناهية عند ترتيل القرآن بين ما تحدده قواعد التلاوة بخصوص الجانب الايقاعي والصوتي ( فونوتيكال ) وبين النغم او الانغام الداخلة فيه او المستعملة في التلاوة . وذلك لكي لا يبالغ في استطراده النغمي على حساب التغاضي او تجاوز قوانين التلاوة المحددة بوضوح . وعليه ايضا ان يسيطر على الاحساس الداخلي فيه الذي قد يثيره المسار اللحني ، وذلك كي لا ينحرف او يتجاوز قواعد التلاوة والعرف الصوتي الاجتماعي .

ومن جراء دقة مدوّن قواعد التتابع الايقاعي للاحرف ، اي اعطاء الحرف حقه ومستحقّه ، استطاع المرتلون من المحافظة على قراءة آيات القرآن وسوره بالطريقة التي تنسب الى من سمع النبي محمد (ص) مباشرة ، او الى النبي محمد (ص) نفسه ، واستطاع الباحث الموسيقي ايضا ان يتبع بوضوح حزمة الضوء التي تهديه الى الجانب الايقاعي والعروضي والصوتي في التلاوة .

وان كان الجانب الايقاعي والعروضي والصوتي اكثر وضوحا في قواعد التلاوة متارنة بالجانب اللحني ، فان تحديد سرعة التلاوة ( التنبو ) وديناميكتها جاء باساليب يسمح بحرية الاختيار . فنطلع على نص في قواعد التلاوة يحدد سرعة الترتيل ( التنبو العام ) بثلاث سرع اساسية ( ويقال مراتب ) . وهي قراءة سريعة ومتوسطة وبطيئة . ونستنتج من النص علاقة السرعة بالثراء النغمي للحن المستعمل في التلاوة .

ويلاحظ ايضا ان قواعد التلاوة ( علم التجويد ) لا تحدد المقرئ بتلاوة القرآن بسرعة معينة تبعا لوقت او مكان او مناسبة معينة . كما تعطيه الحرية في اختيار اللحن او تنعيم مقاطع الكلمات مع السرعة التي يختارها ارتباطا بالوظيفة الاجتماعية والعرف الصوتي الاجتماعي لترتيل القرآن ، على ان يتقيد المقرئ تقيدا لا انحراف فيه بالجانبين الآخرين المحددين بدقة في قواعد التلاوة ، وهما : اعطاء الحرف حقه ومستحقه ، اي الاعتماد بايقاع الحرف وصوته ، وموسيقيا نقول : الاهتمام بالجانب المترو - ريشيكال والفونوتيكال .

ولاعطاء التصور العام لمعطيات موسيقى التلاوة نذكر بعض النتائج التي توصلنا اليها من دراسة وتحليل تلاوة المقرئ العراقي الحاج محمود عبدالوهاب المؤلفة من ثلاثة عشرة آية من سورة طه .

## من سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

( قال أهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوٌ فأمّا يا تنبئك منى هدى فمن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى - ١٢٣ )  
( ومن عرض عن ذكرى فان له معيشةً ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى - ١٢٤ ) ( قال رب ليم حشرني اعمى وقد كنت بصيراً - ١٢٥ ) ( قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - ١٢٦ ) ( وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربّه ولعذاب الآخرة اشدّ وابقى - ١٢٧ ) ( افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لاياتٍ لاولى النشهى - ١٢٨ ) ( ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وَاَجَلٌ مُّسمًّى - ١٢٩ ) ( فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن انائى الليل فسبّح واطراف النهار لعلك ترضى - ١٣٠ ) ( ولا تمدن عينيك الى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وابقى - ١٣١ ) ( وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لانسلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى - ١٣٢ ) ( وقالوا لولا يا تنبنا بآية من ربّه او لم تاتهم بيّنة ما في الصحف الاولى - ١٣٣ ) ( ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا ارسلت الينا رسولاً فنتبّع آياتك من قبل ان نذل ونغزى - ١٣٤ ) ( قل كل متربص فتربصوا فستعالمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى - ١٣٥ )

صدق الله العظيم

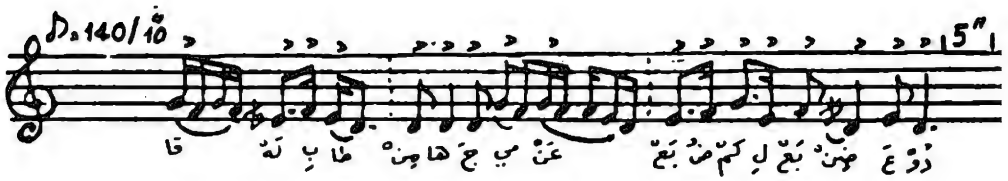
ان المقرئ لا يخرج عن قواعد التلاوة بما يتعلق بالجانب الاليقاعي  
 ( Rhythmical aspect ) إلا في مقطعين لفظيين فقط من المقاطع اللفظية  
 ( Syllables ) الخمسمائة وثلاثة المرتلة . فالمقرئ قد تقيّد بأطوال  
 الاحرف التي تحددها قواعد التلاوة بنسبة تكاد تكون مطلقة . ويلاحظ  
 زيادة عدد مقاطع التلاوة مقارنة بعدد مقاطع الآيات ويعود سبب ذلك الى اعادة  
 المقرئ لبعض كلمات النص عند تقسيمه للآية الواحدة الى اكثر من مقطع  
 ( أو جزء ) ترتيلي . فثمانية آيات منها تقع في جزئين ترتيليين ، وواحدة منها  
 في ثلاثة اجزاء ترتيلية . علما ان التلاوة هذه تسبقها الاستعاذة وتختتم  
 بالتصديق المؤلفتان من عشرين مقطعا لفظيا لم ندخلهما ضمن نتائج التحليل  
 ومعطيات الجانب الاليقاعي .

ولوحظ ان الفرق في عدد المقاطع اللفظية للآيات المرتلة جاء بسبب تأكيد  
 المرتل على محتوى النص او بسبب تجزئته لنص الآية الواحدة الى اكثر من  
 جزء ترتيلي . فأكبر عدد للمقاطع اللفظية جاء في المقطع الترتيلي رقم ( ١٤ )  
 الذي يُمثل القسم الاول من الآية رقم ( ١٣١ ) وهو ( ٣٦ ) مقطعا لفظيا .  
 ونصها : ( وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا لِنَفْثِنَّهُمْ فِيهِ ) . بينما اقل عدد للمقاطع اللفظية جاء في المقطع الترتيلي  
 رقم ( ١٥ ) الذي يمثل القسم الثاني من الآية رقم ( ١٣١ ) ، وهو ( ١١ ) مقطعا  
 ونصها : ( وَرَزَقُوكُمْ رَبُّكُمْ خَيْرًا مِنْ أُولَٰئِكَ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) .

ولا يتشابه الجانب العروضي ، اي طريقة توزيع اماكن الضغط او النبر  
 او الاكسنت Accent ، في الآيات المرتلة من سورة طه . ويعود سبب  
 التباين والتنوع في اماكن الضغط الى اختلاف كلمات المقطع الترتيلي الواحد  
 والى اختلاف عدد احرف الكلمة الواحدة ثم اختلاف اطوالها . فأختلاف  
 الجانب العروضي او الجانب العروضي الاليقاعي Metri-rhythmical aspect  
 ناتج من اختلاف عدد الكلمات وعدد أحرفها واطوالها في المقطع الترتيلي الواحد

الذي قد يمثل آية واحدة او جزءا منها • لذا نجد الجانب العروضي الايقاعي للتلاوة او احدى آياتها يتحول في اثناء الاداء الترتيلي من الوزن الثنائي الى الثلاثي ، او من كونه اعتيادي الطابع يقع النبر في بدايته الى سنكوبي الطابع يتأخر النبر فيه عن موقعه الاعتيادي • وبأختصار نقول انه يأتي بانماط مختلفة جدا نتيجة لحصول الضغط على كل حرف ( او مقطع لفظي ) من النص المرتل •

ولاجل توضيح الجانب العروضي ( او المتريكا ) وتنوعها لناخذ المقطع الترتيلي الاول من سورة طه كما رتلها الحاج محمود عبدالوهاب فنجد اننا يمكننا تقسيمه الى ثلاثة اجزاء • فبينما نجد قد جاء اعتياديا في الجزء الاول يتحول الى طابع سنكوبي في بداية الجزء الثاني وفي نهايته ، وكذلك في وسط الجزء الثالث • وفيما يأتي نعيد كتابة المقطع الترتيلي الاول من سورة طه على المدرج الموسيقي مع توضيح اماكن الضغط او النبر التي لم تؤثر في التدوين الأساسي للتلاوة •



ان عملية تثبيت السرعة ( التَمْبُو ) للمقاطع الترتيلية للتلاوة عند التدوين الموسيقي عن الشريط المسجل ( وتدعى العملية Transcription ) هي العملية التالية المرهقة حقا ، وذلك بعد عملية تحديد المسار اللحني والبناء الايقاعي للاحرف ( او المقاطع اللفظية ) • ومن الجدير ذكره هو ان السرعة النسبية ( او التيمبو الرلاتيف ) ( Relative tempo ) المثبتة في بداية المقاطع الترتيلية للتلاوة او على اجزاء محددة منها قد جاءت وفق مقياس مَترُونوم مَلْتَسَل ( Melzel Metronom ) • وان درجة دقته

تختلف من مقطع لآخر ، رغم بذل أقصى الجهود الممكنة لتحديده بالصورة  
الاکمل واعادة تدقيقه اكثر من مرة وفي اوقات متباعدة نسبيا •

وجاءت السرعة النسبية أقرب الى الثبات او ثابتة تقريبا في عشرة مقاطع  
ترتيبية ، وقد تغيرت في مقاطع اخرى من هذه التلاوة • فيزداد التمهيد في بعضها  
ويقل تدريجيا في البعض الآخر ، أي المقريء يسرع أو يبطئ في اواسط المقاطع  
الترتيبية او في نهاياتها • ووجدنا ان تنوع السرعة النسبية للتلاوة ليست  
مسألة عفوية بل مرتبطة بمضمون النص من جهة وبالجانب التنغمي اي اللحني  
من جهة اخرى • فارتباطه بالنص ناتج من ان المقريء يغير سرعة المقطع الترتيلي  
هذا او ذاك لاجل ان يوضح كلمة معينة او جملة محدودة من النص  
القرآني • وارتباطه بالجانب التنغمي او المسار اللحني ناتج من ارتفاع نغمات  
اللحن او تغيير تقنية حركته •

ولمعرفة السرعة المطلقة او الثابتة ( وتدعى Absolute tempo )

طبّقنا معادلة الباحث كولينسكي ( Kolinski M. ) لها<sup>(١٨)</sup> • ووجدنا  
انها تعكس بوضوح وبدقة درجة كثافة تتابع النغمات في المسار اللحني للمقطع  
المرتلة • وتوصلنا الى النتيجة الاتية : كلما كان المقطع المرتل قريبا الى المجري  
اللحني المليزماتيكي كان رقم السرعة المطلقة هو الاعلى • وبشكل عام نجد  
ان السرعة المطلقة منخفضة في بداية المقاطع المرتلة كما في بداية المقطع الترتيلي  
رقم (٢) و (١٧) وترتفع في نهاياتها كما في نهاية المقطع الترتيلي رقل (١١) و (٩)  
و (٢٠) • فيصل عدد النغمات الى الضعف او اكثر من الضعف لعدد المقاطع  
اللفظية المرتلة وذلك بتأثير مباشر من الجانب اللحني •

وبما ان الصمت لا يقل أهمية وقيمة عن الرنين من الزاوية الموسيقية في  
الاشكال والانواع الترتيلية الدينية والغنائية الدنيوية ، ولاهمية احتلال  
السكتات او اماكن الصمت في سورة طه النسبة العالية من زمن التلاوة  
الکلي ، اي بنسبة ٤٣٩٣٪/ حاولنا ان نبحت عن المبرر الموسيقي لها ، والبحث

عن الدوافع النسبية المسببة لها • فوجدنا ان اطوال السكتات الأربعة والعشرين بين المقاطع الترتيلية الخمسة والعشرين لتلاوة سورة طه للمقرئ الحاج محمود عبدالوهاب — بما في ذلك الاستعاذة في البداية والتصديق في النهاية — يتحكم في اطوالها عاملان :

اولاً : عامل النص ، فالسكتة تطول عندما ينتهي نص الآية •

ثانياً : عامل اللحن ، فالسكتة تطول عندما يغير المقرئ المقامية ( ويقال التوناليتية أو التوناليتية ) او عندما يوسع المقرئ المجال اللحني ( ويقال الأمتيتوس ) • وقد يشترك عامل النص واللحن في آن واحد فيزداد طول السكتة او الصمت بين مقطع مرتل وآخر داخل الترتيل العام •

وللسكتات في الترتيل القرآني تأثير ظاهري ومباشر على مسامع واحاسيس المتلقين ، فضلاً عن فائدتها المباشرة على المقرئ المرتل نفسه ، كنبه الراحة الفسلجية وتصوره للحن القادم ومراجعتها نص المقطع السابق ومساره اللحني •

وبما يتعلق الامر بالجانب اللحني لتلاوة الحاج محمود عبدالوهاب من سورة طه نذكر ان لحن آيات التلاوة مع لحن الاستعاذة والتصديق قد تكون من (٧٣٢) نغمة كان زمنها الكلي (٢٩٩٠٧) ثانية اي بمعدل ٤١٪ من الثانية للنغمة الواحدة • وان زمن اطوال المقاطع الترتيلية قد تراوح بين (٦٠٢) ثانية و(٢٣) ثانية ، وبالتالي اختلفت اطوال النغمات فيها فتراوحت بين (٢٥٠) من الثانية و(٤٦٠) من الثانية •

ويتألف المسار اللحني الكلي للتلاوة من خمسة عشرة نغمة تقع بين النغمة سي كار الصغيرة (  $b^+$  ) وتدعى نغمة ( عراق ) ، وبين نغمة مي اثنين (  $e^{1/}$  ) وتدعى نغمة ( حسيبي شد ) اي يتألف المسار اللحني من اوكتاف واحد زائداً رابعة تامة او بُعد من نوع الاثني عشر • ويتكون هذا المسار اللحني الكلي من عدد من الهياكل النغمية الرباعية (وتدعى الكفار توناليتية)

المتداخلة بعضها ببعض او المتتابعة بعضها وراء بعض • ويتغير في المسار اللحني موقع النغمة الأساسية (او المركزية) التي لا تتطابق مع النغمة النهائية احيانا في كل مقطع ترتيلي •

ويُصعب دراسة المسار اللحني الكلي هذا لو جردناه من السسكتات (اي فترات الصمت) التي تتبع كل مقطع ترتيلي • لذا دراسة الجانب اللحني للتلاوة وتحليله يتطلب استيعابه كما جاء متسلسلا في التلاوة كما يضطر الباحث الى تجزئة بعض المقاطع الترتيلية الى أجزاء لحنية (تونالية) اصغر • فمن دون ذلك تختفي الصورة الحقيقية لتتابع النغمات ، وانهيكل النغمي ، والنغمات المركزية والاولية والنهائية كوسائل ومنطلقات هامة لتحديد ، مقامية (تونالية) التلاوة •

ان تحديد حركة النغمة المركزية تشير بوضوح الى البناء اللحني لمقاطع التلاوة الذي جاء كتعبير عن البناء الكُثْثَارْ تثنوآلني (او التتراخوردي)، الذي تتصف به موسيقى حضارات الشرق المتعاقبة • وعندما تتحد النغمة المركزية مع النهائية في مقطع ترتيلي ما يزداد احساسنا برسوخ مقاميته (بمعنى الجنس الواحد ويقال تونينا — Tonina ) • وفي حالة عدم اتحادهما نشعر بان التونينه غير مستقرة وقابلة للتغيير في المقطع المرتل • وعن طريق عدم التطابق هذا يذوّب المقرئ حدود التونينا الاولى (الجنس الاول) لينتقل الى الثانية ثم بعد حين الى الثالثة ، وهكذا حتى نهاية التلاوة عندما يعود المقرئ الى التونينا الاولى ( او الجنس او المقامية الاولى ) •

وللنغمة الاولى أهمية خاصة في التلاوة فعن طريقها يثبت المقرئ حدود المسار اللحني ويوسع المجال الصوتي لكل مقطع ترتيلي • ويتفاوت المجال النغمي Ambit لمقاطع التلاوة الترتيلية بين أربع وست نغمات ، ويقل في مقطعين الى ثلاث نغمات • ونجد حدي الجنس ( او الهيكل التونالي) في جميع المقاطع المرتلة تقريباً هما اللذان يحددان البناء اللحني للمقطع ، وأيهما تتحرك النغمات الاخرى والقافزة منها خاصة • وقد يتوسع المجال النغمي في بعض



المقاطع الترتيلية ، ويعني هذا اضافة نغمة واحدة او اكثر فوق رابعة المسار اللحني ، او نغمة او اكثر تحت النغمة المركزية •

وعندما تتنوع نغمات المجال النغمي الى نغمات من نوع نصف التون (او الدرجة) وربع التون ( او ثلاثة أرباع التون ) جنبا الى جنب ، كأن ترد نغمة ( سي يمول ) ونغمة ( سي يمول كار ) - ويقال في المصطلحات النغمية اللفظية نغمة عجم وعراق او نغمة عجم وأوج - فيعني هذا ان المقطع الترتيلي قد احتوى على أكثر من هيكل تونالي ، اي أكثر من جنس نغمي ، ولا يعني هذا الامر حصول ما يُعرف بمصطلح المسار الكروماتيكي داخل الهيكل التونالي • ومع ذلك فأن مثل هذا التابع للهيكل التونالي نادر الوقوع ، وقد حدث مرة واحدة في المقطع الترتيلي رقم ٩ فقط ، ومع نص الآية الكريمة رقم ١٢٨ •

لقد جاءت نوعية الاجناس التونينات ( او المقامات ) في المقاطع الترتيلية الخمس والعشرين لتلاوة سورة طه للحاج المقرئ محمود عبدالوهاب بالطرائق الآتية :

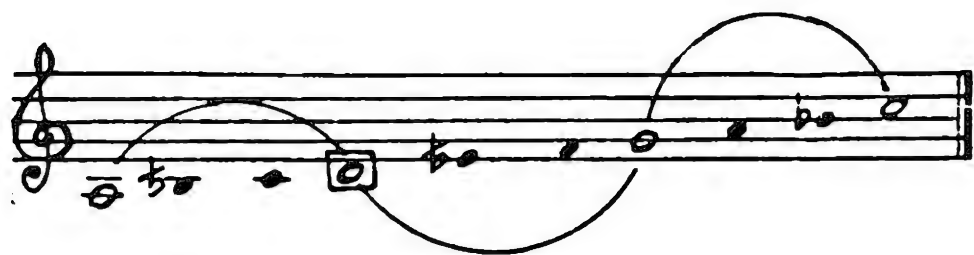
اولا : اشتراك عدة مقاطع ترتيلية متتالية في تونينا واحدة ( كأن تكون من نوع البكيات ) على الرغم من تباين المجال النغمي في كل منها احيانا ، واختلاف النغمتين النهائية والابتداء ايضا •

ثانيا : انفراد مقطع ترتيلي معين بتونينا خاصة به ، واختلفت فيه النغمات الاساسية الثلاثة (ونعني المركزية والنهائية والاولية) عن المقطع الترتيلي السابق واللاحق ، وذلك كما في المقطع رقم ٤ •

ثالثا : وقوع أكثر من تونينا في مقطع ترتيلي واحد ، ونتيجة لذلك احتوى على أكثر من نغمة مركزية وذلك كما في المقطع الترتيلي رقم ٩ و٢٣ عندما يترتل المقرئ نص الآيتين ١٢٨ و١٣٥ ( اي الاخيرة ) •

رابعا : ولوحظنا فترات الصمت بين مقطعين مترتلين او اكثر ( فترات

الصمت محددة طولها بالثواني في نهاية تدوين كل مقطع ترتيلي • ( لتكوّن لدينا هيكلين نغميّان مرتبطان ارتباطاً متصلًا ) ارتباطاً بيناً كالنبي كما يُقال باليونانية • ولو حدث مثل هذا الحذف للسكتات - وهي حالة لا تحدث في هذا الأسلوب من الترتيل - بين مقطع الاستعاذة (رقم ١) والمقاطع الترتيلية الثلاثة التالية لأستعرض المقرئ فيها المسار اللحني المعروف باسم البَيّات (ويقال البَيّاتي) المؤلّف من النغمات : ري ١ ، مي ١ كارا ١ ، فا ١ ، صول ١ ، لا ١ ، سي بيمول ١ ، دو ٢ اضافة لتوسيع المجال النغمي نحو الاسفل بنغمة دو ١ ونغمة سي كار الصغير • اي توسيع المسار اللحني بجنس بيّات ثالث يقع تحت جنس البَيّات المركزي تنقصه نغمته الاولى وهي نغمة لا الصغير • ويمكن توضيح المسار اللحني هذا على المدرج بما يأتي :



لقد تألّفت الاشكال (او الأنواع) التوينية للتلاوة من خمسة أجناس من مجموعة الاجناس العربية الثمانية المعروفة ، وهي : البَيّات والنّهّاوَنَد والرَسْت والسيگاه والعَجَم ، وذلك بغض النظر عن درجات استقرارها النغمية ذات الاهمية الكبيرة في تحديد اسمائها في التراث الغنائي - الموسيقي ( الغناسيقي ) العراقي • ان الاجناس الثمانية والعشرين التي تكوّن مجموع المقاطع الترتيلية للتلاوة جاءت اجناس كاملة في ثمانية منها ، وناقصة من النغمة الاولى او الرابعة في اربعة اجناس ، وجاءت موسعة في اربعة اجناس ، وقد احتوى احدها على النغمة الاولى والثانية والسابعة تحت الاولى ، اي توسع بنغمة تحت الاولى ونقص منه النغمة الثالثة والرابعة للجنس • وبشكل عام نجد ان المقرئ في بداية التلاوة ونهايتها اكثر استقرارا في استعراضه للاجناس

( او للتونينات ) وكان اكثر تنوعا في وسط التلاوة ، وذلك بين المقطعين الرابع والعاشر ، حيث يغير المقرء النغمة الثالثة او الثانية للجنس او يتم التنوع بواسطة تغيير النغمة المركزية ، فينتقل بذلك بين جنس البَيَات على نغمة ١١ والرست على نغمة صول ١ وغير ذلك .

ان لحن التلاوة عبارة عن مجرى لحني انسيابي حرّ غير مجزأ السي وحدات زمنية منتظمة تتناوب في ضغوطها ( شدتها ) اي غير مقسم السي مازورات ( او بارات ) . ان المجرى اللحني للتلاوة محدد بايقاع النص اي بأطوال احرف الكلمة وفقا لقوانين التلاوة . واستطاعت اللوحة رقم ٢ المعدة من قبلنا ( سنة ١٩٧٨م ) من تثبيت الخط اللحني للمقاطع الترتيلية الخمس والعشرين وتحديد خاصية البناء اللحني من طريق تحديد النغمات الهامة في كل مقطع ترتيلي .

ولو نظرنا الى لحن التلاوة من زاوية الحركة التقنية لهيكله فنجد المقرء قد اتبع فيها اكثر من اسلوب او نمط ، وتكاد تكون الانماط متداخلة في كل مقطع . فتقنيات بناء اللحن وحركته قد تكون من نمط المتموجة ( Wavy , Waved ) وتعني تحرك اللحن بين نغمتين فقط في اكبر مساحة نغمية ، او تكون من نمط الدوار ( Revolving ) اي حركة اللحن اكثر ما تكون حول نغمة واحدة من نغماته . او من نمط المتدفق ( Fluent ) وفيه يسير اللحن بدون ابعاد قافزة ويتحرك على الاغلب بابعاد من نوع الخطوات ( اي الثانيات والمتطابقة النغمات Unison ) . او يكون من نمط الالتقائية ( Recitative ) او السردية حيث يسير اللحن على نغمة واحدة ، او من نوع المعترضة ( Interruption ) حيث الحركة اللحنية الانسيابية الهابطة الطابع بأبعاد التدرج ، اي من نوع الثانيات والمتطابقات ، تقابلها حركة قافزة يبعد واحد نحو الاعلى بأحد الابعاد القافزة اي من نوع الثالثات او الاكبر منها .

وكمثال على بناء اللحن وحركته من نمط المعترضة ثورد الجزء الاخير من المقطع الترتيلي رقم ٢٣ عندما يصل المقرء فيه الى ترتيل قوله تعالى :  
 فستعلمون مَنْ اصحاب الصراط السوي وَمَنْ اهتدى ( حيث يبرز فيه  
 بُعد قافز من نوع الخامسة التامة ( Perfect 5th ) وثلاثة الرست  
 . ( Rast 3rd )



ومن زاوية ارتفاع اللحن تبعا للنوطة المركزية نجد ان الطابع العام للمقاطع الترتيلية هو ان اللحن فوق النغمة المركزية ( ونحدده بمصطلح زائد Positive ) . اما اذا اخذنا كل مقطع ترتيلي على انفراد لوجدنا اللحن يتحرك تحت النغمة المركزية في مقطع واحد ( ونحدده بمصطلح ناقص Negative ) ، ويتحرك حول النغمة المركزية في ثلاث حالات ( ونحدده بمصطلح متعادل Equal ) .

واذا اردنا ان نقيّم مسار اللحن من زاوية تماسكه وتبلوره نجد انه قد جاء بخاصية الليكاتورا ( Ligature ) والملزما تيكا ( Melizma ) بنسبة متوسطة او اقل من المتوسطة ، ولا تبرز خاصية الزخارف والتحليلات ( Ornament ) . وللوصول الى ما يُحدّد المسار اللحني من زاوية تبلوره بصورة ادق هو ملاحظة نسبة عدد المقاطع اللفظية الى عدد النغمات في المقطع الترتيلي الواحد . فكانت النسبة العامة هي ٧٣٢ نغمة الى ٥٢٣ مقطعا لفظيا ، اي جاءت بنسبة ٧١٤٥/٧٠٠ لجميع مقاطع التلاوة الترتيلية ، مما يدل على ان التلاوة بشكل عام هي اقرب ما تكون الى الطابع المقطعي ( السيلابيكي

**Syllabic** ) • وعندما يتقارب عدد المقاطع الى عدد النغمات في المقطع الترتيلي كما في رقم ١١ ترتفع النسبة الى ٩٦ر١٥٪/ ويصبح مقطعي او سيلابيكي الطابع • وعندما تقل النسبة الى ٤٤٪/ كما في الرقم ١٥ يرتفع عدد النغمات مقارنة بالمقاطع اللفظية ويعني ان المقطع اصبح ملزماتيكي الطابع • ان التقييم التالي للحن التلاوة هذه هو النظر اليه من زاوية تركيبه البُعدي (الانترفاني Interval ) وتحديد اعداد ابعاده وانواعها واصنافها ، ووضع التفسير المنطقي المطلوب لمخرجاتها •

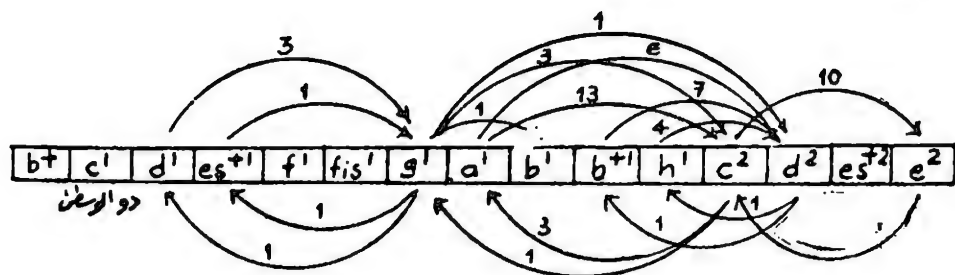
فكانت نسبة الابعاد الصاعدة الى الهابطة هي ٤٠ر٠٩٪/ الى ٥٩ر٩١٪/ ونسبتها العددية ٢٧٨/١٨٦ • وكانت نسبة ابعاد الخطوات او التدرج الى القافزة هي ٨٧ر٥٠٪/ الى ١٢ر٥٠٪/ ، ونسبتها العددية ٥٨/٤٠٦ • ويوضح هذا التباين في نسب الابعاد او اعدادها إتجاه الانعطاف اللحني للتلاوة الى جانب الملامح الأخرى التي برزت عند تحديد مسارها اللحني •

فطراز اللحن هو من نوع الهابط بشكل عام الا انه قد ظهرت انماط أخرى من الانعطاف اللحني في المقاطع الترتيلية ، مثل النمط الصاعد كما في بدايات المقاطع الترتيلية ، والنمط المستوي او على شكل اقواس في اواسط المقاطع الترتيلية •

ويظهر من المقارنات الرقمية للتركيب البُعدي للتلاوة ان عدد الابعاد الهابطة الى الصاعدة من نوع التدرج ( او الخطوات ) هو حوالي الضعف ( اي ٢٦٩ هابطة الى ١٣٧ صاعدة ) ، بينما الحالة جاءت معكوسة في أبعاد القفز فهي اكثر من خمسة اضعاف ( اي ٩ هابطة الى ٤٩ صاعدة ) • ان لهذه المقارنات الرقمية للأبعاد تفسير يرتبط بمنطقية تحقيق المسار اللحني للتلاوة • فالمسار اللحني للتلاوة يرتفع بأبعاد قافزة من نوع الثالث ( اي الثالثة الصغيرة وثالثة الرست والثالثة الكبيرة ) ومن نوع الرابعة والخامسة التامتين • ثم يأخذ المسار اللحني بالهبوط التدريجي عن طريق ابعاد التدرج من نوع المتطابقة والثانية ( الثانية الصغيرة وثانية البكيات والثانية الكبيرة ) •

ان تقنية حركة اللحن وبنائه المثبتة انماطها في فقرة سابقة قد اوضحها التركيب البُعدي بدقة عن طريق الفرق النوعي والعدي للابعد . كما ان تحديد نغمات الابعاد القافزة التي يقفز المقرئ من خلالها الى الاعلى او الاسفل يوضح درجة اهميتها في رسم التدرج المقامي ( التونيني ) في المسار اللحني للتلاوة ، ومدى مطابقتها مع الهيكل المقامي للاجناس اللحنية المختلفة المستعملة .

ومن الجدير ملاحظته وأخذه بنظر الاعتبار عند اي تقييم هو ان المقرئ في هذه التلاوة لا يقفز الى الاعلى من جميع نغمات المسار اللحني المؤلف من خمس عشرة نغمة عند تعامله مع الابعاد من نوع الثالث ، بل يقفز من احدى نغمات الهيكل النغمي للاجناس المستعملة فقط . والحالة هذه مطابقة عند هبوط المسار اللحني نحو الاسفل ، وكذلك مطابقة تماما ، بل اكثر وضوحا ، عند تعامل المقرئ مع الابعاد من نوع التامة (القافزة) كالاربعات والخامسات . والشكل الاتي يتراد منه توضيح حركة الابعاد الصاعدة والهابطة من نوع التامة والثالثات ( اي القافزة ) واعدادها كمخرجات لتلاوة الحاج محمود عبد الوهاب من سورة طه ، ( وهي سورة مكيّة وتسلسلها ٢٠ وعدد آياتها ١٣٥ آية ) .



( يُقرأ المسار اللحني اعلاه من اليسار ، ودوّنت أسماء النغمات بالابجدية الالمانية المشابهة لاسماء الاحرف الموسيقية بالابجدية الانجليزية عدا الحرف b = سي ييمول و b+ = سي كار و h = سي و es+ = مي كار و fis = فا ديز . والاقواس العليا

تشير الى حركة الابعاد الصاعدة والاقواس السفلى تشير الى الحركة الهابطة للابعاد . وتشير الارقام العربية الى عدد مرات القفز نحو الاعلى او الاسفل اثناء ترتيل التلاوة ) .

وخلاصة لما ورد في هذه الدراسة يظهر ان في تلاوة القرآن الكريم ، كتراث ترتيلي تقليدي ، ثوابت ومتغيرات بما يتعلق بالجانب الايقاعي . وما ظهر من ثوابت في ايقاع الاحرف ( او مقاطع النص ) لدليل قاطع على تمسك القراء بالتقاليد الفنية الأصيلة للموسيقى الدينية العربية - الاسلامية . ولعلها توضح جوانب مهمة ايضا من خصائص الموسيقى العربية للعصور التي سبقت ظهور الاسلام والخصائص اللحنية للشعوب الشرقية التي تأثرت بها او اثرت فيها عبر الحضارات العربية - الاسلامية المتعاقبة . (١٩)

اما المتغيرات في الجانب العروضي ( اي مواقع النبر او الأكسنت - المتريكال ) والسرعة النسبية ( اي سرعة جريان المسار اللحني ) والسرعة المطلقة ( نسبة الكثافة النغمية للمسار اللحني ) ، ومواقع الصمت بين المقاطع الترتيلية ، وما يتعلق الامر بالجانب اللحني وغير ذلك مما لم يرد في هذه الدراسة ، فانها عناصر ومكونات تعكس تطور اداء التلاوة عبر القرون الاربعة عشرة الماضية . وتوضح تأثيرات العناصر الموسيقية الاخرى الداخلة والمتفاعلة فيها ، وخاصة عنصر اللحن واختيار المقام اللحني لموسيقى التلاوة ككل .

وتساعد معطيات دراسة موسيقى التلاوة دراسة تحليلية كما هو متبع في المراكز البحثية العالمية ومعطياتها التحليلية بل تسهم بدور رئيس في القول الفصل بشأن اي حديث حول الاصاله الفنية في الموسيقى العراقية المعاصرة ، لكونها الخزين المتوارث الاكثر رصانة وتماسكا وتبلورا وحفظا على تقاليد نطق الاحرف العربية في مختلف مجالات وظيفتها في الفنون القولية ، والبناء النغمي المقامي بشكل عام . ومازالت دراسات الموسيقى الدينية في بداياتها ، ولاجل نهوضها لابد من المزيد من الدعم والرعاية وتوفير المستلزمات على مختلف المستويات الرسمية والاجتماعية .

## الهوامش

- (١) د. يوسف فرحان دوخي : الاغاني الكويتية ، منشورات مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، المطبعة الاهلية ، الدوحة ١٩٨٤ م . في ص ٢٣٠ يخبرنا المؤلف حول مدلول بعض العبارات التي يرددها رجال البحر كقولهم ( هو يا مال ) او ( هو يا مالي ) .
- (٢) للاستزادة راجع سايمون جارجي : نقاط منهجية لتحديد مفهوم الموسيقى الشعبية وخصائصها في منطقة الخليج والجزيرة العربية . بحث قدم في ندوة التخطيط لجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبي في ١٥/١٢/١٩٨٤ ، الدوحة - دولة قطر . نشر البحث فيما بعد في الكتاب الثاني لسلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية ، الصفحات ٦٣-٧٢ من الطبعة الاولى ١٩٨٥ م .
- (٣) جاء في المصدر السابق ص٤ باسم « التركيب العروضي : الرقصي والايقاعي او الحركات الرقصية » . انظر ايضا الصفحة ٦٦ من الكتاب الثاني لسلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي ، المصدر السابق.
- (٤) ان اغاني العمل الواردة في كتاب ( التراث الشعبي في ميسان ) الصفحات ٦٩ - ٧٤ ، خير مثال على كيف العنصر اللغوي والعنصر الصوتي لطبيعة الفعل الحركي المؤدى وإيقاعه المنتظم المتواصل ، وذلك من خلال اداء الازوجة ( الهوسة ) عند انجاز الفلاحين أعمالهم المختلفة الشاقة . للاستزادة راجع المصدر .
- (٥) سايمون جارجي : المصدر السابق ، ص ٦ .
- (٦) ويقال : « أن الخليل اكتشف قوانين النظم بينما كان يستمع في البصرة لصوت مطرقة حداد وهي تسقط على السندان في اتساق » . للاستزادة انظر : د. شكري محمد عياد : موسيقى الشعر العربي ، الطبعة ٢ ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٢ .
- (٧) الحاج هاشم محمد الرجب : الابودية ، اصدار مركز الفولكلور العراقي - وزارة الارشاد ، بغداد ١٩٦٢ ، ص ١٧-١٨ . انظر كذلك : منتخبات الابوديات الكبرى في الغزل والنسيب . جمع وتقديم علي الخاقانسي ، منشورات دار البيان ، ط ١ ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص ٧ .



(٨) يصعب تحديد بدايات البحث الموسيقي المعاصر بدقة ، وكانت البداية على الأرجح في القرن الثامن عشر عندما بدأ الاخوان جريم والباحث هررد جمع ودراسة الاغاني الشعبية ( Volkslied ) والفنون القولية المختلفة . وتباور المنهج التحليلي الموسيقي فيما بعد عندما طبقت نتائج الموسيقى النظرية المتطورة في البحث الموزيكولوجي . ويعتبر منهج الباحث ادلر النقدي المعلن عنه لأول مرة سنة ١٩١٢ م في كتابه ( الاسلوب في الموسيقى Der Stil in der Musik ) والمطبق سنة ١٩٢٤ في مؤلفه ( مرجع تاريخ الموسيقى ) من المناهج المعروفة الاولى . ولا يمكن تصوير منهج ادلر من دون المنهج التحليلي الذي جلبه في الواقع الباحث ريمان من ( النظرية حول المؤلف ) . وتمكن عدد من الباحثين بعد ذلك من ابتكار منهجا للبحث الموزيكولوجي وضع على اساس علمية رصينة وثابتة ، وبذلك اوجدوا من العلم الموسيقي نظاما علميا اجتماعيا مستقلا عرف باسم المنهج الاثنوموزيكولوجي .

(٩) انظر مقالة الباحث العراقي الشيخ جلال الحنفي المنشورة في مجلة ( التراث الشعبي ) سنة ١٩٧٥م بعنوان ( موسيقى التلاوة ) . وهي في الاصل نص محاضراته الملقاة في المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد ببغداد عام ١٩٦٤ م .

(١٠) تم لقائي بالباحثة د. لويس أبسن الفاروقي في الدوحة - دولة قطر خلال جلسات ندوة التخطيط لجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبي في كانون الاول سنة ١٩٨٤ م . والتقيت بها مرة ثانية ( قبيل مقتلها هي وزوجها ) في مدينة فانكوفر في كندا في تشرين الثاني سنة ١٩٨٥م عند حضور اللقاء السنوي الثلاثين لجمعية علوم موسيقى الشعوب ( SEM ) مثالا عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة/دولة قطر .

(١١) انظر كتاب د. توما حسن حبيب (الموسيقى العربية) المنشور سنة ١٩٧٥م بالالمانية في برلين .

(١٢) في دراسة مطولة انجزتها سنة ١٩٧٨م للحصول على شهادة الكانديدات باشراف البروفيسور د. جوزيف كرسانك في جامعة كومنيوس في مدينة براتيسلافا في جمهورية سلوفاكيا كان الجزء الاول منها مخصصا لموسيقى التلاوة ، وقد اعتمدت الدراسة على مسوحات ميدانية وتحليل اثنوموزيكولوجي كامل لثلاث تلاوات عراقية مختارة من جيل ما بعد الملا عثمان الموصلي .

(١٣) انظر مجلة التراث الشعبي ( العراقية ) ، العدد الخامس لسنة ١٩٧٥م ، ص ٤٤ .

(١٤) الشيخ جلال الحنفي : التجويد من اقدم قواعد النوبة الموسيقية ، الورقة الثانية ، شنهاي ١٩٧٥ م .

(١٥) اتبعنا في الدراسة التحليلية لموسيقى التلاوة والمولد النبوي مخطط الباحثة السلوفاكية الدكتورة أليسا الشكوفا المنشور بعنوان : أسس التحليل الاثنوموزيكولوجي  
**Essential Ethnomusicological Analysis**  
في مجلة الدراسات الموسيقية العلمية التابعة لأكاديمية العلوم السلوفاكية العدد ٦ ، السنة ١٩٦٣ م ، الصفحات ١١٧-١٧٧ .

(١٦) خصصت في كتب قواعد التجويد فصول للمدود واحكامها ، كالمسد الطبيعي والمتصل والمنفصل العارض واللازم .. الخ ، وكل نوع منها يحدد بحركاته التي يدرسها متعلم قواعد التجويد ويطبقها بين يدي شيخه . فالمد الطبيعي مثلاً لا يجوز ان يزيد مداه الزمني على حركتين ، اي رفع اصبع وخفضه ، ويمد المد المتصل ست حركات على وجه الوجوب . وللاستزادة انظر كتاب الشيخ جلال الحنفي البغدادى الصادر بعنوان ( قواعد التجويد واللقاء الصوتي ) في بغداد سنة ١٩٨٧ م او غيره من الكتب الموجزة ككتاب الحاج محيي الدين عبدالقادر الخطيب الصادر بعنوان ( كفاية الراغبين في تجويد القرآن المبين ) ببغداد سنة ١٩٧٧ م .

(١٧) خصص المستشرق هنري جورج فارمر صفحات مطولة في كتابه ( تاريخ الموسيقى العربية ) استعرض فيها موقف الدين الاسلامي من الموسيقى ، ومن استعمال الانغام في ترتيل الآيات القرآنية الكريمة ، وذلك بالاعتماد على تفسير بعض آيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف المذاهب الاسلامية وفقائها . وخصص الشيخ جلال الحنفي فصلاً بعنوان ( موسيقى التلاوة والمقرئون البغداديون ) في كتابه ( قواعد التجويد .. ) المنشور سنة ١٩٨٧ م . واستعرض فيه موضوع الترتيل بالنغمة . ومع ذلك فإن هذا الامر لم يأخذ بالمكانة التي يستحقها ، والتي تتناسب مع أهميتها في التلاوة وغيرها من النصوص ذات المحتوى الديني .

(١٨) لمعرفة طريقة الباحث الامريكي كولينسكي انظر مجلة اثنوموزيكولوجي العدد الرابع السنة ١٩٦٠ الصفحات ١٤ و ١٥ .  
**Mieczyslaw Kolinski : Notes on " Inner Tempo and Melodic Temp**

(١٩) ان مفهوم الثوابت والمتغيرات في الفنون يرتبط بحركة الابداع ( الابتكار ، الخلق ) الفني من جانب ، وبالميل الشديد نحو الحفاظ على الموروث الفني من جانب آخر . فكل ابداع فني جديد ماهو الا غصن نامي على شجرة الفن الاقدم ، وماهو الا اضافة نوعية وكمية متميزة للتراث والموروث السابق ، وهكذا تتابع المدارس والتيارات والاساليب الفنية عبر عصور

الحضارة الانسانية . وضمن مسيرة الانسان المتلاحقة كانت هناك ثوابت ومتغيرات في الفنون الموسيقية وغير الموسيقية والعلوم الانسانية والصرفة الاخرى . وان الثوابت والمتغيرات في الفنون كما في غيرها تتناسب نسبة النقص او الزيادة فيها تبعا لحركة تطور الشعوب والامم والاقوام والمجتمعات وترتبط بها ، وهي بالتالي انعكاسا لها ورمزا لهويتها وشخصيتها .

فكل متغير حضاري - ثقافي حصل كان نتيجة لمتغير اجتماعي وسياسي واقتصادي وفكري وحسي ونفسي ، وهذا المتغير يأتي بالتالي بمتغيرات في انماط السلوك الاجتماعي والممارسات الحياتية والاحساس الروحي والتذوق الفني ، ويأتي بمتغيرات لا حصر لها ايضا في حياة المجتمع واحتياجاته اليومية المرتبطة بالروح والجسد والعقل والضمير والوجدان ، وبالتالي تلك الرغبة الملحة بالعيش بشكل افضل .

فهل مفهوم الاصاله يرتبط بنسب تلك الثوابت والمتغيرات فيما يؤدي من فنون الغناء والعزف والرقص الديني والديني ؟ هناك تساؤلات عديدة اخرى بلا شك ، ولكن : كيف نحدد الثوابت الفنية ، وكيف نشخص المتغيرات في الفنون الموسيقية الدينية والدينية ابتكارا واداءً وتقلا ؟ هل يمكن تحقيق المستوى المطلوب من النجاح في عملية التشخيص والتحديد للثوابت والمتغيرات الفنية من دون الاستعانة بحركة البحث العلمي الموسيقي ، ومن دون تظافر جهود الباحثين المختلفة في مجالات الدراسات الانسانية والعلوم الصرفية ، وهي ليست قليلة على اي حال في اواخر هذا القرن ؟ ثم هل الثوابت والمتغيرات في الفنون الموسيقية مسألة ترتبط بجيل معين او عصر محدد ، وآنذاك يمكن تعميمها على الجيل التالي او العصر الاخر ؟ ام ان الثوابت هي التي تحدد الهوية والشخصية والاصالة ( الوطنية والقومية ) للشعب والامة ، والمتغيرات هي التي تحدد ( او تشير ) الى السمات الثقافية للاجيال المتعاقبة في شعوب اقطار الوطن العربي ؟ اي ، وبصياغة اخرى نقول : هل نعتزف ضمنا بوجود الثوابت والمتغيرات في كل ثقافة ، وهل نسبها ومستوياتها المختلفة هي مقياس الخصب او العمق الحضاري ، ومقياس الجمود والانكماش والتفوق الثقافي ، ام احد مقاييسها الاساسية ؟



## تحديد او معاني المصطلحات

**السرعة المطلقة او الثابتة Absolute tempo :** وتحدد كثافة المجرى اللحني مقارنة بعدد النغمات الى المقاطع ، او من خلال تحديد نسبة النغمات الى المقاطع اللفظية .

**النبر او الضغط Accent :** الضغط او الشدة الحاصلة عند اداء نغمة ما في المسار اللحني ، ومن خلاله نميز بين شدة نطق مقاطع الكلمة او الجملة . فهو الفرق بين شدة نطق او عزف مقطع لفظي او نغمة مقارنة بما يسبقها او يليها في البار الواحد او المسار اللحني .

**المجرى اللحني المليزماتيكي Melismatic melodic line :** وهو ذلك المجرى اللحني الذي يقابل كل مقطع فيه ( او اغلب مقاطعه الغنائية ) عددا من نغمات مساره اللحني . فيصبح عدد مقاطعه اللفظية اقل بنسبة معينة من عدد نغماته .

**الجانب العروضي الايقاعي Metri-rhythmical aspect** ويتعلق باعطاء كل حرف ما يستحقه من طول زمني اثناء تلفظه ( القاء او ترتيلا او انشادا او غناء ) والاهتمام باماكن تغير الطول تبعا لتبدل مواقع الاحرف في الكلمة او وفقا لما سبقه او تلاه من احرف . ويتم كذلك بالتقيد الدقيق وبالحالات التي يفقد الحرف فيمطوله الاعتيادي ، ومواقع الوقف مع اخذ الشهيق أو من دون ، وكيفية تقطيع كلمات الجمل ( الاشطر ، الايات ) والوصل بينها .

**مترونوم ملتسل Metronome Melzel :** هو جهاز قياس السرعة ( التempo ) الذي اخترعه العالم الالماني يوهان ملتسل ( ١٧٧٢-١٨٣٨ م ) . ويكتب اختصارا في التدوين الموسيقي بحرفي (م) ، هكذا **M - M** او (م) واحدة . ويتبع عادة هذا الاصطلاح رقم يدل على سرعة الزمن المعطى ، كقولنا زمن النوار يساوي ستينين ، اي النوار يساوي واحد على ستين من الدقيقة (اي النوار يساوي ثانية واحدة) ، ويكتب المصطلح انذاك في المكان المحدد من التدوين الموسيقي كما يأتي : **M.M = 60**

**الجانب الصوتي Phonetical aspect :** ويقصد به تلك الطريقة التي تتم فيها كيفية اخراج الحروف او مقاطع النص النثري او الشعري الديني او الدنيوي ، اي كيفية نطق الاحرف العربية والمحافظة على صفات الحرف الذاتية وحالات اظهاره واخفائه وتحريكه .

السرعة النسبية **Relative tempo** : وتعني التغير الحاصل في السرعة، وتقاس عادة بجهاز ميكانيكي معين ، او اي جهاز احدث منه كالجهاز الكهربائي او الالكتروني ، وينسب الى العالم ملتسل اختراع اول جهاز ميكانيكي لقياس سرعة جريان نطق الكلمات او النغمات او الضربات الايقاعية . وعرف جهاز ملتسل باسم مترونوم .

الجانب الايقاعي **Rhythmical aspect** ويقصد به تحديد الفرق بين اطوال الاحرف او المقاطع المكونة لكلمات النص الغنائي او الترتيلي الديني او الدنيوي .

مقطع لفظي **Syllable** : ويتكون عادة من حرف صامت واخر صائت قصير او طويل ، والمقاطع اللفظية على انواع ، وهي كالآتي :  
١ - مقطع قصير مفتوح مثل ( ل ) ، ويتألف من صامت ( ل ) + صائت قصير ( الفتحة ) .

٢ - مقطع طويل مفتوح مثل ( لا ) ، ويتألف من صامت ( لا ) + صائت طويل ( الالف ) .

٣ - مقطع طويل مغلوق مثل ( لن ) ، ويتألف من صامت ( ل ) + صائت قصير ( الفتحة ) + صامت ( ن ) .

٤ - مقطع مديد مغلوق مثل ( باب ) ، ويتألف من صامت ( ب ) + صائت طويل ( الالف ) ( + ) صامت ( ب ) .

٥ - مقطع مزدوج الفلق مثل ( بحر ) ، ويتألف من صامت ( ب ) + صائت قصير ( الفتحة ) ( + ) صامت ( ح ) + صامت ( ر ) . وهكذا ( فجر ) . ( وبئر )

المجرى اللحني المقطعي **Syllabic melodic line** : وهو ذلك المجرى او المسار او الاتجاه اللحني الذي يقابل كل مقطع فيه نفمة واحدة من لحنه ، أي عدد مقاطعه مساويا لعدد نغماته او يقترب لذلك .

السرعة **Tempo** : وتعني سرعة نطق ( ترتيل ، انشاد ، غناء ، عزف ) مقاطع الكلمات او نغمات اللحن او ضربات الايقاع ( او الوزن الايقاعي ) . وتعطينا بتنوعها السرعة النسبية . وتحدد سرعة الجريان اللحني او الانشاد الديني او الغناء الوجداني او الالتقاء المسرحي ... الخ بمصطلحات يمكن تقسيمها الى ثلاث مجاميع اساسية هي السريعة والمتوسطة والبطيئة ، وفي الموسيقى المنهجية العالمية شاعت المصطلحات الايطالية منذ عصر الباروك ، ثم شاعت مصطلحات اخرى في الموسيقى الرومانتيكية وما تلاها من تيارات ومذاهب فنية .

الموسلفوي : مصطلح وضعه الباحث منذ مطلع الثمانينات للدلالة على نسيج التراث الموسيقي – اللغوي العراقي لفنون ضفاف الانهار والخليج والاهوار والبادية والارياف ، لان الموسيقى تنبثق فيها من العناصر الموسيقية لالقاء النص النثري او الشعري وطرائق انشاده وترتيله وغنائه ، ومن ايقاعات اداء الحركة التعبيرية وايماءات فن الرقص المرافقة .

الفناسيقي : مصطلح وضعه الباحث منذ مطلع الثمانينات للدلالة على نسيج التراث الغنائي – الموسيقي العراقي ، الذي تنبثق عناصر الموسيقى فيه من جمل المسارات اللحنية الغنائية التقليدية . فالموسيقى ذات طابع غنائي وتحمل جميع سماته الايقاعية واللحنية وان اشتركت في ادائها الالات الموسيقية التقليدية فقط .

ثانية البيات : مصطلح وضعه الباحث منذ السبعينات لتمييزه عن بعد الثانية الصغيرة (Semitone) وبعد الثانية الكبيرة (Whole tone) ' ويعتبر بعد ثانية البيات احد مكونات المسار اللحني للموسيقى العراقية والعربية – الشرقية ايضا .

ثالثة الرست : مصطلح وضعه الباحث منذ السبعينات لتمييزه عن بعد الثالثة الصغيرة (Minor 3rd) وبعد الثالثة الكبيرة (Major 3rd) . ويعتبر بعد ثالثة الرست احد ملامح ابعاد الموسيقى العراقية والعربية – الشرقية الاساسية .

العرف الصوتي الاجتماعي : مصطلح وضعه الباحث منذ مطلع التسعينات ، وانجز فيه بحثا مطولا قدمه في المؤتمر العلمي لكلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد . وقصد به الاطار الخارجي لحدود التعامل والمناورة التلقائية او المبرمجة بالنغمات ولونها وشدها وطبقاتها ، وبالايقاعات اطوالها واوزانها سواء اكان هذا عند الكلام او ترتيل النص وانشاده او غنائه ، ام كان عند العزف على هذه الآلة الموسيقية او تلك .

ان موسيقى لغة التخاطب اليومي والموسيقى التراثية ذات الطابع الديني والى حد ما بعض انواع التراث الغنائي ذي الطابع الارتجالي الاستطراذي الدنيوي في العراق ترتبط بل تنبثق من حيث عناصرها الموسيقية الاساسية من ما هو متوارث ومتداول

بين الناس ومرتبط بمناخات حياتهم الاجتماعية والنفسية ،  
وبمخلف أصوات الكائنات الحية والظواهر الطبيعية ضمن واقع  
بيئي جغرافي وتاريخي محدد ، ويتطابق مع قيمهم الجمالية  
والذوقية .

ومن خلال ملامح ( العرف الصوتي الاجتماعي ) وسماته نحدد  
هوية اصوات المتحدثين وانغام المرتلين والمنشدين والحنان المغنين  
والعازفين وكذلك نميز اساليب العزف التلقائية والمنهجية ضمن  
الاقليم او المنطقة الواحدة .

والعرف الصوتي الاجتماعي مع العرف التشكيلي الاجتماعي  
والحركي الاجتماعي انعكاسا ماديا لما هو روحي في المجتمع  
العراقي والمتجسد بمختلف تقاليده وعاداته واعرافه ومعتقداته .



# دور التربية في نهضة اليابان

الدكتور عبدالله حسن الموسوي

كلية التربية ابن رشد

جامعة بغداد

## تمهيد

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية ( في ١٤ آب ١٩٤٥ ) مستسلمة، ورزحت لاحتلال الحلفاء وبالاخرى للاحتلال الامريكي ( ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ) بعد ان تحطمت مصانعها ودمرت مدنها وبنيتها الارتكازية واصبح الاقتصاد الياباني عاجزا تماما ، وكان التدمير النفسي اشد قسوة من التدمير المادي . لكن اليابان تمكنت ان تنهض من اشلاء هيروشيما ( ٦ آب ١٩٤٥ ) لتأخذ طريقها الى قمة المجد الاقتصادي في القرن العشرين<sup>(١)</sup> فكيف حققت اليابان كل ذلك وما الدروس المستنبطة من تجربتها الفريدة ؟

ولان التربية عطاء انساني يحقق للأفراد والمجتمع تطورا وارتقاء الى مستويات افضل فهي موضع اهتمام اطراف كثيرة . . . كما لا يخض هذا الاهتمام بالتربية مجتمعا دون غيره في الوقت الحاضر . . . ويزداد هذا الاهتمام وضوحا في مراحل التحول الاجتماعي والبناء الاقتصادي .

ولان اهم ما يميز هذا العصر عن العصور السابقة هو الثورة العلمية والتكنولوجية التي ادت وما زالت تؤدي الى تغيرات سريعة ومتناهية في نواحي العمل والتفكير مما يوقع على التربية العبء الاكبر في مواجهة عملية التغيير والتجديد ، وان عزلها عن مجال التجديد والتطور الحضاري الذي

(١) الدكتور ناجح خليل الراوي « نظرة الى تجربة اليابان في نقل التكنولوجيا » مجلة المجمع العلمي الجزء ٢ المجلد ٤٤ ، ١٩٩٧ : ص ٧ .



يمثل قفل التكنولوجيا في بعض جوانبها - يفقدها جوهر وظيفتها ، مما يستوجب ان تأخذ التربية بما يقدمه التطور التكنولوجي ، وهذا ما فعلته اليابان في العقود القليلة السابقة .

وتأسيسا على ذلك اجد ان الامر يستوجب البحث والتقصي عن الاسباب والدوافع التي حفزت اليابان الى أن ترتقي سلم التقدم . فاية تربية اتجهت ؟ أهى عملية التبكير في محو الامية الذي بدأت منذ عام ١٨٧١ المقررة بالالزام . . . ومنذ سنوات الالزام ؟ ام انها ادارت ظهورها الى محو الامية الابددي بعد ان استنفدت ما خططت له ولم تكثف به فتوجت الى الامية الوظيفية واوصلت شعبها الى المستوى الثقافي الذي تريد ؟ ام ان هناك اسبابا ودوافع اخرى ؟ . . . وللإجابة عن ذلك تستلزم العودة الى اليابان القديمة وصولا اليها وهي معاصرة ، ولنرى ماذا يقول **Edmond J. King** في كتابه « مدارسهم ومدارسنا » الذي يقارن من خلاله التربية في العالم - ومنها اليابان - مقارنة ببريطانيا « يعزى نجاح اليابان في مختلف الميادين التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية بالدرجة الاساس الى اهتمام اليابان المبكر بالتربية والتعليم والى نظام التعليم ومستوياته الممتازة » (٢) وقد اشار الدكتور الراوي الى ذات المفهوم اعلاه مضيفا « فقد تميز اليابانيون باختيارهم سن ١٠-١٤ سنة منذ عام ١٩٧٠ في الامتحانات العالمية في العلوم ، وكانت نسبة الملتحقين في التعليم ممن هم في السن القانونية عام ١٩٠٨ ما يقارب ٩٨٪ واهتم اليابانيون باعداد الفنين والاطر الوسطى حيث تتاح للصفوة المتفوقة فقط ممن يجتازون امتحان القبول الجامعي الصعب نسبيا بالالتحاق بالجامعة ( ويطلق اليابانيون على هذا الامتحان لقب - جسيم الامتحانات - ) ويعد امتحان القبول واسطة للمحافظة على مستوى

---

(2) **Edmond J. King "Other Schools and Ours" Comparative Studies for Today, fifth edition, Holt Rinehart and Winston limited Sussex 1979, p. 444.**

جيد في التعليم العالي ، ونظرا لجدية الطلبة اليابانيين فان ٤٠٪ منهم يكملون الدراسة الجامعية بـ ٢٠٪ فقط في امريكا<sup>(٣)</sup> .

ولان العلم واحد حيثما كان والتكنولوجيا هي من تطبيقات نتائج العلوم وقوانينها ، والانسان هو المفكر الفاعل اولا واخيرا في التعلم واكتساب العلم والمهارات والفنون وهو القادر على ان يبدأ من حيث وصلت اليه الحضارات ، فعليه ان ينقل ويضيف ويبدع فيكتشف ويخترع ، وعلى العرب ان لا يروا العالم على انه الغرب الحضاري فقط ، فهناك حضارات اخرى وطموحات حضارية في جنوب الكرة الارضية ، وان لا ننسى ان العلاقات ، العربية الغربية فيها الكثير من المتراكم الاسود متراكم العدوان<sup>(٤)</sup> فلنتجه قليلا نحو اليابان ونسبر غور اسباب تقدمها الحضاري لنكتشف دور التربية في هذا التقدم .

### الخلفية الحضارية والقومية :

لقد ترسخت روح التلمذة الجادة في الامة اليابانية بشكل عام عبر المراحل التاريخية واستعدادها لان تقف موقف التلميذ المجد من الحضارات والنماذج المتقدمة ، كما استدعى الامر ذلك الموقف من دون عقدة قفص او استعلاء من جهة ومن دون التفريط في ثوابت ومقومات الشخصية اليابانية من جهة اخرى . فقد وقعت اليابان حضاريا موقف التلميذ من الحضارة الصينية قديما وتبنت التلمذ لـ **Apprenticeship** بعد قرون طويلة من حضارة اوربا وامريكا حديثا .

ان نظام التربية والتعليم الياباني لم يولد من فراغ وانما يستمد دفعا قويا في روحه ودقته وصرامته وتصميمه على الكسب والتحصيل من هذه الروح للامة اليابانية التي تمتلك فضلا عن حسن التلمذة الدائمة قدرا

(٣) الدكتور ناجح الراوي مصدر سابق ص ١٣ .

(٤) الدكتور ماهر اسماعيل الجعفري « نحو فهم عربي لعلم المستقبل »  
القادسية العدد ٥٢٦١ ، حزيران ١٩٩٧ .

كثيرا من الفضول المعرفي الذي يدفعها الى استطلاع ما لدى الآخرين من معارف وتجارب حتى فيما يتعدى النفع المباشر وعلى سبيل المثال ، فانهم قبل اختراع آلات التصوير كان الزائرون اليابانيون الى اوربا يحرسون على ان يرسموا ما يشاهدونه هناك بايديهم ، وقد خلفوا رسوما يدوية كثيرة من هذا النوع ينذر وجودها عند غيرهم من الشعوب التي زارت اوربا في تلك الفترة ، كما تميزوا عن غيرهم من الشرقيين بالتخلص من الاستعلاء الثقافي تجاه الحضارات الاخرى فجاء انفتاحهم عليها صحيحا ومثمرا •

ومن العوامل المؤثرة في بلورة طبيعة النظام التربوي الياباني ظاهرة التجانس والتمائل والتوحد في التكوين القومي الذي لا يعاني من تعدديات وتناقضات فتوية في تركيبه العرقي وبالتالي لم يتعرضوا لتعدد الولاءات الناجمة عن ذلك وتناقضها •

وفي القرن السادس عشر عندما شعروا بخطورة التبشير على القومية اليابانية ، أعيد اليابانيون (الذين اعتنقوا المسيحية واطهروا الولاء للاوربيين) الى اليابان وباقصى درجات الحسم ومنعوا من السفر كي لا يحتكوا ويتأثروا بالمبشرين<sup>(5)</sup> •

ان الموقع الجغرافي المنعزل لليابان في اقصى آسيا حكم عليها هذا التجانس ، الذي ادى الى نشوء نظام تربوي تعليمي موحد خاضع لادارة واحدة وتوجيه واحد منذ ما قبل عصر النهضة الحديثة وحتى الان ، حيث لم تشهد اليابان انشطارا او انقساما في نظامها التربوي بين نظام تقايدي ومدني حديث نجم عنه جيل ياباني جديد موحد في تكوينه وتعاليمه وثقافته وافكاره ولغته واتمائه ، وان رجال العصر الميجي اندمجت في شخصياتهم شخصية الابدد والمحافظ شخصية العصري والسلفي في تكوين واحد بحيث كان فرد النخبة الحضارية اليابانية عصريا مجددا في مجال التحديث والتقنية ، ومحافظا سلفيا

(5) Edmond, J. King, op. cit. Pp. 444—445.

في ميدان الاصاله والقيم اليابانية في وقت واحد • وكانت وحدة النظام التعليمي في المدرسة الابتدائية وحتى الجامعة منطلق نشوء هذا الجيل النهضوي الموحد<sup>(٦)</sup> •

### البداية التاريخية للتربية اليابانية :

كانت التربية اليابانية معتمدة على المبادئ الكونفوشيوسية Confucian Principles واستمرت الى عهد طوكاجوا Tokugwa الذي امتد من سنة ١٦٠٣ الى سنة ١٨٦٨ وكانت اهم مبادئ التربية الكونفوشيوسية حب الخير والعدل وحسن المعاملة مع الآخرين ، اما نظام طوكاجوا فقد كان طبقيا والتعليم كان موجها على اساس اعداد طبقة المحاربين Samorai في سبيل اعدادهم للعلم والقتال ، وكان هذا النظام يؤكد البناء الاخلاقي للافراد والاعداد المهني لهم •

كان الاهتمام الاكبر لطوكاجوا في التربية لابناء المحاربين لكنهم لم يهملوا عامة الشعب ، بل كان لتعليم العامة تشجيعا ودعما ماليا بهدف بناء شخصية الافراد في ضوء المبادئ الكونفوشيوسية التي ستزيد من تألق المجتمع ، فكانوا يتلقون تعليمهم في اماكن خاصة وهي ( اليتراكويا ) و ( الجوجاكو ) وكانت منتشرة على نطاق واسع ، حيث كانت هناك نسبة عالية من افراد الشعب الياباني يعرفون القراءة والكتابة في نهاية عهد طوكاجوا وبداية عهد مييجي •

### عهد الاقطاع :

لقد اسست بعض المدارس من قبل الاقطاعيين منذ زمن قديم يعود الى سنة ١٦٢٠ وبحلول عام ١٧٥٥ كان جميع الصبيان الذكور التي كانت مرتبتهم

(٦) محمد جابر الانصاري : جذور التربية اليابانية وخصائصها المتميزة مع مقارنتها ببعض البدايات العربية في التربية ، رسالة الخليج العربي ١٩٨٩ .

اعلى من مرتبة جندي مشاة يتلقون تعليمًا رسميًا في واحدة من المدارس  
الاقطاعية التي بلغ عددها ٢٠٠ مدرسة ، فضلا عن مدارس المعابد ، او في  
احدى المؤسسات التعليمية<sup>(٧)</sup> .

### عهد مييجي :

بدأت النهضة الثقافية والعلمية والاقتصادية في هذا العهد ١٨٦٨ -  
١٩١٢ بسبب افتتاح اليابانيين على الثقافة الغربية ونقل خبرات متطورة في  
مجال التعليم من اوربا الغربية ولا سيما من فرنسا وامريكا واستفادوا من  
رواد التربية المقارنة Comparative Education امثال مارك انطوان جوليان  
وهو راس مان وكالفن ستو وغيرهم .

اسس مييجي عام ١٨٧١ وزارة للتربية وصدر في عام ١٨٧٢ القانون  
الاساسي للتعليم في اليابان ، وكان هذا العام من عهد مييجي عاما تاريخيا  
وبداية حقيقية لتطور التربية والتعليم في اليابان الحديثة ، ويشير  
Edmond King الى ان حب اليابانيين الحالي للتعلم يعود الى ما قبل ٣٠٠  
سنة في الاقل ، ولم تكن قوتها الاولى فقط في مدارس الساموراي او غيرها  
بل في مدارس - تيراكوي - او مدارس القرى المنتشرة في جميع ارجاء  
الريف ، ان جميع هذه العناصر تشكل دعامة افجازات اليابان الشاهقة في  
التربية والعلوم خلال السنوات الاخيرة .

وكما اشرنا في الصفحة الاولى الى ان عام ١٨٧١ كان عام إلزامية  
التعليم للناس جميعا مما نتج عن ذلك انشاء ٥٣٧٦٠ مدرسة  
ابتدائية في ارجاء البلاد لتقديم تعليم اولي حديث والزامي لجميع الاطفال  
من عمر السادسة وحتى الرابعة عشرة وانشاء ٢٥٦ مدرسة متوسطة و ٨  
جامعات من اجل اتاحة فرصة التعليم امام الشعب الياباني كله<sup>(٨)</sup> .

(7) Edmond. J. King, op. cit. P. 445.

(٨) ادوين رابشاور ، اليابانيون ، ترجمة ليلى الجبالي ، مجلة عالم المعرفة  
١٩٨٩ الكويت ص ٢٤٠ .

## نظام التعليم المركزي :

لقد اعترف اليابانيون كما يشير كتاب ( مدارسهم ومدارسنا ) **Other Schools and Ours** ان سر تقدمهم العلمي والاقتصادي لا يمكن ان يصل الى ما هو عليه الان من رقي من دون تربية وتعليم لذا فقد تم وضع اساس البنيان التربوي باكملة منذ عام ١٨٨٦ وتنفيذ اسسه ، وهكذا فقد تم التخطيط للمدارس الابتدائية التي تقود الى المدارس الثانوية ومعاهد ما بعد الثانوية بافواعها المختلفة وكليات اعداد وتدريب المعلمين والجامعات وتنسيقها بحيث يكون الشخص المناسب في المكان والزمان المناسبين بالضبط ورافق نظام التعليم المركزي صدور تشريعات تتعلق بمدارس تتفق مع المرحلة التي كان التعليم الياباني يستعد للانتقال اليها ، ففي هذه المدة كانت هناك محاولات لادماج الخبرة اليابانية مع معطيات الحضارة الغربية في امريكا . وفي بداية حكم **Miji** في ثمانينات القرن الماضي اعتمد على الخصائص القومية ، وادخل مقرر التربية الاخلاقية بأسم **Shushin**

## القوانين التربوية :

لقد صدرت مجموعة من القوانين بين سنة ١٨٩٧ الى ١٩٠٦ وفي عام ١٩٠٣ صدر قانون تنظيم المدارس المهنية ، وقانون المدارس العليا للبنات وقد اكملت تلك القوانين الهيكل العام لنظام التعليم في اليابان . وفي العام نفسه تجاوزت نسبة الالتحاق بالمدارس الابتدائية ٩٠٪/ اما في عام ١٩٠٧ فقد قررت الحكومة التشديد على تطبيق نظام التعليم الالزامي لمدة ست سنوات تطبيقا لمبدأ توفير التعليم لكل عضو في المجتمع الياباني ثم مدد الالزام الى تسع سنوات (٩) .

(٩) جمال اسد مزعل ، دراسات في التربية المقارنة - دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٩٨٧ .

## مكانة التربية لدى الشعب الياباني :

كانت اليابان حتى عام ١٨٦٨ مجتمعا اقطاعيا زراعيا ولكنها في عام ١٩٠٥ فاجأت العالم باقتصارها على روسيا القيصرية • وهي اليوم تظهر عملاقا اقتصاديا على الرغم من انها خرجت من الحرب وهي امبراطورية محطمة •

ويبدو ان مجتمع اليابان المعاصر مجتمع تؤدي التربية فيه رسالة مقدسة في توجيهه وان الفرد الياباني الذي ينبغي النجاح عليه ان يسلك طريق التربية، وان هذه القناعات لم تأت من فراغ ، ولعل تعاليم كوتوشيووس لها تأثير كبير على اليابانيين في هذا المجال ، ولا يفوتنا هنا ان نذكر ان الطبقة الحاكمة ذاتها متأثرة بهذا الجانب المعنوي الذي لا يمكن اغفاله (١٠) •

ان اهتمام اليابانيين بالتربية وعندها مصدر تقدمهم الحضاري بكل ابعاده هو الذي دفعهم لان ينفقوا اكثر من ١٢٪ من دخلهم القومي على التربية ، بينما لا يتعدى الاتفاق على النواحي العسكرية سوى ٧٪ فقط ، وفي هذا ما فيه من الدلالة الواضحة على الاولوية التي تعطى للتربية •

وفي مقابل ذلك نجد ان الولايات المتحدة تنفق على النواحي العسكرية سبعة اضعاف ما تنفقه على التعليم الابتدائي والثانوي مجتمعين ، في الوقت الذي نجد فيه ان الامية الوظيفية تمثل مشكلة رئيسة فيها بينما هي منعدمة تماما في اليابان ، حيث لا يوجد انسان واحد يخيب في القراءة والكتاب ، وهذا يعكس الدور الذي توليه اليابان للتربية والذي نجم عنه هذا الانجاز الهائل •

وقبل عشرين عاما اشارت بيانات وزارة التربية اليابانية ان ٩٢٪ من

---

(١٠) اليابانيون - مصدر سابق ص ٢٤٤-٢٤٥ •

التلامذة اكملوا السنوات التسع من التعليم الالزامي وواصلوا تعليمهم في المدارس العليا Technical Colleges وهذا يعني الدقة في تنفيذ الالزام والقناعة في مواصلة الدراسة •

ومقابل ٩٧٪ من الطلبة اليابانيين الذين انهوا المرحلة الثانوية نجد ٧٩٪ من الامر بكان فقط قد انهوها • ونتيجة لهذا الاقبال الذاتي على التعلم نتيجة للتوعية التي تتولاها وسائل الاعلام اليابانية كافة نجد ان اكثر من الف معهد تعليمي يلتحق بها مليوناً طالب وهذا يعني ان اكثر من ٤٠٪ من الشباب الياباني ملتحقون بنوع او آخر من التعليم العالي •

ومن الامور التي يتصف بها الشعب الياباني حبه وشغفه بالقراءة وفي كل وقت ومكان ، وان نسبة عالية تقرأ الصحف اليومية فهي تصل الى ٥٥٠ فرداً من بين كل الف فرد وهي نسبة عالية تضع الشعب الياباني بالمرتبة الثانية بعد السويد •

وفي احصائية قديمة تعود الى عام ١٩٧٦ ( والتي يمكن ان نستدل من خلالها على ما حدث من تقدم في نهاية التسعينات ) تشير الى ان عدد الكتب المنشورة ٣٦٠٠٠ كتاب وهو رقم يأتي بالمستوى الثالث بعد امريكا وروسيا •

ومن اللافت للنظر ان صغار اليابانيين يحرزون درجات ونتائج اكثر تفوقاً وامتيازاً كما هو واضح من ادائهم في التقويم الدولي لاختبارات الانجاز التربوي وقد صنف اليابانيون بين افضل طلبة العالم اجمع في الحقول الخاصة بالرياضيات والعلوم وان لديهم معلومات افضل من نظرائهم في الولايات المتحدة الامريكية (١١) •



واخيرا لكي نضع الامر في نصابه لابد من الاشارة الى ان استاذ التاريخ في جامعة هارفارد Edwin Resichauer علق قائلاً « انه ليس هناك شيء اكثر اهمية وادعى الى الاعتراف من انه خلف فجاح المجتمع الياباني نظامه التربوي » (١٢) .

قبل الدخول في تفاصيل هيكل النظام التربوي في اليابان اجد من المناسب استعراض واقع التربية وكالاتي :

### اولا - التربية في اليابان قبل الحرب العالمية الاولى :

كما اشرنا من قبل فقد اهتم النظام الكونفوشي بالتعلم وجعل له افضلية ومنحه اولوية عالية أكدته المبادئ الخمسة الالية : التعلم - حب الخير - العدل - حسن المعاملة او اللطف وتكامل الشخصية . واتسمت التربية بالاتي :

١ - اصدر مؤسس النظام ( طوكوجاوا ) مرسوما عاما (١٦١٥) يعلن فيه ويوضح ان تعلم فنون السلام يعد مساويا تماما لتعلم فنون القتال او الحرب ، وان كليهما يجب ان يتعلمها وان يتقنها الياباني وبناء على ذلك نجد ان حكومة اليابان قد دعمت المدارس والمعاهد لتعليم ابناء المحاربين ، وبلغ هذا النظام قمته عندما انشئت الكلية الكونفوشيوسية عام ١٩٣٠ ويتسم النظام التربوي فيها على انه مزيج من التربية الاخلاقية والتربية المهنية وتنمية الجوانب الاخلاقية في الشخصية ، فضلا عن اكسابه المهارات التي يحتاجها للتمكن من خدمة الحكومة ، وبحلول عام ١٨٦٠ وجد ان هذا المنهج كان سائدا في اكثر من ٣٠٠ مدرسة منتشرة في مجموعة الجزر اليابانية (١٣) .

(١٢) بوشامب ، ادوارد ، ر. التربية في اليابان المعاصرة ، ترجمة محمد عبدالحليم مرسي ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٥ ص ١٧-١٨ .

(١٣) بوشامب ادوارد د. التربية في اليابان مصدر سابق ص ٢٣-٢٤ .

٢ - بدأت النهضة الثقافية والعلمية والاقتصادية مع عهد مييجي حيث افتتح اليابان على الثقافة الغربية كما اشير سابقا ، ويمثل عهد مييجي ١٨٦٨-١٩١٢ عصرا من ازدهار العصور في تاريخ اليابان حيث حقق لليابان في بضع عشرات من السنين ما اقتضى تحقيقه مئات السنين في الغرب ، الا وهو اقامة امة عصرية ذات صناعات حديثة ومؤسسات سياسية حديثة واسلوب مجتمع عصري •

لقد ادى مييجي اليمين الدستوري الامبراطوري عام ١٨٦٨ وكان معلما رئيسا من معالم التربية في اليابان ، ففي هذا الحين قال مييجي الشاب « ان المعرفة سوف يحث عنها ويقضى اثرها في كل انحاء العالم » واتخذ لتنفيذ هذا المبدأ ما يأتي :

أ - ارسال مئات الطلبة اليابانيين الى كل من بريطانيا ، فرنسا ، المانيا وامريكا ، وذلك بهدف تعلم اسرار التكنولوجيا الغربية •  
ب - دعوة آلاف من الخبراء الاجانب الى اليابان بمرتبات مغرية وكانت مهمة هؤلاء الخبراء الاساسية هي مساعدة اليابانيين في انشاء اعداد كبيرة ومتنوعة من المعاهد والمؤسسات ، ابتداء من انشاء المصانع الى بناء شبكات السكك الحديدية وتقديم طرق الزراعة الحديثة واساليبها (١٤) •

ج - اسس مييجي وزارة التربية عام ١٨٧١ وبعد عام واحد اصدر القانون الاساس للتعليم في اليابان وكان مركزيا ، ويعد هذا العام تاريخيا وتنطأ اهميته من كونه اعلانا من حكومة مييجي بتأييد مبدأ التعليم واعتباره عاما لجميع الناس لكي لا يكون هناك امي في القرى ولا عضو في الاسرة اميا ، وينبغي ان يدرك الاباء ان رعاية الاطفال ذات اهمية عندما يتلقون التعليم (١٥) •

(١٤) يوشامب ادوارد . ر التربية في اليابان مصدر سابق ص ٢٥-٢٦ .  
(١٥) جمال اسد مزعل - دراسات في التربية المقارنة ص ٢١٦ .

٣ - لقد انشئ عام ١٨٨٦ « نظام التعليم المركزي » وصدرت تشريعات تتعلق بمدارس تتفق مع المرحلة التي كان التعليم الياباني يستعد للانتقال اليها . وقد بذلت في هذه الفترة جهود نشطة لادماج التراث التعليمي الياباني مع معطيات الحضارة الغربية ولا سيما الخبرات التربوية في امريكا التي استندت اليها التغيرات التربوية في بداية حكم مييجي ، ثم توجهت اليابان بعد ذلك نحو الاعتماد على الخصائص القومية في تجديد مضامين التربية ويشير وزير التعليم الى ان معرفة الشعب المهنية ومهاراته تشكل رأس مال غير محسوس لاثراء الامة وتقويتها وان تعهد مثل تلك المعرفة والمهارات يشكل قلعة لصيانة استقلال البلاد كما هو الحال في تدريب جنود الجيش والبحرية » (١٦) .

#### ثانيا - التربية في اليابان بعد الحرب العالمية الاولى :

ازداد الطلب على الايدي العاملة تحت تأثير النمو الصناعي واصبحت الصناعة تتحكم في طبيعة التعليم ، واخذ هذا الاقبال يتجه نحو المؤسسات التعليمية في المدارس الثانوية والمعاهد العليا ، وولدت هذه الزيادة تحركا لاصلاح التعليم الثانوي ، وفي عام ١٩١٧ عقد مؤتمر للتعليم كان يهدف الى اعادة تنظيم نظام التعليم وتنقيحه الذي تأسس في عهد ( مييجي ) كي يكون اكثر توافقا مع احتياجات العصر .

وفي عام ( ١٩١٧ - ١٩١٩ ) قدم المؤتمر الذي اصبح هيئة ملحقة بمجلس الوزراء ثلاث توصيات بشأن التعليم الابتدائي وتوصيتين بشأن التعليم دون الجامعي ، وتوصية واحدة عن كل من التعليم الجامعي والتعليم المهني والتعليم بمدارس المعلمين ونظام التفتيش وتعليم النساء والتعليم الحرفي والتعليم بالمراسلة ونظام الدرجات .

---

(١٦) ماکوتو اسو ، ايكوو مانو - التعليم ودخول اليابان العصر الحديث القاهرة ١٩٧٦ ص ٧ .

وفىما يتعلق بالتعليم الثانوى اجد من المناسب الاشارة بتركيز يتوافق مع اهتمام المسؤولين عن التعليم العام فى العراق والبدائل المطروحة فى وزارة التربية العراقية فى مجال تنوع التعليم الثانوى فى العراق . لقد أشار المؤتمر الى « ضرورة توسيع مجال الاختيار فى موضوعات الدراسة فى هذه المرحلة كي يستطيع الطالب اختيار ما يتوافق مع خطته فى المستقبل على وفق الظروف الواقعية فى المنطقة التى تقع فيها المدرسة ، وكذلك فتح الطريق لانشاء دراسات مختلفة لدراسة الفنون والاداب والتاريخ ودراسة التدريب المهني لكي يصبح التعليم ملائما وذا اثر فعال فى الحياة الواقعية بعد التخرج » كان ذلك قبل ٨٠ عاما من الان !! اليست هذه المرونة فى تخطيط المناهج وتنوع التعليم احد الاسباب فى رفعة اليابان ١٩٠٠؟

وعلى اثر هذه التوصيات اصدرت وزارة التعليم فى نهاية سنة ١٩٢٤ تعليمات جعلت المستوى الدراسى لخريجي المدارس الحرفية مساويا لمستوى خريجي المدارس المتوسطة ، وفىما يتعاق بالتعليم دون مستوى الجامعة فقد اكدت التوصية تطبيق نظام المدرسة العليا ذات السنوات السبع وهذا النظام يتكون من دراسة ثلاث سنوات بعد الابتدائية ودراسة اعلى لمدة اربع سنوات بقصد تحسين برامج التعليم (١٧) .

### ثالثا - التربية اليابانية قبل الحرب العالمية الثانية :

كانت المدرسة المتوسطة فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية القناة الوحيدة التى تقود الى تعليم اعلى ، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات والقبول فيها يستند الى امتحانات خاصة تجريها المدارس للمتقدمين للقبول فيها ، وبعد انتهاء المرحلة المتوسطة على الطالب اجتياز امتحان قبول يُعد من قبل المدارس التحضيرية للجامعة او تسمى بالمدارس العليا ، وفى هذا الامتحان يتم اختيار الصفوة .

(١٧) ماكوتو اسو، ايكرواماتو ، المصدر السابق ص ٥٣-٥٨ .

اما الطلبة الذين انهوا المرحلة المتوسطة ولم يستطيعوا الحصول على المدارس التحضيرية فانهم سوف يواجهون الاختيارات الالية : عدم الاستمرار بالتعليم ، التوجه الى سوق العمل ، الدخول في المدارس التقنية ، وتعد هذه مؤسسات جامعية صفرى ومدة الدراسة في المدارس العليا ثلاث سنوات ، وكانت هذه المدارس هي القناة الوحيدة التي تقود الى الجامعة (١٨) . ان السمة الرئيسة للنظام التعليمي في اليابان قبل الحرب العالمية الثانية هي وجود مستويات هرمية للمدارس والجامعات اليابانية . وكانت الجامعات الامبراطورية تحتل المكانة الاولى من بين ٤٥ جامعة كانت موجودة آنذ وكانت جامعة طوكيو تحتل المكانة الاولى بين جامعات الامبراطورية ، اما الجامعات الحكومية فكانت تحتل المرتبة الثانية وتحتل الجامعات الاهلية المرتبة الثالثة (١٩) .

#### رابعا - التربية اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية :

اعلنت اليابان استسلامها في آب عام ١٩٤٥ ، وقبلت باتفاقية بوتسدام وقضت بنودها جميعا ومنها ما يهمننا في مجال بحثنا « ابعاد جميع العناصر التي كانت في السلطة في اثناء الحرب » وقام الجنرال ماك آرثر الامريكي بحملة اجراءات استهدفت تحديد اليابان من النزعة العسكرية وقام الامريكيون بهذا الاجراء اعتقادا منهم بان النظام التربوي في اليابان كان اداة رئيسة في تغذية التعصب القومي قبل الحرب ، وكانت الخطوة الاولى التي قاموا بها هي تسريح المعلمين الذين كانوا من دعاة التعصب والمتعاونين مع السلطات خلال الحرب ، والغوا برامج التعليم التي تغذي التعصب القومي وكذلك برامج الاعداد العسكري (٢٠) .

(١٨) جمال اسد مزعل ، مصدر سابق ص ٢١٨-٢١٩ .

(١٩) جمال اسد مزعل ، مصدر سابق ص ٢٢١-٢٢٢ .

(٢٠) اليابانيون ، مصدر سابق ص ٢٤٢-٢٤٣ .

لقد دعمت سلطات الاحتلال الأمريكي هذه الاجراءات بمجموعة قوانين في مقدمتها « لائحة ادارة نظام التعليم في اليابان التي أعلنت في ١٩٤٥/١١/٢٢ وقد جاء في هذه اللائحة ما يأتي » :

١ - ينظر في جميع محتويات نظام التعليم نظرة انتقادية وسيتم تغيير المحتويات والتحكم بها في ضوء السياسة الاتية :

- أ - التخلص من ايديولوجية التعصب القومي والبناء العسكري .
  - ب - غرس الافكار التي تدعو الى السلام ، واحترام كرامة الافراد واحترام حقوق الانسان وحرية الكلام والتجمع والحرية الدينية .
- ٢ - يتم تعيين الافراد في مؤسسات التربية والتعليم في ضوء ما يأتي :
- أ - ابعاد الافراد النشطين وذوي النزعات القومية والعسكرية .
  - ب - الغاء اي تمييز بين الطلبة والمعلمين وموظفي الدولة استنادا الى عوامل الجنس والقومية والاعتقاد السياسي .
- ٣ - اعادة النظر في مجمل العملية التربوية في ضوء السياسة الاتية :
- أ - اعادة النظر بالمناهج والكتب والاساليب التعليمية في ضوء المتطلبات العصرية بعيدا عن التعصب القومي والنزعة العسكرية .
  - ب - هدف المناهج تربية الافراد على الاحساس بالمسؤولية والمواطنة في ضوء المعطيات الجديدة .
  - ج - اعادة النظر باسرع وقت في نظام التعليم مع اعطاء اهتمام للتعليم الابتدائي واعداد المعلمين حيث هي بداية التغيير .

وفي عام ١٩٤٦ تم استقدام بعثة تربوية امريكية سميت بالبعثة التعليمية الامريكية الاولى لتحديد اجراءات تغيير النظام التربوي الياباني ، وقد ضمت البعثة ٢٧ خيرا ، ومما جاء في تقريرها :

- ١ - تغيير الادارة المركزية الى ادارة لا مركزية .
  - ٢ - تغيير اهداف التعليم الى اهداف ليبرالية وفردية .
  - ٣ - مراجعة مكثفة للبرامج التعليمية لتحقيق هذا التغيير .
  - ٤ - توسيع سلطات الادارات المحلية في الاشراف على التعليم .
  - ٥ - اعتماد نظام دراسي يتكون من ٦ سنوات للابتدائية و٦ ثانوية و٤ جامعية .
  - ٦ - اصلاح نظام اعداد معلمي التعليم العام وتدريبهم .
  - ٧ - توفير فرص متزايدة للقبول في الكليات والمعاهد ، والغاء نظام الصفوة .
- وقد تم اعتماد هذه التغييرات في تشريعين جاء فيهما :

- ١ - تحديد اهداف التربية بانها تهدف الى التنمية المتكاملة للفرد من جميع الجوانب والعمل على رفعة الافراد وتقديمهم ، وحب الحقيقة ، والعدل وتقدير الآخرين ، واحترام العمل ، وتحمل المسؤولية ، وغرس روح الاعتماد على النفس ، وروح الاستقلال لدى الافراد .
- ٢ - السماح للافراد باثشاء مدارس خاصة خاضعة لقوانين التعليم سواء في البرامج والتنظيم او الملاك امعانا في اللامركزية .
- ٣ - تأكيد اهمية الاهداف الدينية ومكانة الدين في الحياة الاجتماعية<sup>(٢١)</sup> .

---

(21) Edmond. J. King "Other Schools and Ours" op. cit. PP. 450-451.

## هيكل التعليم :

كان التعليم في اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية يتميز بأنه ذو مسارات متعددة (Multy Track System) وكان من ملامح هذا النظام أنه يقوم بأعداد الشباب ليعخدموا في قطاعات العمل المنتج ، بينما يعمل على أعداد عدد محدود لتحمل المراكز القيادية . وكان السلم التعليمي قبل الاحتلال الأمريكي على الشكل الآتي :

- ١ - التعليم الابتدائي ٦ سنوات ، وهو تعليم مجاني والزامي .
- ٢ - التعليم المتوسط ٥ سنوات .
- ٣ - التعليم فوق المتوسط ٣ سنوات .
- ٤ - التعليم الجامعي لمدة ٣-٤ سنوات (٢٢) .

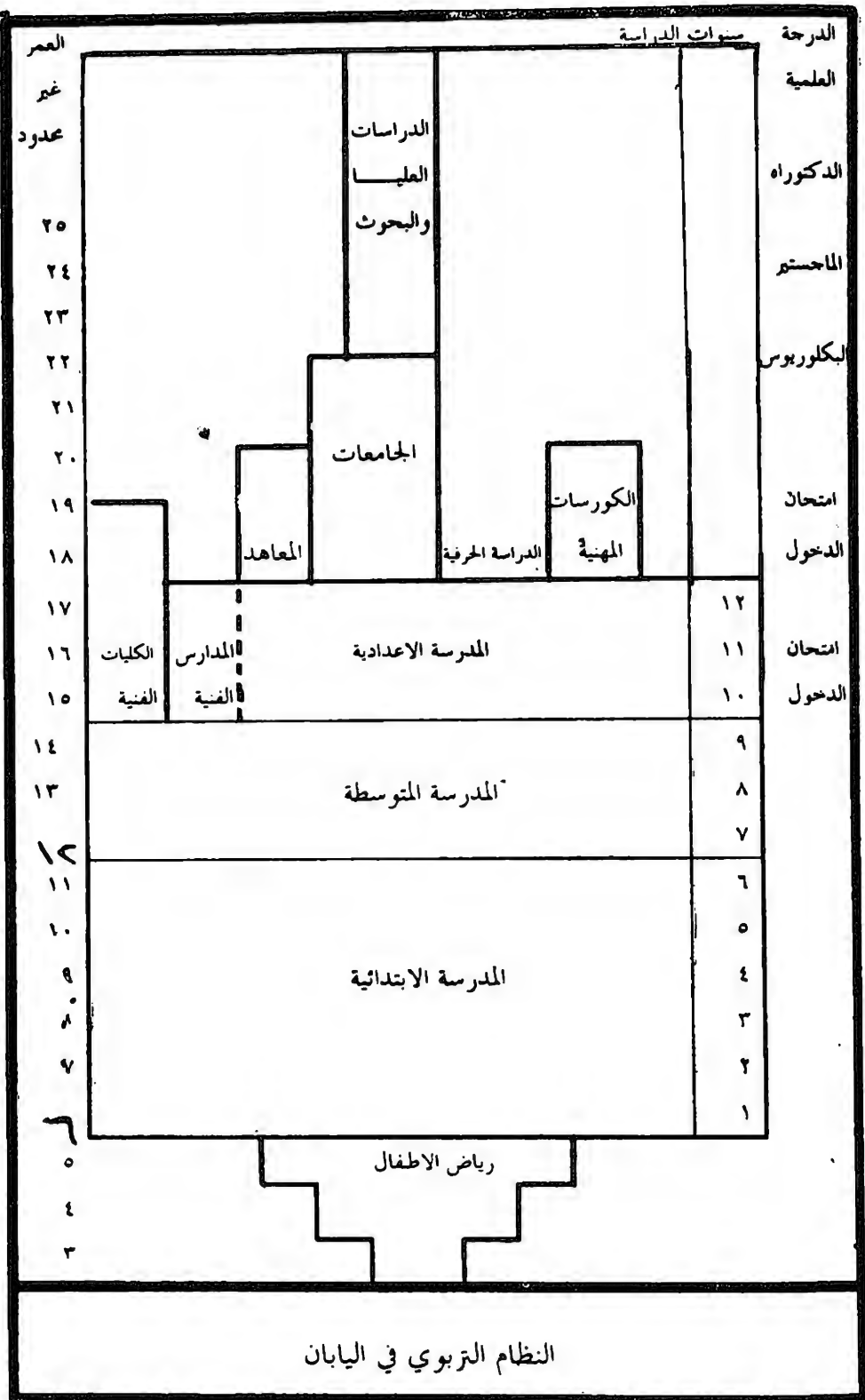
أما التعليم اليوم في اليابان كما يوضحه المخطط في الصفحة التالية فإنه عبارة عن ميراث يرجع في أصله إلى ( الإصلاحات التربوية ) التي أخذت مكانها في فترة الاحتلال الأمريكي وإلى المدة التي أعقبت عام ١٩٥٢ بعد توقيع معاهدة السلام وقد عُدل بعد الحرب العالمية الثانية ليوافق المفاهيم والسلم الأمريكي وعلى الشكل الآتي :

- التعليم الابتدائي ٦ سنوات ، وهو تعليم مجاني والزامي .
- التعليم ما قبل الثانوي ٣ سنوات ، وهو تعليم مجاني والزامي .
- التعليم الثانوي ٣ سنوات .
- التعليم الجامعي معاهد ٢-٣ سنوات ، كليات ٤ سنوات (٢٣) .

---

(٢٢) الدكتور ناجح الراوي ، مصدر سابق ص ١٤ .





وفي السنوات الاخيرة ابتداء اليابانيون بالحديث عن ثورتهم العلمية الثلاث ، الاولى في عهد مييجي ، والثانية ما بعد الاحتلال الامريكي ، وثالثا المدة الحساسة لاواخر السبعينات ، وهم يرون انهم في هذه المرحلة يجب ان لا يستنسخوا تربويا بل يجب ان ينتجوا شيئا يربى وينمو داخليا وتبنوا فكرة التلمذ Apprenticeship لجميع مناحي الحياة ولجميع اليابانيين ورفض فكرة المستهلك Consumer ، حيث يتعايش الياباني مع الجو الذي يضمه في اي محفل من حقول الحياة بعد ان ارسلوا الكثير من ابنائهم الى انحاء الدنيا وحتى مصر ووطننا العربي ليتعلموا ويتقنوا العمل الذي جاءوا من اجله ليعودوا الى اليابان لينتجون ما يشبه (او احسن) بينما يبقى الاستهلاك سمة من سمات بقية الشعوب ومنها شعبنا العربي \*

وما دمنا ضمن الحديث عن الهيكل التعليمي في اليابان فلا بد من الإشارة الى ان اليوم الدراسي الياباني طويل ولمدة خمسة ايام ونصف اسبوعيا ، واجازة الصيف تزيد قليلا عن شهر ، ويتسم النظام التدريسي بالحزم الشديد ، ولهذا فان قدرة اليابانيين على الاستيعاب في مرحلة التعليم الاساسي تفوق قدرة اي شعب آخر ، وان جهاز التعليم في اليابان يجذب العناصر الكفوءة والمتميزة ، والمدرسة اليابانية تعلم الطالب كيف يدخر نقوده للمستقبل وتشجع على العمل الجماعي (٢٤) \*

ولكي تكون الصورة واضحة لدى القارئ فاجد أنه لابد من تفصيل مراحل التعليم العام والجامعي بما يفسر مخطط الشكل السابق :

#### اولا - رياض الاطفال Kindergarten (٢٥)

يشير Edmond King في كتابه « مدارسهم ومدارسنا » الى ان اليابان لابد ان تكون الدولة الوحيدة في العالم التي فيها اختبارات ما قبل مرحلة

(٢٤) الدكتور ناجح خليل الراوي ، مصدر سابق ص: ١٤ .  
P. 459. مصدر سابق Edmond J. King (25)

رياض الاطفال ، وهذا الاهتمام الخيالي بالذكاء عند الاطفال كان سببا لرغبة الاباء والامهات الطموحين والعوائل المزدهرة في التأكد من ان اطفالهم سوف يدخلون الروضة الملائمة .

وتعد رياض الاطفال المرحلة الاولى من سلم النظام التربوي والتعليمي في اليابان ، وهي مؤسسات تقبل الاطفال الذين أكملوا سن الثالثة من عمرهم وحتى سن السادسة وتهدف الرياض الى :

- ١ - غرس العادات الضرورية للتعامل الاجتماعي وللحياة السعيدة .
  - ٢ - تطوير خبرات الحياة الجماعية وغرس الرغبة للمشاركة والعمل الجماعي .
  - ٣ - تمكينهم من الفهم الصحيح للحياة الاجتماعية وما يتعاقب في يومهم الحياتي .
  - ٤ - تنمية امكانية الاطفال اللغوية .
  - ٥ - تمكينهم من التعبير عن افكارهم من خلال الموسيقى والرقص والرسم وتحقيق ذلك يتم من خلال المجالات الستة الاتية :
- الصحة - المجتمع - الطبيعة - اللغة - الموسيقى - والفن .
- وتعد رياض الاطفال التابعة للمؤسسات الاهلية اكثر من تلك التي تتبع الرسمية الا ان البرنامج في جميع ابعاده موحد (٢٦) .

### اليوم في الرياض :

تنظم نشاطات الاطفال التربوية من الساعة الثامنة والنصف صباحا حيث يفتتح بوقت من اللعب الحر يستمر حتى العاشرة ، ثم مدة استراحة قليلة يعقبها اجتماع خاص يمارس الاطفال فيه فعاليات مختلفة وبعدها

---

(٢٦) بوشامب ، ادوارد ، التربية اليابانية المعاصرة ، مصدر سابق

ص ٣٧-٣٨ .

وقت تقديم غذاء ويقضون بعد ذلك مدة في اللعب ثم يبدأون بتنظيف قاعاتهم استعدادا للعودة الى منازلهم في الساعة الواحدة ظهرا (٢٧) .

### ثانيا - المرحلة الابتدائية :

تهدف المدرسة الابتدائية الى تزويد الاطفال بتعليم اولي عام استنادا الى فهوم العقلي والجسمي ، وحدد قانون التربية اهداف المدرسة الابتدائية كالآتي :

- ١ - تكوين قدرات الفهم الصحيح لدى الاطفال حول الظروف التي تخص بيئتهم المحلية وتمكينهم من التعاون فيما بينهم وتكوين القدرات التي تمكنهم من العمل المستقل المستند الى خبراتهم في الحياة الاجتماعية سواء داخل المدرسة او خارجها .
- ٢ - تنمية الفهم الصحيح لدى الاطفال حول الظروف التي تخص بيئتهم المحلية وتربية الاطفال في ضوء التعاون بين الدول .
- ٣ - تزويد الاطفال بأسس المعارف والمهارات التي تخص العيش ويحتاجونها في حياتهم اليومية .
- ٤ - تكوين امكانات الفهم واستخدام التعبير الصحيح في اللغة اليابانية في الحياة اليومية .
- ٥ - تكوين امكانات الفهم والتعامل العلمي لدى الاطفال مع الظواهر الطبيعية التي تواجههم في حياتهم اليومية .
- ٦ - تنمية الادراك والمهارات في الموسيقى والفنون الجميلة والاداب التي تغني حياة الافراد .

---

(٢٧) جمال اسد مزعل ، دراسات في التربية المقارنة ، مصدر سابق ص ٢٢٨-٢٢٩ .

٧ - تعويد الطفل على الادراك والاستخدام الصحيح للعلاقات الرياضية في الحياة اليومية .

#### مهام تخص الرحلة :

- مدة الدراسة ست سنوات الزامية وكذلك بالنسبة للمعوقين .
- تقديم السلطات المحلية مساعدات مالية لمن يواجه صعوبة من اولياء الامور .
- انشاء المدارس بشكل كاف لاستيعاب الاطفال بالريف والمدينة .
- انشاء المدارس الاهلية وتحت اشراف السلطات التربوية المختصة .
- يبدأ اليوم المدرسي من الثامنة والنصف صباحا وحتى الثالثة عصرا .
- يحتوي المنهج - اللغة اليابانية - المواد الاجتماعية ، الرياضيات العلوم ، الفن ، الاقتصاد المنزلي ، التربية البدنية والتربية الاخلاقية .
- تنتهي المرحلة بامتحانات نهائية تحدد من خلالها فروع المدرسة (٢٨) .

#### ثالثا - الرحلة المتوسطة :

وهي مرحلة تعد امتدادا لمرحلة الالزام ومدتها ثلاث سنوات وحدد قانون التربية المدرسية ان هذه المرحلة تهدف الى تزويد الطلبة بتعليم عام ، مع مراعاة النواحي العقلية والجسمية وهدفها الاتي :

١ - تنمية الخصائص الضرورية لاعداد افراد يمارسون دورهم في المجتمع والدولة .

٢ - تزويد الطلبة بالمعارف والمهارات الاساسية للمهن واحترام العمل مع تمكينهم من اختيار نوع التعليم الذي يتفق مع امكاناتهم .

٣ - العمل على تمكين الطلبة من النشاط بفاعلية مناسبة داخل المدرسة

وخارجها ، والعمل على تنمية الخصائص التي تجعلهم قادرين على اتخاذ قراراتهم •

### معاومات تخص المرحلة :

- عدد الساعات الدراسية الاسبوعية ٣٥ ساعة •
- تشمل المواد الدراسية اللغة اليابانية ، المواد الاجتماعية ، الرياضيات ، العلوم ، الموسيقى ، الفنون الجميلة ، التربية الصحية ، الفنون الصناعية ، التربية الاخلاقية ، نشاطات خاصة ، مواد مختارة ، لغات اجنبية وموضوع مهني •
- اليابان في منهجها هذا تتفق مع بريطانيا في Comprehensive Schools
- يلزم الطلبة بالاسهام بالنشاطات والسفرات العامة •
- تنتهي المرحلة بامتحانات عامة تؤهل مجتازيها الدخول الى المدارس الثانوية العليا ، ويتجه جزء من الخريجين الى العمل •

### رابعا - المرحلة الثانوية :

- تسمى المدرسة الثانوية العليا وتهدف الى اعطاء الطلبة تعليما عاما ، وتعلما تقنيا عاليا استنادا الى امكاناتهم العقلية والجسمية واعتمادا على اسس التعليم العام وتهدف المدرسة الى :
- ١ — تكوين خصائص الشخصية للطلبة بما ينسجم ومتطلبات المجتمع والدولة ، فضلا عن تعميق نتائج المرحلة المتوسطة •
  - ٢ — تكوين القدرات والخصال التي تجعل من الطالب قادرا على اتخاذ قرار مناسب يخص مستقبل تعليمه على وفق امكاناته وقابلياته •
  - ٣ — تعمل على تزويد الطلبة بالثقافة العامة وامدادهم بالمهارات التقنية •
  - ٤ — تنمية الادراك العميق والامكانات العالية في كيفية تحمل المسؤولية

هناك ثلاثة انواع رئيسة من المدارس الثانوية العليا

أ - المدارس الثانوية ذات الدوام الكامل full-time

ب - المدارس الثانوية ذات الدوام الجزئي part-time

ج - المدارس الثانوية بالمراسلة (٢٩) correspondence

### معلومات تخص المرحلة :

— المدارس الثانوية العليا ذات الدوام الكامل هي النوع الرئيس للمدرسة اليابانية ، وهي على ثلاثة انواع .

أ - مدارس ثانوية اكاديمية وتشكل ٤٠٪ من المجموع الكلي .

ب - مدارس مهنية وتشكل ٢٤٪ من المجموع الكلي .

ج - مدارس ثانوية شاملة وتشكل ٣٦٪ من المجموع الكلي .

— مدة الدراسة ٣ او اربع سنوات كل حسب البرامج المعدة للمرحلة .

— تبلغ ساعات الصف الاول الاسبوعية ٣٣ ساعة والصف الثاني ٣١

ساعة للبنين و ٣٣ ساعة للبنات ، اما الصف الثالث فـ ٣٠ ساعة (٣٠) .

### خامسا - التعليم العالي :

حدد قانون التربية المدرسية مهام التعليم العالي بما يأتي :

أ - انها مراكز تعليمية تهدف الى تزويد الطلبة بتعليم عال في المجالات التقنية والثقافية .

ب - تنمية الامكانيات العقلية وتطوير القيم الخلقية لدى الطلبة .

ج - تضم الجامعات اختصاصات مختلفة غير انه يمكن للجامعة ان تكون

(٢٩) بو شامب ، ادوارد ، مصدر سابق ص٤٦-٤٧ .

(٣٠) جمال اسد مزعل ، مصدر سابق ص٢٣٠-٢٣٦ .

متخصصة في ميدان واحد فقط ، مثل الاختصاصات التقنية او الهندسية او الاقتصادية او غيرها (٣١) .

كما تستطيع الجامعات تنظيم دراسات مسائية الى جانب الدراسات النهارية ، ومدة الدراسة في الجامعة اربع سنوات واكثر من ذلك في تخصصات اخرى ، والقبول فيها يشبه القبول في جامعاتنا العراقية في كثير من المجالات ، الا ان ما يميز الجامعات اليابانية هو اجتياز الطالب لامتحان دقيق وصعب تعده الكلية شرطاً للقبول فيها ، ويتعرض الطلبة لمنافسة شديدة للقبول في الجامعات الشهيرة — طوكيو مثلاً — وهكذا يتم اختيار النخبة الافضل .

اما عن ترتيب الجامعات اليابانية فكل منها له مركزه العلمي الخاص به ، وتحتل جامعة طوكيو مكان الصدارة بين الجامعات اليابانية حيث تضم اشهر الاساتذة في الاختصاصات كافة ، ثم تأتي بعدها الجامعات الامبراطورية ومنها جامعة — كيوتو — وتلي هذه جامعات خاصة ذات شهرة عالية مثل جامعة — كيو — .

وقاعدة الهرم الجامعي يحتوي على مئات من المعاهد والمؤسسات التعليمية العالية . فضلاً عن Junior Colleges التي تقدم برامج تعليمية تستغرق مدة سنتين او ثلاث سنوات في ميادين متنوعة كالزراعة والعلوم الانسانية والتربية والادب والميكانيك والكهرباء وغيرها .

وسياق الدراسات العليا يشبه الى حد كبير ما هو عليه الحال في العراق من حيث المؤهل الجامعي ولكن يسبق ( الدخول للدراسات العليا ) امتحان فيه الكثير من الصعوبة والجدية وهنا تكون المنافسة على اشدها لتخرج منها الصنفوة المختارة لتحصل على اعلى الدرجات العلمية والذين سيتبوون المناصب الادارية والعلمية والتدريس في الجامعات (٣٢) .

(31) Other Schools and Ours, P. 447.

(32) Other Schools and Ours, Pp. 469—471.



## معلومات تخص الرحلة

صنف البرفسور تيتسو ياكومياباشي التعليم العالي الى سبع مجاميع :

١ - الجامعات التسع العليا متعددة الاختصاصات - جامعات امبراطورية مخصصة للتعليم المتقدم والبحوث .

٢ - استحدثت حوالي ٤٠٪ من الجامعات الرسمية المركبة عام ١٩٤٩ لكي تصلح للتربية العليا من خلال دمج الجامعات الرسمية ذات الاختصاص الواحد مع الكليات التقنية .

٣ - ٣٠٪ من الجامعات الرسمية ما زالت ذات اختصاص واحد متميز في حقول التكنولوجيا ، الفنون الجميلة ، اللغات الاجنبية والعلوم الاجتماعية .

٤ - ٢٧٤ جامعة خاصة فيها اختصاص واحد او اختصاصات متعددة .

٥ - (٨٣) جامعة رسمية ( نسوية ) منها (٧٣) متخصصة بالفن البرالي والقليل منها متخصص بالطب والصيدلة وما الى ذلك .

٦ - (٨) جامعات رسمية للدراسات التربوية اضافة الى (٣٨) جامعة تخصص في التربية لتوفير معلمين في المناطق الريفية .

٧ - (٤٩٧) كلية للاحداث غالبا ما تكون صغيرة الحجم وفيها اقسام قليلة الاختصاص ، اغلبها له علاقة بالمهن النسوية والمنزلية .

٨ - ٧٠٪ من المسجلين في التربية العليا ( التعليم العالي ) في جامعات خاصة بعضها معروفة دوليا ومؤثرة جدا في سلم التعليم والعمل الياباني .

## سادسا - اعداد المعلمين :

على الرغم تشابه مقررات الدراسة ومستوياتها في مؤسسات اعداد المعلمين في اليابان بصفة عامة مع تلك الموجودة في الدول المتقدمة ، الا ان الامر الذي يلفت النظر في التجربة اليابانية ، هو ان وضع المعلم الياباني كان وما

زال مرتقعا اجتماعيا واقتصاديا ، حتى انه في مرحلة ما بين (١٨٧٨-١٨٨٧) كان حوالي ٨٠٪ من الطلاب يلتحقون بمدارس او معاهد اعداد المعلمين من طبقة الساموراي ، وفي نهاية عصر مييجي (١٩١٢) كان معظم الطلاب الذين يلتحقون بمدارس اعداد المعلمين Normal School's من عائلات غير الساموراي ، ومع ذلك فقد اتصفت مهنة التعليم دائما بالقداسة والاحترام في اليابان (٣٣) .

ويتم اعداد المعلمين بالشكل الاتي :

- ١ - الكليات الجامعية المتوسطة تقوم باعداد معلمي رياض الاطفال والصفوف الاولى من المرحلة الابتدائية ولمدة سنتين او ثلاث سنوات بعد الثانوية
- ٢ - الكليات الجامعية اي كليات التربية ، وهذه تتولى اعداد معلمي المرحلتين المتوسطة والثانوية والصفوف الاخيرة من المرحلة الابتدائية، ولمدة اربع سنوات ، ويدرس في المرحلة الثانوية العليا (الاعدادية) من لديهم درجة الماجستير ولا يحق لاحد التدريس في اية مرحلة من المراحل من دون شهادة تأهل تربوي صادرة عن مجلس التعليم وبشروط معينة (٣٤) .

اما نسبة عدد التلامذة لكل معلم في عام ١٩٨٢ وحتى مرحلة التعليم الالزامي فقد كانت ٢٥ تلميذا لكل معلم انخفضت في عام ١٩٨٤ الى ٢٤ تلميذ .

اما النسب في مراحل التعليم العام لسنة ١٩٨٠ فقد كانت ٢٤ في الرياض و ٢٥ في التعليم الابتدائي و ٢٠ في المتوسط والثانوي و ١٩ في الاعدادي

---

(٣٣) احمد ابراهيم احمد - التربية المقارنة - دار المطبوعات الجديدة - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٨ .

(٣٤) باعباد علي هود - نظم التعليم وفلسفاتها في دول العالم - دراسة مقارنة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣ .

من التلامذة لكل معلم مع وجود فروق طفيفة بين المدارس الحكومية الرسمية والمدارس الاهلية (٣٥) .

### خصائص التربية اليابانية :

١ - يستمد النظام التربوي الياباني مقوماته من طبيعة مجتمعه وروح امته واحتياجات وطنه ، ولا يأتي انعكاسا لنماذج تربوية خارجية الا فيما يتعلق بالتقنيات والوسائل العملية التي هي عامل مشترك بين جميع الامم وهذه التقنيات والوسائل لم تستوردها اليابان الا بعد تجربتها من انحيازاتها القيمة ومن خلفياتها الايدولوجية .

٢ - استمد النظام التربوي الياباني انطلاقته من جذوره ومؤسساته وتقاليده المتأصلة والقائمة فعلا ولم يدمرها او يهملها ليبدأ من نقطة الصفر على خطى نماذج مقتبسة من الغرب .

٣ - يعد التعليم في اليابان خدمة وطنية عامة وواجبا قوميا يتجاوز اي جهد فردي او فئوي وانه في مناهجه وتوجيهاته يمثل عامل التوحيد الاهم لعقل الامة وضميرها ، ولا يسمح فيه بتعدد المناهج والفلسفات التربوية .

٤ - لم تأخذ اليابان بالنزعات الليبرالية والنفسية الغربية في التوجيه الفكري للاجيال وفي ضبط سلوكها العملي والاخلاقي وظلت متمسكة بقيم الانضباط الموحد في الفكر والسلوك .

٥ - لم تأخذ اليابان ببريق الدراسات النظرية الغربية من فلسفات وحقوق وانسانيات ، بل انصرفت الى تأسيس قاعدتها العلمية التقنية الصناعية وما زال التعليم المهني متقدما على النظري ، ونقطة القوة في النظام التربوي الياباني ليست جامعاته وانما معاهده التقنية المتوسطة التي تمثل عموده الفقري .

٦ - استطاعت اليابان ان تجمع بين شعبية التعليم وارسقراطيته الفكرية ، بمعنى ان التعليم اتيح للجميع في قاعدة الهرم التربوي لتزويد الامة باليد العاملة المتعلمة ، وتمت الموازنة بين تعليم العامة واعداد النخبة •

٧ - لم تأخذ اليابان ولم تبهر باللغات الاجنبية ، وتبنت فكرة « لا يمكن لاي امة ان تبضع علميا الا بلغتها الام ، ولا يستمع العالم الى امة تتحدث بلغة غيرها » •

٨ - على الرغم من مركزية التوجيه الفكري القومي في النظام التربوي الياباني فانه يقوم على مرونة ولا مركزية ملحوظة ، ووفقوا بين مركزية التوجيه ولا مركزية التنفيذ في معادلة متوازنة •

٩ - تعد مهنة التدريس في اليابان من المهن المربحة اقتصاديا حتى بالقياس لاعمال القطاع الخاص ، وبين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس لدى الدولة يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشية ، وقد ادى ذلك الى الحفاظ على مستوى نوعي متفوق للمعلم الياباني ، ادى بدوره الى تنمية نوعية للعملية التربوية باسرها •

١٠ - اليابان لم تَنسَق وراء نزعة تحويل الثقافة العامة للامة الى منشط من مناشط الاعلام كما حدث في الكثير من بلدان العالم الثالث ، بل بقيت مهمة دعم الثقافة الى وزارة التربية والعلوم والثقافة (٣٦) •

### الدروس المستنبطة من تجربة اليابان :

ماذا تعلمنا من رحلتنا في عالم التربية في اليابان ؟

الاول - لقد رأينا من دون اي شك ان التربية تعتمد ككل والى حد بعيد على التأثيرات الثقافية لاصالة الموروث التربوي الياباني وليس اسهل على

---

(٣٦) مكتب التربية العربي لدول الخليج - رسالة الخليج العربي ، العدد ٢١ ١٩٨٧ ص ٤٢-٤٦ •

الفرد معرفة عمق وأصالتها في حضارة العرب والمسلمين ، مدرسة الرسول العظيم ما يغنينا عن التقليد •

الثاني : اهتمت اليابان منذ وقت مبكر باصلاح نظام التربية والتعليم وعلمنا اصلاح نظامنا التعليمي وان نجذب خيرة الشباب لهذا القطاع وان نعد طلبتنا للتفكير والحوار والابداع بدلا من التلقي « البغاوي » •

الثالث : الاهتمام الجدي والنوعي بمؤسسات البحث العلمي والتطوير والصرف على هذا القطاع بسخاء<sup>(٣٧)</sup> •

الرابع : اصبح التعليم هو الذي يحدد دور الفرد ومركزه في عصر الجدارة والتفوق الياباني ، ولا شك في ان معدلات التعليم العالية ومستوياتها الممتازة من اهم الاسباب التي تقف وراء نجاح اليابان في مواجهة تحديات الغرب المتفوق في القرن التاسع عشر تكنولوجيا على اليابان ... والواقع انه لا يوجد سبب رئيس او اساسي لنجاح اليابان اكثر من نظامها التعليمي<sup>(٣٨)</sup> •

الخامس : من خلال هذا النظام التعليمي وهيكله اصبحت اليابان واحدة من اكبر امم العالم في مستواها التعليمي العالي •

السادس : بالنسبة لكل فرد في اليابان اصبحت الصلة الوثيقة التي تربط بين التحصيل العلمي والنجاح في الحياة امرا مسلما به •

السابع : ان اندفاع الياباني نحو التعليم كان عاملا مهما في عملية تنظيم النسل في اليابان ، لان الناس يعتقدون ان انجاب عدد قليل من الاطفال يجعلهم قادرين على الاتفاق عليهم للوصول الى مستوى التعليم العالي •

الثامن : ان نسبة الشباب الذين يلتحقون بالجامعة في اليابان اكبر كثيرا من نسبتها في دول غرب اوربا •

---

(٣٧) الدكتور ناجح الراوي مصدر سابق ص ٢٣ •

(٣٨) ادون رايشاور - اليابانيون - ترجمة لى الجبالي - مجلة عالم المعرفة العدد ١٣٦ الكويت ١٩٨٩ ص ٢٣٩ •

التاسع : ما زال التعليم في اليابان من اقوى النقاط ، بل هو بالقطع المحور الذي يرتكز عليه النظام الاجتماعي الياباني •

العاشر : ان افضل الجامعات اليابانية وأشهرها تكلف الطلبة اقل قدر من المصروفات ، بينما افقر الجامعات تكلفهم اعلى المصروفات وهو عكس النمط الامريكي (٣٩) •

الحادي عشر : لقد كان اليابانيون يتعلمون من الامريكان والاوروبيين ولكن بعد السبعينات حاول الامريكان والاوربيون ان يتعلموا من اليابانيين من دون جدوى ، لانه ليس من السهل الحصول على المعلومات من اليابانيين (٤٠) •



---

(٣٩) ادوين رايشاور ، مصدر سابق ص ٢٤٥-٢٥٠ .

(٤٠) الدكتور ناجح الراوي ، مصدر سابق ص ٢٠ .

## المصادر

- ١ - احمد ابراهيم احمد - التربية المقارنة - دار المطبوعات الجديدة ، الاسكندرية ١٩٨٨ •
- ٢ - ادون رايشاور - اليابانيون - ترجمة ليلي الجيالي ، مجلة عالم المعرفة العدد ١٣٦ الكويت ١٩٨٩ •
3. Edmond. J. King "Other Schools and Ours" Comparative Studies for Today Fifth Eddition Holt Sussex 1979.
- ٤ - باعباد علي هود ، نظم التعليم وفلسفاتها في دول العالم ، دراسة مقارنة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣ •
- ٥ - بو شامب ادوارد - التربية في اليابان المعاصرة ، ترجمة محمد عبد الحليم مرسي ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٥ •
- ٦ - جمال اسد مزعل - دراسات في التربية المقارنة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٧ •
- ٧ - ماكوتو آسو ايكوو مانو - التعليم ودخول اليابان العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ •
- ٨ - د. ماهر اسماعيل الجعفري « نحو فهم عربي لعلم المستقبل » صحيفة القادسية العدد ٥٢٦١ حزيران ١٩٩٧ •
- ٩ - محمد جابر الانصاري ، جذور التربية اليابانية وخصائصها المتميزة مع مقارنتها ببعض البدايات العربية في التربية ، رسالة الخليج العربي ١٩٨٩ •
- ١٠ - مكتب التربية العربي لدول الخليج ، رسالة الخليج العربي العدد ٢١ ، ١٩٨٧ •
- ١١ - د. ناجح خليل الراوي - نظرة الى تجربة اليابان في نقل التكنولوجيا ، مجلة المجمع العلمي الجزء ٢ المجلد ٤٤ ، ١٩٩٧ •

## قراءة في منهجية « المعجم الطبي الموحد »

الدكتور مجيد محمد علي انقيسي

« المعجم الطبي الموحد » واحد من المعجمات العلمية العربية التي حظيت بتقدير الاطباء بعامة والعلميين الاخرين بخاصة ، منذ ان صدرت طبعته الاولى في بغداد عام ١٩٧٣ ، وكان عدد مفرداتها ، آنئذ ، متواضعا . غير انه كان سفرا ثابت الاركاز واضح الغاية . ثم تبعتها الطبعتان الثانية والثالثة بعد اعوام قليلة ، وقد تضاعف عدد مفرداتها ضعفين واكثر .

وبها هو مشروع الطبعة الرابعة بين ايدي المختصين والنقاد لقراءته وابداء الرأي فيه . فقد ضم بين دفتيه اكثر من مائة وخمسين الف مفردة ، وهو رقم يثلج الصدور ويعزز الثقة بقدرة العلميين العرب على العطاء الاصيل الثمر ، وفي ميدان رفيع الشأن هو ميدان تعريب العلوم ، متى ما توفرت الارادة الحقيقية الثابتة والاخلاص في العمل .

لقد اتخذ المؤلفون مبادرة فريدة في بابها وهي استئناسهم بأراء نخبة من علماء الطب لاستمزاج آرائهم في منهاجه واسلوبه والفاظه . وهذه ، بلا شك ، خطوة نادرة وعظيمة الفائدة . فهي تؤكد ثقة القائمين له بقدرتهم على تجاوز الصعاب التي كانت وماتزال ، حتى الساعة ، تعترض صناعة المعجمات وتعطل سير عملية تعريب التعليم في المعاهد العلمية العربية العليا .

لقد كان من حسن الطالع ان اتصفح بانعام هذا ( المعجم ) النفيس وان اختار من بين مفرداته الكثيرة مجموعة يسيرة ، وهي الخاصة بالحرفين ( D ) & ( E ) ، فشرعت في تفحصها ودراستها بتأن ، معتبرا إياها



عينة نموذجية ، وبدأت بتسجيل ملاحظاتي وخواطري الموجزة عن منهاجه  
واسلوب صياغة الفاظه واختيار دلالاتها العلمية ، وبخاصة ما يتصل منها  
بمصطلحات العلوم الطبيعية ، كالكيمياء العامة والسريرية والاجهزة والمعدات،  
مما يندرج ضمن مجالات اهتمامي وهوممي في صناعة المصطلح العلمي بعامة  
والمصطلح الكيميائي بخاصة ، ومن منظور لغوي اصطلاحي بحث .

لقد وجدت « مشروع المعجم » متقن الصنع ، جميل الاخراج ، زاخرا  
بالمفردات والمعاني الدقيقة ، في حدود ما توفر له من مناهج واساليب وممن  
ملاك عامل متواضع العدد .

ومع كل هذا الاطراء الذي أسبغ على « المعجم » فقد وجدنا ان قلم  
القوامين على اعداده قد سها ، قليلا ، حين تناول المصطلح الكيميائي المركب  
والمؤلف من بضعة مقاطع ، فجاء بناؤه مشوشا ومبهما . ولم تسلم من السهو  
حتى مصطلحاته البسيطة ، وهو ما سنفصله لاحقا .

وتتلخص هفوات « مشروع المعجم » في خروج بعض مصطلحاته على  
اصول وقواعد اللغة العربية ، من حيث البناء والاعراب ، وفي حاجتها الى  
مرجعية اصطلاحية معتمدة عربية او دُولِيَّة وفي افتقارها الى السمات الأُسرِيَّة  
التي تميز بعضها عن البعض الآخر . فكثير من المصطلحات الأُسرِيَّة الدولية  
( الانكليزية مثلا ) ، والتي نقلها « المعجم » الى اللغة العربية قد فقدت تلك السمات  
اثناء اجراءات النقل ، مثلما حصل لاسرة الخمائر ( enzymes ) وللكثير من  
مصطلحات الكيمياء السريرية كما سنرى .

وليس « المعجم الطبي الموحد » بدعا في هذا الشأن . فمعظم المعجمات  
العلمية العربية تعاني من هذا النقص الخطير ، حتى تحولت مصطلحاتها الى  
عبء ثقيل الوطأة على حافظة الدارس العربي . بل واستثقلت حتى ذاكرة  
الحاسوب ، لافتقارها الى التناسق والقياس والمنطق ، وهي الاسس التي  
قامت عليها علوم الحوسبة والمعلوماتية وتطبيقاتها في صناعة المصطلح .

ولم يغفل العلميون العرب عن وجود تلك الاغلاط والالوهام في المصطلح العلمي العربي . فقد تناول عدد منهم بالنقد المعجمات الطبية المتداولة (١) وكذلك المعجمات الكيميائية (٢) ، فأكدوا حاجتها الى منهجيات علمية واضحة وثابتة ، والى مرجعيات قياسية دُرُويَّة يمكن الاهتداء بها (٣ ، ٤) . كما طالب بعضهم بتتقية المصطلح العربي من الترادف والتكرار والتقلبات العشوائية (٥) .

ومن الجدير بالتنويه ، ان المصطلح المنهجي ، وسواء أكان عربيا ام اجنيا ، يتسم بخصائص أُسُرية قوامها التناسق والتنظيم والتناغم والتمايز . فكل أسرة من الاسر الاصطلاحية تحمل في هيكلها العلامة الفارقة الثابتة التي تميزها عن سواها من الأُسَر ، وبخاصة المركبات الكيميائية والظاهرات والمفاهيم والمعدات . فعلامة الكحولات هي ( ol — ) والخمائر ( ase — ) والسكريات ( ose — ) والاحجار والخامات ( ite — ) . اما في امراض الدم ومتلازماته وظواهره فهي ( emia — ) وفي البول ( uria — ) وفي الاورام ( oma — ) كل ذلك كان في العلامات اللاحقة ( suffixes ) اما في العلامات السابقة ( prefixes ) فهناك في الطب مِعْوِي ( entero — ) ومِعْدي ( gastro — ) وفي الكيمياء فوق ( per — ) وتحت ( infra ) ومتعدد ( poly — ) وتحوّلي ( meta — ) وهدمي ( cata — ) وبنائي ( ana — ) .

اما العلامات الفارقة التي تميز الافراد من المصطلحات في نطاق الأُسُرة الاصطلاحية الواحدة فتقدر اعدادها بالالوف . ومن امثلتها في الكيمياء : ثنائي إين° ( diene ) وثلاثي إين ( triene ) ، فهي هنا ( ثنائي — di ) و ( ثلاثي — tri ) ، إذ تشترك بينهما العلامة الفارقة لاسرة الالكينات وهي ( ene — ) . فأين هي العلامات العربية الفارقة للمصطلح العلمي العربي ؟ .

والحقيقة التي لا مناص منها ، انه بغير هذه المنهجيات الاصطلاحية المعيارية تصبح تسمية الألف ، بل واللايين من مصطلحات الكيمياء والطب وعلوم الحياة والمعادن ضرباً من ضياع الجهود ومدعاة للأضطراب . وهو ما تنبه اليه علماء الغرب قبل اكثر من نصف قرن فعمدوا الى دراسة المصطاح دراسة منهجية ( systematic ) فأقاموه على ثلاثة ركائز رئيسة هي العلم المختص (الكيمياء مثلاً) وعلوم اللغة وعلوم المصطاح . والغرض الذي توخوه : من كل ذلك ، تسهيل مهمة العالم في فهم وحفظ واستدكار وتوثيق وفهرسة هذا العدد المذهل من المصطلحات بسرعة ويسر ، وتسخير الحاسوب للقيام بتلك المهمات العسيرة ، الى جانب قيام هذه الآلة المفيدة بصياغة المصطاح ذاته واختبار صحة بنائه وتعيين موقعه في المنظومة الاصطلاحية الكبرى .

ستركز ملاحظاتي حول منهاج « المعجم » ولغته واسلوبه ، لا على تقويم مفرداته الكثيرة المتباينة . فمثل هذا العمل هو من صاب اختصاص المراجعين والمحكمين الذين تصطفيهم الهيئة المشرفة على « المشروع » من بين الأطباء ذوي الخبرة الواسعة والدراية الحسنة في مجالات الطب واللغة والمصطاح . لذلك اراني ملزماً باحترام الحدود التي رسمتها لقايني منذ البداية في اختيار نماذج قليلة من مصطلحات الحرفين ( E ) & ( D ) التي ظهر الخطأ فيها واضحا ، فحاولت مناقشة بنائها اللغوي والاصطلاحي واقتراح البدائل المناسبة ، ما امكن ذلك .

وتسهيلاً للقارئ الكريم في متابعة الالفاظ فيكون عرضها النبائياً ، وكما وردت في متن ( المعجم ) .

واخيراً ، ليكون معلوماً ، ان الملاحظات والاقتراحات التي تضمنتها هذه الدراسة سوف لن تنال من المكانة الرفيعة التي يتبوءها هذا المؤلف النفيس في المحافل العلمية والمعاهد العليا . ذلك ان عملاً بهذه السعة لابد ان يسهو القلم في قليل او كثير من الفاظه . وعسى ان تساهم هذه (انقراءة) المتواضعة في ازالة الهفوات العابرة والاقتراب به من الكمال الذي هو غاية لا تدرك .



يلاحظ المنقب في مصطلحات ( المعجم ) ان اللجنة المؤلفة لم تلتزم بمنهج واضح وثابت لنقل المركبات الكيميائية الى اللغة العربية ، وفي مقدمتها الخمائر التي يحلو لـ ( المعجم ) ان يدعوها ( إنزيمات ) •

فمن المعروف بين المختصين ان تسمية المركبات الكيميائية المعقدة والمؤلفة من عدد من المقاطع او الالفاظ المتتابعة تحتاج الى مهارات في علوم اللغة والمصطلح ، وكذلك في علوم الكيمياء ، بطبيعة الحال • فان حصل وتولى الامر طبيب وأصاب بعض النجاح ، فان ذلك ليعند عملا طيبا ، وذلك لصعوبة تسمية المركبات الكيميائية باللغة العربية ، حتى بالنسبة الى الكيميائيين •

يشير التحليل البنائي والدلالي للخميرة المذكورة الى وجود ثلاثة مقاطع بثلاث دلالات متميزة • لكن ( المعجم ) يقل دالتين منها فقط وهما ( نازعة — أسيل — — acyl — ) واسقط اللاحقة ( — ase ) مع اهميتها البالغة ، باعتبارها العلامة الفارقة التي تميز أسرة الخمائر • فان حصل وعثر عليها الدارسين في كتاب الطب او في الكيمياء لما عرف انها من هذه الأسرة ، لظنها احدى الآلات او المواد النازعة للاسيل من خارج الخمائر • وكان على ( المعجم ) ان يسميها ( خميرة نزع الاسيل ) او ( إنزيم نزع الاسيل ) وهي تسمية منهجية قياسية تناظر الاسم الدشوكي بعدد الدلالات الكيميائية •

وكرر ( المعجم ) هذا الاسلوب المرتجل في عدد من الخمائر حين قال ، على سبيل الترجمة :—

deamidase

نازعة الأמיד

deaminase

نازعة الأمين

decarboxylase

نازعة الكربوكسيل

وفي ضرب آخر من الخمائر اتخذ ( المعجم ) نهجا في التسميات مختلفا عن السابق ، حيث نقلها الى العربية بحروفها ولفظها ، فقال :-

دهيدراتاز dehydratase

دهيدراز dehydrase

أمينو أسيلاز dehydropeptidase ( = amionacylase )

ولم يذكر لنا ( المعجم ) السبب في هذا التنقل المبالغ ما بين الترجمة والتعريب اللفظي ، ولمركبات متماثلة ومن أسرة واحدة !

ولقد شعرنا ، ايضا ، بان ( المعجم ) كان قد واجه بعض العسر وهو يحاول ايجاد اسماء مناسبة للخمائر المعقدة . وهو ما عانت منه معجمات عربية كثيرة . فقد قال في الخميرة :-

bata - hydroxybutyric dehydrogenase

نازعة الهيدروجين البيتا هيدروكسي بوترية .

ثم قال في الخميرة :

glucose - 6 phosphate dehdrogenase

نازعة الهيدروجين الغلوكوز ٦ - فسفاتية .

وقبل الشروع في تحليل ابنية هاتين التسميتين وتعيين دلاليتهما ، ينبغي ان نؤكد احدى الحقائق اللغوية الثابتة للعربية وهي المتعلقة بالاهمية البالغة للاعراب في فهم معنى الجملة وتحديد دلالاتها العلمية . ومثل هذا الامر البالغ الاهمية يحتاج اليه كل من المصطلحي والقاري . لكن المسؤولية الاولى انما تقع على عاتق المصطلحي .

فلكي يمتاك من يتولى وضع المصطلح فاصية الاعراب ، فان عليه ان يلم بمبادئ النحو وقواعد اللغة العربية المأما كافيا ، وان يكون عارفا بطبيعة المادة الكيميائية المطلوبة للتسمية .

وللمباشرة بتسمية المادة الكيميائية فإن على المصطلحي ان يبدأ ، اولاً ،  
بتعريفها ببضع عبارات ، ومن ثم يأخذ باختزال تلك العبارات ، ليحصل منها  
على عبارة موجزة دالة ، تكون له بمثابة المرشد ، حين يبدأ بنقل الاسم من  
اللغة الاجنبية الى العربية ، دلالة في مقابل دلالة • ولن تكتمل التسمية المنهجية  
الا بعد اعرابها • وتعرف هذه الطريقة في التسمية بطريقة الاختزال ( ٣ ، ٦ ) •  
والمثال الاول الذي ورد ذكره في ( المعجم ) هو لخميرة تتوسط وتساعد  
على مناقلة الهيدروجين بين المادتين : ( بيتا - هيدروكسي بيوتيرات ••• )  
و ( أسيتي أسيتات •• ) داخل جسم الكائن الحي ؛ في الكبد وفي الكُرَيَّات  
الْحَمْرُ ( ٧ ) •

وأقرب تسمية منهجية هي بالغرض هي تلك التي تذكر اسم (خميرة أو  
إنزيم) ، مضافا الى مصدر الفعل ( نَزَعَ ) ، والمضاف ، بدوره ، الى  
الهيدروجين على سبيل التخصيص • ومن ثم تضاف العبارة برمتها ، او  
تخصص بحرف اللام ، لتتصل بما يقع عليه الفعل ، وهما المادتان المذكورتان ،  
لتصبح التسمية في النهاية : ( خَمِيرَةُ نَزَعَ هِيدْرُوجِينَ بِيْتَا - هِيدْرُوكْسِيَّ  
الْبِيُوتِرَاتِ ) او ( خَمِيرَةُ نَزَعَ هِيدْرُوجِينَ بِيْتَا - هِيدْرُوكْسِيَّ الْحَامِضِ  
الْبِيُوتِرِيِّ ) او على سبيل الاختصار : ( خَمِيرَةُ نَزَعَ هِيدْرُوجِينَ بِيْتَا -  
هِيدْرُوكْسِيَّ الْبِيُوتِرِيِّ ) •

وما دامت التسميات المنهجية المذكورة قابلة للاعراب ، فيصبح ادراك  
معانيها في غاية اليسر •

اما المثال الثاني فقد اضطرب ( المعجم ) في تسميته ايما اضطراب ، وهو  
امر متوقع في مثل هذه التسميات الكيميائية المعقدة • فلكي يفهم القاريء  
معنى هذا ( الانزيم ) عليه ان يُوَفَّقَ في اعراب العبارات العربية المقترحة :  
( نَازِعَةُ الْهِيدْرُوجِينَ و ( الغلوكوز - ٦ ) و ( فسفاتية ) •

والواقع ، فان اعراب العبارات الثلاث ليس بالامر الهين إن لم يكن  
متعذرا •

وقد يكون هذا الشكل الاصطلاحي الذي يتعاق بمنهج ( المعجم ) من حيث الاساس ، غير ذي خطر كبير على مستقبل هذا المؤلف النفيس لصالّة عدد اغلاطه من مستوى هاتين التسميتين ، لكنه تحول الى معضلة مزمنة في معجمات الكيمياء • والامثلة على ذلك لا تحصى • ويكفي المرء من ذلك ان يعرف بان معجما مرموقا كان اطلق على الباحثين المختلفين :

( radiation chemistry ) & ( radiochemistry ) اسما واحدا

هو ( الكيمياء الاشعاعية ) • كما عرّب معجم كيميائي آخر المركب : ( bromoaniline ) باسم ( بروم الأنيلين ) ، اي بخلاف الاسم الصحيح وبعكس المعنى المقصود ، بدلا من القول ( أنيلين بروميث ) او ( بروميث الأنيلين ) •

افلا يثير السقوط في امثال تلك الاغلاط الجسيمة والاصرار عليها وتكرارها الدهشة والتساؤل ، على كثرة ما كتب فيها لاجتتابها ؟

\* ثنائي اتيل امينو اتيل سلولوز DEAE — Cellulose

لدينا على هذه التسمية ملاحظتان ؛ الاولى ان لفظة ( ethyl ) قد نقلت الى العربية بحرف ( التاء ) المثناة ، لا بحرف ( الاء ) المثناة • وهذا النوع من النطق شاع في عدد من اقطار العرب • والنطق بـ ( الاء ) شائع في الانكليزية والتزم به ( الايوباك ) في نطق التسميات الكيميائية الدولية ، ومنها لفظة ethyl

اما الملاحظة الثانية فتتصل بنمط غريب وجدته فاشيا في معظم المعجمات العلمية العربية ، وهو الاكتفاء بنقل مرادف واحد من مترادفات المصطلح المقصود ومحاولة فك اسراره ان كان رمزا ، كالمثال المنقود •

وهذا الاسلوب في النقل ان صلح لتحرير الكتب والمقالات الثقافية العامة ، فهو لا يصلح لصناعة المصطلح العامي • فالقاريء ، هنا ، يريد من

المعجم ان ينتقل اليه جميع المترادفات الاجنبية الى العريضة ، من غير استثناء ، وبخاصة المرادف الاصل ، حتى وان كان رمزا •

فالمصطاح المذكور يدخل في حثيرة الرموز العلمية المركبة ، والعريضة لا ترفض التعامل معها • فهي تقول فيه ( ثأأأ - سلولوز ) • وهو صورة عربية صادقة للرمز الدولي •

ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نقترح على لجنة ( المعجم ) بان تثبت في نهاية المؤلف مسردا بالرموز الواردة فيه ومفكراتها جريا على عادة الكتب والمجمعات الدولية ، اتاما للفائدة •

وكرر ( المعجم الطبي الموحد ) هذا النمط من التعريب فاكفى بذكر المرادف دون الاصل • من ذلك قوله :

دابسون diaminodiphenylsulfone ( = dapsone )

أمينو اسيلاز dehydropeptidase ( = aminoacylase )

ثنائي السلفيدريل desulphurase ( = desulphhydrilase )

ويلاحظ القاريء الكريم ، هنا ، بان ( المعجم ) نطق الاسم الدولي : ( سلفهيدريل ) بحرف الياء لا بالهاء فقال ( سلفيدريل ) •

decompensated \* لا مَعَاوَض

defocussed \* لا مَتَبَائِر

تعد قواعد الصرف واحكامه من اكثر ما يحتاج اليه العاكفون على صناعة المصطاحات العلمية • فهي نبغ لا ينضب لكثرة عددها وتنوع صيغها وسعة وظائفها الدلالية •

والمصطاحي الحاذق مطالب بان يختار ما يدل على المعنى العلمي بدقة ومهارة ومن غير تعسف او تجاوز لحدود الميزان الصرفي المطلوب •



والدارس للمعجمات العلمية العربية ويظالم مصطلحاتها ، كثيرا ما يعثر على الوان من ذلك التجاوز .

والواقع ان تجاوز ( المعجم ) لقواعد الصرف لا يعتد به لضعفه ، لكنه قد يكثر صفو مصطلحاته الاخرى .

فقد لجأ ( المعجم ) الى صيغة ( فاعل ) التي تدل على المشاركة والولاية ( التابع ) والتكثير في وظيفة الفعل .

ويراد بالمشاركة ان يفعل احدهما بصاحبه فعلا فيقابله الاخر بمثله . حينئذ ينسب للبادى نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية ( ٨ ) . ومن امثلة هذه الصيغة : ( عَادَلَتِ الْقَاعِدَةُ الْحَامِضَ ) و ( الْقَاعِدَةُ مُعَادِلَةُ الْحَامِضِ ) . اذا فالحامض ( مُعَادِلٌ ) بالقاعدة .

من ذلك يتبين أن المعنى الذي قصده ( المعجم ) وتضمنته لفظة ( decompensated ) لا يدخل تحت اي من الاغراض الثلاثة لصيغة ( فاعل ) ومشتقاتها . لذلك فالتعبير عنه بلفظة ( مُعَارِضٌ ) ليس له ما يسوغه . وكان عليه ان يلجأ الى الفعل ( أَعَاضٌ ) او مضعفه ( عَوَّضٌ ) بمعنى إعطاء الشخص شيئا بدل ما ذهب منه ( ٩ ) . وهو ما ينطبق على المعنى المقصود تمام الانطباق ، ليقول في المصطلح المنقود : ( لا مُعَاضٌ ) او ( لا مُعَوَّضٌ ) .

واتخذ ( المعجم ) نهجا مماثلا حين قال ( لا مُتَبَايِرٌ ) ، وبصيغة اسم الفاعل في مقابل : ( defocussed ) ، وهو في الاصل من اسماء المفعولين بدلالة اللاحقة ( — ed )

وصيغة ( تَفَاعَلٌ ) تفيد ، هي الاخرى ، معنى المشاركة والمطاوعة والتدرج . والمعنى الذي سعى اليه ( المعجم ) لا يدخل في أي منها . وكيفيه ، لتحقيق غرضه ، الفعل المتعدي المألوف ( بَاَرَّ بَاَرًا ) او الفعل المضعف ( بَاَرَّ تَبْئِيرًا ) ، ان كان غرضه المبالغة .

والفعل ( بَأْرَ ) من الافعال المستحدثة التي جرى اشتقاقها من اسم جامد هو ( بُوْرَة ) ومعناها في الاصل ( الحُقْرَة ) • لذلك نرى ان الصيغة المناسبة لما يقابل defocussed هي ( غَيْرُ مَبْؤُرٍ اولا مَبْؤُر ) ، وبصيغة المبالغة : : غَيْرُ مَبْأَرٍ او لا مَبْأَر ) •

اما صيغة ( لا مُتَبَائِر ) التي جاء بها ( المعجم ) فلا تخاو من فائدة • فهي تفيدنا في ( إنكار المطاوعة او التدريج ) • كأن نقول : ( بَاءَرْتُ المِجْهَرَ فَالَمْ يَسْتَبَاءَر ) • فهو ، اذا ، ( غَيْرُ مُتَبَائِر ) او ( لا مُتَبَائِر ) • وشتان ، في المعنى ، ما بين هذه وتلك •

dehydrated alcohol

\* كَحْوُلٌ صِرْفٌ

الرأي الذي سأذكره بخصوص هذه التسمية التي تَصَرَّف فيها ( المعجم ) تصرفا حرا قد لا يَرْضِي المصطاحي وانما يرضي المترجم المحترف • فكثيرا ما نرى المترجمين يصولون ويجولون في باحة الترجمة ليؤكدوا بان الترجمة المقبولة هي التي لا تتقيد بالاعنى الحرفي للكلمة الاجنبية فتستعير احدى معانيها المجازية القرية ، طالما ان هذه الخطوة توفر السرعة في العمل والفيض في الانتاج • وكلاهما مطلوبان ضمن المعايير المهنية السائدة •

ولاشك ، ان في هذا القول الكثير من الصدق والمنطق ، لكن النظر فيه من زاوية علوم الاصطاح يعطي صورة غير دقيقة ، وقد تكون مغلوطة ومضللة احيانا •

والترجمة المتصرفة قد تنفع في مجال الفن والادب والثقافة ، لكنها شديدة الضرر في العلوم المضبوطة exact sciences •

وعبارة ( كَحْوُلٌ صِرْفٌ ) التي اقترحها ( المعجم ) عبارة سليمة ، واضحة ويألفها القارئ ، ويعرف انها تعني ( كَحْوُلٌ "نَقِيٌّ" ) او ( كَحْوُلٌ "صافٍ" ) على وجه الشمول • فهناك من القراء من ينظر الى ( نقاء ) الكحول

من الشوائب ، ومنهم من ينظر في ( صفاء ) لونه او هيئته • ولكن ليس بينهم من يظن بان هذا الكحول قد تم تجفيفه بـ ( إئتزاع الماء ) منه ، وهو ما قصده التسمية الاجنبية القياسية •

وقد لا نزع بان تسمية ( المعجم ) ليست سليمة من حيث صياغتها ومعناها العام • لكننا نرى ان دلالتها الكيميائية مبومة وناقصة •  
ففي مثل هذه الاحوال ، فان على المصطلحي ان يختار تلك اللفظة التي تعبر عن الدلالة الدقيقة الخاصة بها من غير ان ينصرف الذهن الى سواها ، حتى وان كانت صحيحة نسبيا •

فعبارة ( كحُوْلٌ مَنزُوعُ الماءِ ) ، اذا ، اقرب الى معنى المصطلح الانكليزي من عبارة ( كحول صرف ) ، ففيها يكمن معنى ( النقاء ) وأسلوب التقية ( بنزع الماء ) • كما يسهل ارجاعها الى الاصل الانكليزي من غير لبس

✽ تَجْفَافٌ مَقْرَرٌ الصُّودَمِيَّةُ hypernatramic dehydration

هذا المصطلح هو واحد من مصطلحات كثيرة العدد تشترك بين الكيميائي والطبيب •

وظاهرة الـ ( hypernatremia ) عَرَضٌ ينجم عن وجود زيادة غير طبيعية من عنصر الصوديوم في الدم • وما يهمنا ، هنا ، هو الاسلوب الامثل لنقل هذا المصطلح الى العربية •

لم تختلف المعجمات الطبية العربية في تسميات علمية مثلما اختلفت واضطربت في تسمية مصطلحات الكيمياء والكيمياء السريرية • ولقد تناول هذا المشكل الاصطلاحي عدد من الكتاب بالنقد ( ١ ، ٤ ) لكن الاختلاف فيه ما يزال قائما ، وفي جميع الطبقات المتتالية لهذا ( المعجم ) •

لقد انقسم المصطلحيون في تسمية هذا المصطلح وامثاله على فريقين • فريق اختار النقل اللفظي والنحت اسلوبا ، بينما فضل الفريق الاخر الترجمة •

فقد احتفظ اصحاب النقل اللفظي باللاحقة ( emia — ) الاجنبية ثم الحقوها  
باسماء المواد الكيميائية الموجودة في الدم . وحاولوا ترجمة السابقة  
( hyper — ) بلفظة ( فَرَط ) تارة ولفظة ( زِيَادَة ) تارة اخرى .

والظاهر ان اصحاب النقل اللفظي والنحت ليس لديهم تصور واضح  
وبعيد النظر عما ستكون عليه تسميات مباحث الدم في المستقبل ، وهي غير  
معروفة العدد . كما ستتناول مركبات كيميائية جديدة غاية في التراكب  
والتعقيد اللفظي ، بحيث يتعذر نطقها على اللسان العربي وهي ملحقة بلفظة  
( إِيْمَة ) وفي تركيب مزجي طويل ومعقد ، كما سنرى .

وكان ( المعجم ) في طبعاته السابقة قد اخذ بالنقل اللفظي تارة وبالترجمة  
تارة اخرى . لكنه اصبح اكثر ميلا نحو الاسلوب الاول في طبعته الثالثة  
وفي هذه الطبعة التجريبية . فما قاله :

carboxyhemoglobinemia	كربوكسي هيموغلوبينِيَّة
hyperglycinemia	فَرَطُ الغَلِيْسِينِيَّة
hypercholesterolemia	فَرَطُ الكوليستروْلِيَّة
hypercalcemia	فَرَطُ الكِلْسَمِيَّة
hyperkalemia	فَرَطُ البوتاسمية

اما ( قاموس حتي الطبي ) ( ١٠ ) فقد فضل الترجمة على التعريب اللفظي،  
فكان له في ذلك سبق الريادة والمثاب . ومما قاله في المصطلحات السابقة :

carboxyhemoglobinemia	أكسيهيمور الكربون في الدم
hyperglycinemia	
hypercholestrolemia	فَرَطُ كولستروْل الدَّم
hypercalcemia	فَرَطُ كِلْسِيُوم الدَّم
hyperkalemia	فَرَطُ بوتاسيوم الدَّم

ولا يختلف اثناء في ان التسميات المترجمة التي فضلها ( حتى ) هي الاقرب الى عقل القاريء العربي ووجدانه ، واليسر على النطق والفهم والحفظ من المصطلحات المعربة لفظا والتي اقترحها ( المعجم ) . ولا حاجة بي للاتيان بالدليل القاطع ، فهو يكاد ينبيء عن نفسه من المقارنة بين المنهجين وامثلتهما .

ولقد اظهرت الممارسة العملية في تدريس العلوم بالعربية بان الطلبة العرب ما تفروا من شيء بقدر شعورهم من المصطلحات المركبة تركيبا مزجيا ، وبالاخص إن° كان بعض مقاطعها اجنبيا كالمصطلحات المنقودة . وكانوا يتحاشون النطق بها علنا ، خوفا من الوقوع في الخطأ وإثارة سخرية زملائهم . ومن تلك المصطلحات : ( كهَرْطِيسِي وكَهَرْجَابِي وكَبْعَالَمَ وصَفْخَلِيَّةٌ وثُنْشَكْلٌ وارْتِفَاعِيَّاسُ ! ) ( ١١ ) .

والتركيب المزجي الوحيد الذي اضطرَّ الدارس العربي على الاخذ به ما كان فظقه سلسا مأثوسا وان ظل من الاستثناءات المفروضة على اللسان العربي . من ذلك فذكر : ( كَبْرَيْتِيْدُ sulphide ) و ( قَرَفَيْنُ ° keratin ) .

ويعد التركيب المزجي الاعجمي الذي فضله ( المعجم ) على منهج (حتي) عسير النطق وعصياً على الاشتقاق والقياس ، لذلك نرى ان ترجمة المصطلحات المختومة باللاحقة ( — emia ) ونظرائها منهج سليم ويلبي المطالب والشعارات التي تنادي بالحفاظ على سلامة اللغة العربية ، بشرط ان يخضع الى التوحيد والترميز والتقييس ليتقبله الذوق العربي وتستوعبه الذاكرة ، وتكون هيئته الاصطلاحية صورة دقيقة وامينة لنظيره الدولي ، هذا لغته العربية وذاك لغته الانكليزية .

واول خطوة في هذا السبيل ، الاقتصاد في استعمال الحروف في بنية المصطلح كحروف الجر والعطف . فبدلا من عبارة : ( أكسييحمور الكربون

في الدم) يقال : (أُكْسِيَتْ يَحْمُورِ الدَّمِ الكربوني) • وبدلاً من (قَرَطَ البيرويين في الدَّم) يقال : (قَرَطَ بيرويين الدَّم) • وبدلاً من (قِلَّةُ الهرمون الجنسي في الدم) يقال : (قلة هرمون الدم الجنسي) • بشرط أن يؤدي الاقتصاد في الحروف إلى اللبس في فهم المصطلح •

أما في مجال توحيد المصطلحات فينبغي الثبات على المصطلح الذي يتم اختياره وعدم تغييره بحسب الأهواء • فلا يقال ، مثلاً ، (تَدَكِّي) تارة و (قِلَّة) تارة أخرى •

وتعد خطوة التقييس من أخطر الخطوات في بناء المصطلح العلمي العربي • فهي التي تلم شتاته وتوحد ما تشرد منه ، حتى ينتظم في أُسَر ومجموعات متميزة ، تكون الأساس الثابت لنظام دقيق لفهرسة المصطلح وتوثيقه • فاللغة العربية بدأت ، في نشأتها الأولى ، لغة فطرة وسماع ثم تطورت إلى لغة قياس وأطراد •

وللقياس ، بمفهومه الواسع ، خصائص لغوية واصطلاحية كثيرة ، لكونه يقام على أسس من المنطق والعقل ، ويتسم بالوضوح والتناسق والاتِّراد ، كما يستند إلى مرجعية اصطلاحية معتمدة ، كما فوهنا بذلك سابقاً •

ولقد تأكد لنا ، أن للعربية بأعاطويلها في التعبير القياسي عن الظواهر والمفاهيم والأمراض والمتلازمات ، قد تعجز عن الاتيان بمثلها اللغات الأوروبية • من ذلك ، مثلاً ، مباحث الدم التي نحن بصدد مناقشتها •

فقد عرفت العربية الاسم واسم المصدر والمصدر والمصدر الصناعي ، وخصت كلا منها بدلالة خاصة (١٢) • وعرفت أيضاً صيغة (فعال) وصيغة (فِعَال) للدلالة على الوجع والمرض •

والمصدر الصناعي اسم أو حرف لحقته ياء النسبة مردفة بالتاء للاستدلال به عن الظواهر والمفاهيم والنظريات والعلل وغيرها • وقد عرفته العربية في لفظة (الجاهليَّة) منذ أمد بعيد •

فان كان المصدر يعبر عن حالة الفعل او الحدث ، وهو مجرد عن الزمان ،  
فان المصدر الصناعي يعبر عن الكيفية التي يكون عليها الأسم او الحرف ، من  
حيث طبيعته وبنائه ودلالته وعلله • وبذا فهو يتجاوز الوصف الشكلي  
الظاهر الى ما هو ابعد غورا في مجال الفكر والنظرية والتعليل •

فان انت ذكرت ، مثلا ، لفظة ( نِسْبَة ) فسوف يخطر ببالك مصدر  
الفعل ( نَسَبَ ) الذي يصف الحدث • وان قلت ( نِسْبِي ) لنسبت الى هذا  
الحدث واجعلت من النسبة وصفا ظاهرا لشيء ينطوي على ( نِسْبَة ) • اما  
ان قلت ( نِسْبِيَّة ) لتبدل حال اللفظة ودلالاتها تبدا جوهريا ، ولا نصرف  
الذهن الى تصور مفاهيم او افكار او نظريات او تعليقات بعيدة الغور •  
وهو ما يجعل من المصدر الصناعي اداة اصطلاحية بليغة للتعبير عن الظواهر  
الطبيعية والحياتية والطبية • هذا فوق ما يتميز به من خصائص قياسية  
ونموذجية في التعبير الاصطلاحي والرمزي ، بعيدا عن الصور السردية  
المرهلة •

ولعل الدارس المتطلع الى الجديد ليس بحاجة الى برهان بان عبارة  
( دُمَائِيَّةُ الْكِلسِ الْمُقَرِّطِ ) و ( دَمِيَّةُ الْكِلسِ الْمُقَرِّطِ ) لافضل  
من عبارة ( كِلْسِيَّة ) الاعجمية ، ذات الدلالة العربية الغامضة • بل  
ولعلها افضل من عبارة ( قَرَطُ الْكِلسِ فِي الدَّمِ ) •

وسبب هذا التفضيل ان العبارة القياسية السابقة قد صيغت بالاسلوب  
الاصطلاحي الرمزي المكتنز الذي يوافق الذاكرة البشرية ويناسب صناعة  
المعجمات والقواميس والحاسوب ، بينما تناسب العبارة الثائية الشروح  
والمتون والتعريفات الخاصة بتحرير الكتب والمقالات •

ولكل تلك الميزات النادرة للمصدر الصناعي ، فانه يفضل على اللواحق  
الاسمية الاوربية من نحو : ( ism , sis , ia , y , ation ) والتي لا تعبر إلا  
عن مصدر الفعل فقط ومن غير تخصيص او تعليل • كما انها لا تميز — بذاتها —

بين الظاهرة الحميدة والظاهرة المرضية ، او بين الحدث ونتائجه .  
 والتميز الوحيد الذي تظهره لا يتصل بذاتها وانما بالمقطع الذي تلحق به ،  
 سواء أكان حشوة (infix) او سابقة (prefix)

واستعمال اللواحق الاسمية الاوربية كان وما يزال فوضى في صناعة  
 المصطاح الاوربي . فلو اخذت المصطلحين (hypogonadia) & (hypernatremia)  
 لوجدتهما يتفقان في المعنى مع اختلاف اللاحقتين . وبعكس ذلك ، فقد  
 تختلف دلالة اللاحقة الاسمية الموحدة باختلاف الجذر الذي يلحق بها ،  
 بحيث يتعذر على القارئ ، ومهما بلغت قدراته المهنية والتخصصية ، ان يدرك  
 معنى المصطاح من مجرد التطلع الى هيئته ، بخلاف المصطاح العربي . واليك  
 هذه الامثلة :

- |                  |                                       |
|------------------|---------------------------------------|
| synthesis        | (١) تَخْلِيْق • تَرْكِيب              |
| hemolysis        | (٢) حَلَّ الدِّم ، اِنْجِلَالُ الدِّم |
| hyperidrosis     | (٣) فَرَطُ العَرَق • رَحَضَاء         |
| lipidosis        | (٤) شَحَام                            |
| hypervitaminosis | (٥) فَرَطُ الفَيْتَامِين              |
| mycosis          | (٦) فُطَار ، داء "فُطْرِي             |

فمن ينظر مليا في المصطلحات الانكليزية هذه لا يسعه ان يعرف ، من  
 هيئتها ، ايا منها يعبر عن الظاهرة العلمية المألوفة او المرض الويل او الوجع  
 العابر او المتلازمة مالم يستشر المصادر الطبية او الكيميائية ، بين الحين والآخر  
 لكونها عرضة للنسيان ، بالرغم من وجود العلامة الفارقة المزعومة ( sis )

والمصطلحي العربي له من حرية التعبير والتصرف ما يمكنه من نقل  
 المصطلح الانكليزي الواحد الى العربية بعدد من الدلالات العلمية المتميزة ،  
 باستعمال الصور والابنية الصرفية العربية العديدة .



فلظفة (lipidosis) مثلا ، قد تنقل الى العربية باربعة مستويات  
او افواع من الدلالات المتخصصة هي :

- (١) دلالة تشير الى ظاهرة علمية بسيطة ، بصرف النظر عن تعليلها او  
تنظيرها ، وذلك باستعمال المصدر العادي ( تَشَحُّم ) •
  - (٢) دلالة تشير الى مفهوم علمي عميق الغور مع تعليلاته ونظرياته ، وذلك  
باستعمال المصدر الصناعي ( تَشَحْمِيَّة ) •
  - (٣) دلالة تشير الى مرض او علة والاكتفاء بوصفها الظاهر ، باستعمال  
صيغة ( شَحَام ) •
  - (٤) دلالة تشير الى مرض او ظاهرة مرضية او متلازمة مع توكيد اسبابها  
واعراضها وعلاجها ، باستعمال صيغة المصدر الصناعي ( شَحَامِيَّة ) •
- ونحن لو طبقنا هذا الاسلوب على مصطلح ( المعجم الطبي الموحد ) وهو  
(hypernatremia) وشقيقه المصطلح (hypernatremic dehydration)  
المنقود ، لقلنا في الاول :

- (١) فَرَطٌ صوديوم الدِّم •
- (٢) دَمِيَّةُ الصوديومِ المَقْرَطِ •
- (٣) دُمَاءُ الصوديومِ المَقْرَطِ •
- (٤) دُمَائِيَّةُ الصوديومِ المَقْرَطِ •

اذأ ، فأمام أصحاب ( المعجم ) اربعة خيارات للتعبير عن ذلك المصطلح .  
وقد يروق لهم ، ومن منطلق طبي مهني ، المصطلحان الثالث والرابع • اما  
المصطلح الثاني الشقيق فيعبر عنه بان تتقدم لفظة ( تَجْفاف ) المصطلحات  
الاربعة •

لقد جرى تطبيق هذه المنهجية القياسية على عدد كبير من مصطلحات الكيمياء ولعلي اذكر هنا التسميات المنهجية للمصطلحات الواردة في الصفحة ( ) من المقالة ، مكتفيا بالجانب السريري فقط ، على سبيل الترجمة :-

**carboxyhemoglobinemia**

دُمَاءٌ أُكْسِيَّ يَحْمُورِ الكربون  
دُمَائِيَّةٌ أُكْسِيَّ يَحْمُورِ الكربون

او على سبيل التعريب :

**carboxyhemoglobinemia**

دُمَاءٌ كَرْبُوكْسِيَّ الهيموغلُوْبِينِ

1 2 3

2 1 3

دُمَائِيَّةٌ كَرْبُوكْسِيَّ الهيموغلُوْبِينِ

2 1 3

**hyperglycinemia**

دُمَاءٌ الْغَلَايْسِينِ الْمُفْرَطِ

دُمَائِيَّةٌ الْغَلَايْسِينِ الْمُفْرَطِ

**hypercholesterolemia**

دُمَاءٌ الْكُولِيَسْتَرُولِ الْمُفْرَطِ

دُمَائِيَّةٌ الْكُولِيَسْتَرُولِ الْمُفْرَطِ

**hypercalcemia**

دُمَاءٌ الْكِلْسِ الْمُفْرَطِ

دُمَائِيَّةٌ الْكِلْسِ الْمُفْرَطِ

دُمَاءٌ الْيُوتَاسِيُومِ الْمُفْرَطِ

**hyper ka'e mia**

دُمَائِيَّةٌ الْيُوتَاسِيُومِ الْمُفْرَطِ

1 2 3

1 2 3

وحين يتفحص القاريء الكريم هذه التسميات المنهجية سيجد عباراتها بسيطة وموحدة ومميزة وعلى نسق واحد مُنْتَظِمٌ . كما ان دلالاتها

الكيميائية السريرية مفهومة وواضحة لا تحتمل اللبس والاشتراك . وهي فوق ذلك ، تستجيب لاصول وإجراءات الفهرسة العربية السريعة ، بعكس مقابلاتها العشوائية ، لكي تناظر الفهرسة الانكليزية .

dextrogyration

\* تَيَامُن

dextrorotatory

\* مَيَمَّن

من اكثر الاغلاط شيوعا في صناعة المصطلح العلمي العربي الاتجاه نحو اختصار عدد الدلالات العلمية نتيجة لاسقاط بعض مقاطع المصطلح الاجنبي بذريعة الاقتصاد في التعبير .

ولقد وجدت معظم المعجمات العربية تأخذ بهذا الاسلوب الذي لا يخلو من ضرر . وقد يكون ، احيانا ، شديد الخطر ، إن كان ما ينقل الى العربية اسماء اجهزة او مواد كيميائية او عقاقير طبية ذات خطر مباشر على حياة الانسان .

وفي الحقيقة ، ان اختزال عدد المقاطع واسقاط دلالاتها من الاسماء المترجمة الى العربية يعد اخلالا بالمنهج وخروجا على قواعد علوم اللغة والمصطلح ، ان لم يكن تجاوزا على الامانة العلمية التي تعد الركن الاساس في صرح البحث العلمي .

وسبق لنا ان اشرقا الى هذا المشكل الاصطلاحي حين تناولنا مسألة اسقاط العلامات الدلالية الفارقة (٦) .

ولعل القراء الكرام يتذكرون جيدا مصطلحا شائعا هو (electrode) . ومشتقاته الكثيرة ، وكيف سلبه الارتجال العشوائي صفته الوحيدة التي تميز بها عن اقارنه ، حين دعوه (قُطْب) تارة و (مَسْرَى) تارة اخرى ، باسقاط صفة (كهربائي) عنه . وكانت حجتهم المعتادة : الاقتصاد في اللفظ !

ولم يسلم الاوريون ، على تظاهرهم بالمنهجية ، من الوقوع في هذا الخطأ ، حين قالوا ( dynode ) و ( diode ) ، وهما ، من الاقطاب الكهربائية في الغالب •

لقد اصبح من مُعاد القول بان المصطلح انما ينقل من لغة الى اخرى على اساس القاعدة الذهبية القائلة : ( دلالة بدلالة ) • وان اي اخلال بها لابد ان يززع اركان صناعة المصطلح •

ولا يعني التقيد بهذه القاعدة ان ينقل المصطلح حرفيا الى العربية ، مقطعا بمقطع او لفظة بلفظة • فمثل هذا النهج يعد مضرة ، وبجميع انواعها •

فمصطلح مثل ( Co - Precipitation ) ، والمكون من لفظتين وبثلاثة مقاطع وبدالتين ، قد ينقل الى العربية بلفظة ( تَرَسَّب ) المفردة ، لكنها بدالتين متميزتين ، هما دلالة المشاركة ، وعلامتها صيغة ( تَفَاعَل ) الصرفية ، ودلالة الرُسُوب وعلامتها الفعل ( رَسَبَ ) •

و ( المعجم الطبي الموحد ) لم يسلم ، هو الآخر ، من الوقوع في اشكالية إسقاط الدلالات العلمية ، وبالتالي الاخلال بالمعنى الدقيق للمصطلح •

فقد أسقط الموصوف ( gyration ) و ( rotatory ) من المصطلحين المنقودين واحتفظ بالصفة فقط وهي ( dextro— ) • ومع ان المصطلحين متماثلان في المعنى العام ومتقاربان في الدلالة الخاصة فقد دعا الاول ( تَيَامُن ) والثاني ( مَيَامِن ) وهما مترادفان ، حتى باختلاف الصيغة الصرفية • ولسنا نعلم لِمَ عبر بهما عن السابقة ( dextro— ) وبكيفية منهما واحدة • ولعله كان يرى تباين المصطلحين حتى اختار لهما زتتين مختلفتين ، مما اوقعه في خطأ آخر •

وكان ( قاموس حتي ) قد اقترح عبارة ( دَوْرَانْ أَيْمَنْ ) الى جانب ( مَيَامِنْ ) ولا بأس من أن تضاف اليها عبارة ( تَدْوِيرْ "مُتَيَامِنْ" ) و ( دَوْرَانْ "مُتَيَامِنْ" ) .

**dextrophobia** \* رُهابُ اليمين

هذه التسمية لا غبار عليها من الناحية الفنية ، لكنني لاراها مناسبة . فهي عرضة للالتباس . فكثير من الناس ، ومنهم الاطباء ، من تنصرف اذهانهم نحو الرهبة من حلف اليمين او القسم . وكان ( قاموس حتي ) قد دعاها ( رهبة أيمينية ) ، وهي عبارة سليمة ايضا . وارى ان عبارة ( رُهابُ التيامن ) عبارة دقيقة ولا تحتمل اللبس .

**EDTA** \* إيديتات

حين قرأت لفظة ( إيديتات ) لتقابل ( EDTA ) سرح بي الخيال في ارجاء المنهجيات العربية العديدة لعلني اعثر فيها على اساس منطقي بنيت عليه هذه التسمية الكيميائية الغريبة ، فلم يحالفني النجاح . ومما أثار حيرتي وجود حرف ( التاء ) في خاتمة المصطلح الرمزي ، وهو عند الكيميائيين رمز للاملاح والزاجات في الغالب ، في حين عرّفها ( المعجم ) بكونها حامِضاً عضوياً .

ولست اعلم ، حتى الساعة ، الاساس اللغوي الاصطلاحي الذي اقيم عليه صرح هذا المصطلح . وحسبته من اغلاط طباعة الحاسوب الذي يُزَعَمُ انه لا يعرف الغلط ! .

ولقد اكتشفت ، من قراءتي في مصطلحات ( المعجم ) ، ان اصحابه لهم مذهب إصطلاحي خاص في نقل الرموز الانكليزية الى العربية وتلفظها ، وكأنها كلمة تامة ، حتى وان خلت من حروف العلة . فقد قالوا في ( DNA ) دَنَّا ، وفي ( RNA ) رَنَّا ، علما بان الانكليز ، انفسهم ، لا ينطقونها هكذا ، وانما حرفا حرفا ، هكذا : ( دي ان أي ° ) .

و ( الايديتات ) هذه رمز من حروف البدء لاسم المادة الكيميائية المعروفة ( ethylenediaminetetraacetic acid ) وترجمته العربية المنهجية ( أثيلين ثنائي الأمين رباعي الحامض الاسيتي ) ورمزه بالعربية ( أشرح ) وبالانكليزية العربية ( إي دي تي أي ° ) •

### \* EIA ( Enzyme Immuno Assay ) ( المقياسية الأنزيمية المناعية )

لدينا على هذه التسمية المرموزة ملاحظتان ؛ تختص الاولى برسمها بحروف لاتينية وهي تنقل الى اللغة العربية ، بينما تختص الثانية بالتسمية العربية المحصورة بين قوسين •

ومما يبعث على الدهشة والتساؤل إقدام اصحاب ( المعجم ) على نقل هذا الرمز الانكليزي وغيره الى العربية بحروف انكليزية ، وكأن اللغة العربية غير معينة بفن الترميز ، وهذا كتاب الله العزيز قد افتتح عددا من السور الكريمة برموز عربية محكمة البناء وشديدة الوقع في نفوس البشر • والواقع انه ما من قرار او توصية او منهجية عربية قد اجازت هذا الاسلوب الغريب في الترميز •

ومما هو جدير بالتنويه ان التعبير عن الرموز العلمية بالعربية لم يعد معضلة تشغل البال ، فقد كتب فيها الكثير من المقالات ( ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ) •

اما ملاحظتنا على التسمية العربية ذاتها فتتعلق بضعف صياغتها واختلال مقاطعها • وهي مسألة اصطلاحية لا تُعرَفُ الا بمعرفة طبيعة المقياسية ( assay ) واسلوب التعبير عنها باللغتين العربية والانكليزية •

ويظهر لنا التحليل الدلالي للعبارة الانكليزية المذكورة وجود ثلاثة الفاظ بثلاث دلالات ، حيث تمثل اللفظة الاخيرة ( assay ) الموصوف الذي سبقته ، مباشرة ، صفته الرئيسية وهي ( immuno- ) ثم اضيفت الصفة والموصوف الى لفظة ( onzyme ) التي تعد ، بدورها ، الصفة الثانوية •

فتصبح الصيغة النهائية للمصطلح العربي : ( مَقايِسةٌ مَناعِيَّةٌ خَميرِيَّةٌ )  
 وليس العكس ، كما وردت في ( المعجم ) . وسبب ذلك واضح ، اذ ان هناك  
 انواعا من ( المَقايِسات المَناعِيَّة ) منها ( المَقايِسة المَناعِيَّة الاشعاعِيَّة )  
 و ( المَقايِسة المَناعِيَّة الكهربيَّة ) .

اما الرمز العربي المقترح للتسمية العربية ، والبديل عن الرمز الانكليزي  
 فهو ( ق م خ ) في مقابل ( EIA ) ، وهي حروف البدء من الفاظ المصطلح  
 العربي المذكور .

\* إِسْتِيزان ، مَوَازَنة equilibration

\* مَيَزَنة . مَوَازِنة equilibrator

تتميز اللغة العربية بصفات فريدة قلما حظيت بها لغة اخرى في العالم ،  
 وهي وجود هذا العدد الكبير من الاوزان الصرفية التي بلغت المئات . وكل  
 زنة منها اختصت بمعنى معين . فقد ينقل الفعل الانكليزي البسيط الى العربية  
 على صيغ فعلية كثيرة للتعبير عن دلالات مختلفة .

فلفظة ( equilibration ) مثلا ، هي مصدر للفعل الانكليزي  
 ( equilibrate ) ، ويقابلها بالعربية لفظة ( مَوَازَنة ) . وقد جاءت  
 بصيغة التشريك ( مُتفاعله ) لمقابلة ( equi ) ، وهي صيغة سليمة  
 لفظيا ومعنى .

لكن ( المعجم ) ذكر الى جانبها لفظة إِسْتِيزان ( وجعلها مرادفة  
 لكلمة ( مَوَازَنة ) ) .

ولفظه ( استيزان ) مصدر للفعل المزيد ( اسْتَوَزَنَ ) . والمعروف ان  
 زنة ( اسْتَفْعَلَ ) تخدم ستة اغراض ، منها الطلب والتحول والتكلف  
 والمطاوعة . ولكن ليس بينها التشريك الذي قصده ( المعجم ) ( ٨ ) ، لذا فهي  
 لا تصلح مرادفا لكلمة ( موازنة ) .

اما لفظة ( equilibrator ) فهي في الاصل اسم آلة او جهاز  
او وسيلة لصنع التوازن . ويكفي القول فيها ( موازنة او موازن ) .  
وذكر ( المعجم ) لفظة ( ميزنة ) وجعل منها معنى ثانيا للمصطلح الانكليزي  
المذكور . ولنا نعلم كيف سيتوصل القاريء الكريم الى معنى هذه اللفظة  
العربية وهي مجهولة الاصل ، وقد انكرتها امهات المعجمات العربية . كما  
انكر معجم ( وبستر ) الدولي ما يقابل هذه الكلمة باللغة الانكليزية .

\* مُتساوي الموليّة equimolar

هنا ايضا لدينا ملاحظتان على التسمية، احدهما تتعلق بلفظة (متساوي)  
والثانية بلفظة ( المولية ) .

لفظة ( متساوي ) اسم فاعل من الفعل ( تساوى ) . ولهذا الفعل  
بضعة اغراض منها التشريك بين اثنين فاكثر . فيكون كل منهما فاعلا في  
اللفظ مفعولا في المعنى (٨) ، وهو الغرض الذي قصده ( المعجم ) من المصطلح  
المذكور ، دون سواه . لكن صياغته جاءت غير دقيقة .

وللتحقق من دقة الصياغة ، نذكر هذه الامثلة البسيطة : ( تساوى وزن  
الذهب ووزن الاثقال ) ، و ( وزن الذهب ووزن الاثقال  
متساويان ) . اي انهما ( متساويان بالوزن ) او ( متساويان الوزنين ) .  
اما اذا كان المخاطب بفعل المشاركة مفردا ، عندئذ يقال : ( الذهب متساوي  
الاثقال بالوزن ) و ( الذهب مساو الاثقال بالوزن ) ، وذلك باللجوء  
الى الفعل ( ساوى ) .

ولصيغة ( تفاعل ) غرض آخر مرافق للتشريك وهو مطاوعة الفعل .  
لكن لاستعماله شروطا وحدودا . نحو قولنا : ( ساوى الذهب الاثقال ،  
فتساوى ) ، اذا فهو ( متساو ) .

لقد وجدت هذا الضرب من التعبير منتشرا في المعجمات المتداولة ، وهو  
الخلط بين التشريك والمطاوعة .



، اما مصطلح ( mole ) فهو من المصطلحات التي اختصت بها علوم الكيمياء والفيزياء اكثر من غيرها • ونقلت الى العربية بلفظة ( جُزَيء ) اختصارا لعبارة ( وَزَنٌ جُزَيئي ) او ( وَزَنٌ جُزَيئي غَرامي ) • ثم نقلت الى العربية بلفظة ( مول ° ) لعالميتها •

لنعد ، الان ، الى مصطلح ( equimolar ) ، فنقول : انه يختص بمادتين فاكثر ، من حيث تساوي اوزانها الجزيئية الغرامية ( مولاتها ) او تساوي تراكيزها الجزيئية ان كانت من المحاليل • وهو ما يطلق عليه في الكيمياء بـ ( الجُزَيئيَّة ) • وقد ذكرت بصيغة المصدر الصناعي ، تعبيراً عن ( molarity ) • وقد تسمي ، احيانا بـ ( الجزيئية ) •

ولفظه ( مولِيَّة ) التي اختارها ( المعجم ) لتقابل ( molarity ) ليست دقيقة الدلالة وتحتل اللبس والاشتراك مع شقيقتها ( molarity ) وكلتاها تختصان بالمحاليل • اذ من المحتمل ان تسقط المعجمات العربية في شراكها فتسميها ( مولية ) ايضا ، مع اختلافهما الشديد في المعنى • ولقد حاول بعض الكيميائيين الخروج من المأزق فدعا الاولى ( مولاريَّة ) والثانية ( مولاليَّة ) على سبيل التعريب اللفظي •

اما التسمية المنهجية الدقيقة المقترحة لمصطلح ( المعجم ) فنذكرها بالعبارات الاتية :-

في المعنى الاول : موادٌ مُتساوياتُ الجُزَيئات او موادٌ متساوياتُ المولات •

في المعنى الثاني : محاليل متساويات الجُزَيئيَّات او محاليل متساويات المولاريات •

وقد اتخذت لفظة ( جزيئاني ) لتقابل ( molar ) بدلا عن جزيئي • اما للتعبير عن مادة واحدة فيقال :

في المعنى الاول : مادة "مساوية" الجزئيِّ او مادة "مساوية" الجزئيِّ  
وفي المعنى الثاني : محلول "مساوي الجزئائي" او محلول "مساوي  
الجزئائي" .

واما على سبيل التعريب فيقال :

مادة "مساوية" المولِّ او محلول "مساوي المولاري" .  
وظهور الحركات على ( المول ) جاء للايضاح ، لان الاغلبية تسراه  
ممنوعا من الصرف .

erythrocythemia

\* كثرة حُمُر الدَّم

erythrocyte

\* كَرِيَّةٌ حمراء

لو تفحص القاريء هذين المصطلحين لاكتشف الخلل الاصطلاحي فيهما  
من غير غناء ، وهو اختفاء ما يشير الى دلالة ( cyte ) من المصطلح العربي  
الاول وظهوره في الثاني ، علما بانهما متماثلان في الاصل الدولي .

والخلل المشار اليه يكاد يكون سمة مشتركة بين معجمات عربية كثيرة .  
وعلته ، كما المجنا اليه مرارا ، غياب المنهج الواضح ، الثابت والدقيق لنقل  
المصطلح بكامل هيئته ودلالاته ، وعدم التفريط بأي جزء منه ، وهو ما يعد  
احد اركان البناء الأُسري للمصطلحات .

ولعل الشيء بالشيء يذكر ، فقد يلاحظ القاريء الكريم ان ( المعجم )  
قال : ( كثرة حُمُر الدَّم ) لمقابلة ( erythrocythemia ) ولم يقل :  
( سائِمِيَّة حمراء ) او ( كَرِيَّة حمراء ) متجارية لطريقته الخاصة ،  
حين قال : ( فَرَط الصُّودَمِيَّة ) ( hypernatramia ) . ( انظر في  
الصفحة ٣١٢ ) .

ether

\* أثير

etherification

\* أَثِيرَة

etherization

\* التَّخْدِيرُ بِالْأثير

تحدّر لفظة ( ether ) من أصل لاتيني ثم انتشرت الى اللغات الأوروبية ومنها الى اللغة العربية . ومعناها في الاصل ( يتقد او يتأجج ) ، وبالاستعمال الطويل صار لها عدد من المعاني المختلفة ، احدهما اسم ذلك العنصر الفيزيائي والفلسفي المطلق الذي يملأ فراغ الكون ، وفُسرَت به بعض الظواهر الطبيعية . واطلقوا الأسم ، ايضا على المركب الكيميائي المعروف الذي اتخذ منه الاطباء مادة للتخدير . ولقد عرف الفلاسفة العرب هذا المصطلح بلفظة (أثير) ، بتقديم (الثاء) على (الياء) .

وقام (المعجم) بمجازاة هذه التسمية التراثية من غير ان يتنبه الى ما قد تسببه من التباس بين المعنيتين . كما اغفل التزام الكيميائيين ، عامة بالمحافظة على الفاظ وتسميات العناصر والمركبات الكيميائية كما رسمها (الايوپاك) حتى وان نقلت الى جميع اللغات .

و(الايوپاك) ينطق ether بتقديم (الياء) على (الثاء) ، لا العكس . وهي تسمية مناسبة للتمييز بين المعنيين المذكورين .

اما اتخاذ لفظة (أثيرَة) مصدرا لمقابلة ( etherification ) ومعناها تحويل المادة الى (إثير) ، كيميائياً ، فهو اسلوب عقيم ووعر المسالك لافتقاره الى القاعدة اللغوية العربية ، وللاختلاف الشديد ، بين اصول اللغة العربية ، كلغة اشتقاق واصول اللغة الانكليزية ، كلغة الصاق . لذلك جاءت معظم المشتقات العربية من اللغات الاوربية ثقيلة على اللسان العربي ، حتى ملها الدارس العربي وقر من التعليم بالعربية ، او كاد .

ولقد برهن ( المعجم ) نفسه على عقم هذا الاسلوب حين عجز عن  
 الاشتقاق من المصطلح الشقيق ( etherization ) • فبدلاً من ان يجاري  
 المصطلح الاول ليقول : ( أَيُشْرَزَة ) (!) قال بلغة عربية سليمة : ( التخدير  
 بالاثير ) •

ومما يلفت النظر ان ( المعجم الطبي الموحد ) يُعَدُّ من انصار الاشتقاق  
 من الالفاظ الاجنبية • فحتى الالفاظ الانكليزية البسيطة التي لها معان  
 واضحة في اللغة العربية ، لم تسلم من قلمه •

فقد دعا ( dialysis ) ( دِيَال ) و ( دِيَلِزَة ) ، مع العلم بان لفظة  
 ( تَنَافُذ ) العربية تنطبق تمام الانطباق على المصطلح المذكور ، بناء ودلالة •  
 ففي صيغتها الصرفية يكمن معنى المشاركة والتبادل والتفاضل والتتابع  
 والتجزئة ؛ لمناظرة دلالة السابقة اللاتينية ( dia— ) • والمصطلح من الناحية  
 العلمية التطبيقية ، يعني ( ثَقُوذ ) مواد كيميائية معينة ( يوريا مثلاً ) من  
 خلال غشاء شِبْه مُتَنَفِّذ ، وعدم قهوذ مواد اخرى ( كَرَيَّات الدم مثلاً ) ،  
 باستعمال محاليل خاصة ، وهي العملية التي تحصل في الكلية الطبيعية  
 والكلية الصناعية •

فهل ، يا ترى ، هنالك مفردة دخيلة او معربة ابسط وابلغ وافصح من  
 لفظة ( تَنَافُذ ) العربية ؟!

ethomoxane

\* ايثوموكسان

ethoname

\* ايثونام

ethopropazine

\* ايثوبروبازين

هذه المصطلحات الثلاثة هي من الادوية التي ضم ( المعجم ) عندئذ لا  
 يستهان به منها • ومعظمها اسماء وعلامات تجارية لمركبات كيميائية لها اسماء  
 موحدة ، على نطاق العالم •

ووضع العلامة التجارية قد يختلف بين بلد وآخر ، او بين شركة واخرى حتى في البلد الواحد . وهي عرضة للزوال ، بعد حين ، اذا ما فقدت اهميتها واستبدلت بغيرها . وكان على لجنة ( المعجم ) ان تكتفي بذكر الاسم العلمي للدواء لثباته ، ان وجدت هذا الاجراء مفيدا للقاريء .

ومن وجهة نظر علوم المصطلح ، يعامل الاسم التجاري للدواء معاملة أسماء الاعلام لكونه ثابتا لا يتغير الا بتغير احوال المسمى . فهو موحد في جميع اللغات ولا تجوز ترجمته ، والا لفقد عكسيته وهويته .

فوجود الاسم التجاري بين مفردات ( المعجم ) ، اذاً ، لا يفيد القاريء في مجال الاصطلاح العلمي وانما تنحصر الفائدة في مجال الاعلام الدوائي . خذ مثلاً دواء ( ايثوموكسان ) فما الذي تغير في رسمه ونطقه عن الاصل الانكليزي ؟!

ولما كانت لاسم الدواء التجاري خصائص عكسية ثابتة ، فلا يجوز ايضاً ، التغيير في رسمه او استبدال حروفه بحروف اخرى ، على طريقة قدماء العرب ، مثلما حصل لاسم ( ايثوبرو بازين ) ، حيث استبدل حرف ( الپاء ) المثلثة بحرف ( الباء ) الموحدة . فمثل هذه الخطوة قد تقود الى الالتباس والتخليط بين الادوية المتشابهة بالاسماء ، اثناء التداول او التوثيق ، مع ما قد يصاحب ذلك الاجراء من خطر اكيد . وكان على اصحاب ( المعجم ) ان ينقوا على حرف ( الپاء ) لاسيما وان معظم مجامع اللغة العربية اجازت استعمال حروف اضافية في الابجدية العربية مثل ( چ وف وگ وپ ) ، وفي مقدمتها المجمع العلمي في جمهورية العراق ( ١٦ ) .

فللاسباب السابقة نرى ان ترفع اسماء الادوية التجارية من متن ( المعجم ) وان شاء اصحابه غير ذلك ، فبأماكنهم وضعها في مسرد خاص بها في خاتمة ( المعجم ) ضمن ملاحقه ، على ان تردف باسمائها العلمية ومواصفاتها ومحاذيرها .

evacuate

\* يُقْرِغْ

evacuation

\* تَقْرِيف

هذان المصطلحان هما اوضح مثال على التذبذب والتساهل في استعمال الاوزان الصرفية في بناء المصطلح . وكنا ناقشنا هذه المسألة باسهاب في الصفحة (٣٠٩) .

فقد عبر ( المعجم ) عن الفعل الافكليزي (evacuate) الذي يوحى للقاريء باستعمال بعض القوة الالية في استخراج الهواء من الوعاء الذي يحتويه ، وذلك بالفعل المتعدي ( أَقْرِغْ ، يَقْرِغْ ، إِفْرَاغ ) ، ومعناه ( أَخْلَى ) ، واصله من الفعل البسيط اللازم ( قَرَعَغْ ) بمعنى ( خَلَا ) .

وكان على ( المعجم ) ان يستعين بالفعل المضعف ، ( فَرَعَغْ ، يَقْرِغْ ، تَقْرِيف ) لاطهار معنى المبالغة في الفعل ، إن كان هذا هو غرضه من التسمية . والملاحظ انه قد فعل ذلك من غير ان ينتبه الى الامر حين قال : ( تَقْرِيف ) في المصطلح الثاني لمقابلة ( evacuation ) .

والتجوال الحر بين الاوزان الصرفية العربية لصناعة المصطلح ينبغي ان يكون على وفق خطة دقيقة ومرسومة ولغرض اصطلاحى محدد .

ومن المعروف ان لكل صيغة صرفية غاية محددة ومعنى خاص . فمتى ما اختار صاحب المصطلح صيغة صرفية معينة ، فان عليه الالتزام بها في جميع مشتقاتها ، فلا يبدلها باخرى ، الا لسبب اصطلاحى وجيه .

exa

\* ايكزا ( 10 قوة 18 ) ،

مشكل التعبير عن الاعداد الكبرى والصغرى باللغة العربية من المشكلات الاصطلاحية المزمنة التي تغافل عن معالجتها العلميون واللغويون على حد سواء . وقد طرحت على بساط البحث اكثر من مرة من غير ان يتخذ بشأنها قرار حاسم .

والواقع ، ان قدماء العرب كانوا عرفوا بعض الاعداد الكبيرة والصغيرة .  
فقد قالوا ( ألف ألف ) في مقابل ( المليون ) ( milli + illion ) والتي تعني في  
اللاتينية ( ألف ألف ) ايضا . كما عرفوا ( العَشْر ) و ( المِئْثَر ) كأصغر  
عدد مألوف لديهم .

ولم تكن للعرب ، ايامئذ ، حاجة ماسة لا بالاعداد الكبرى من فحو :  
( exa, peta, tera, giga, mega ) ولا بالاعداد الصغرى من امثال :  
( nano, micro, milli, centi, atto, femto, pico,

لكن الحال قد تغير ، فباتت متطلبات البحث العلمي بمرس الحاجة الى نظام  
عربي للاعداد يكون احد اعمدة التوثيق الاصطلاحي والمعجمية العربية  
المنشودة .

ولقد وفق المصطلحي الاوربي في استعارة اسماء الاعداد المذكورة من  
الاغريقية واللاتينية اليومية . ومعظمها الفاظ بسيطة ومألوفة مما يدل على  
معاني الكِبَرِ والصَّغَرِ ، فاتخذوا منها مصطلحات للعلوم .

ولا ظن بان اللغة العربية عاجزة عن امداد العلماء العرب ببضعة الفاظ  
مما يدل على الكِبَرِ والصَّغَرِ ، وهي اللغة المعرفة بشراء مفرداتها وسعة  
قواعدها .

لذا فنحن نضع هذا المشكل الاصطلاحي امام المؤسسات اللغوية والعلمية  
لدراسته دراسة جد وتحد ، في عالم لا يعرف سواهما .

\* مبادِلُ الأنيونات ، مبادِلُ الصواعِدِ exchanger, anion  
توحيد المصطلح العلمي العربي غاية سامية ، طالما سعى اليها العلميون  
والمعجميون العرب . وكان من اوائل من قدر اهميتها ( المعجم الطبي الموحد )  
نفسه حين زين بها العنوان .

لكن من يستعرض مفردات ( المعجم ) يكتشف ان عددا قليلا منها لا  
يخلو من المترادفات ، ومنها التسمية المذكورة .

وليست هذه التسمية المزدوجة مما يختلف فيه اثنان ، لبساطة تركيبها ووضوح دلالتها . فلا هي بالرمز العالمي ولا هي من اسماء الاعلام التي لا تستجيب الى الترجمة .

ونحن لو وضعنا العبارتين المترادفتين المذكورتين على طاولة التشريح الاصطلاحي ، لتوقفنا عند لفظة (الصَّوَاعِدُ) التي لا توحى الى دارس العلوم بمعنى سوى صفة (الصعود) ، ومن غير ان تكون لديه اية فكرة عن تلك الاشياء الصاعدة . فقد جاء المصطلح المذكور على هيئة ( صفة ) من غير ( موصوف ) . فقد ثقل ( المعجم ) الى العربية المقطع ( an- ) وأهمل المقطع ( -ion )

وكان الكيميائيون العرب قد عرفوا هذا المصطلح ، ومنذ عقود طويلة ، تحت اسماء : ( شاردة صاعدة ) او ( شاردة الصعود ) او ( أيون صاعد ) او ( أيون الصعود ) . لكن من اكثرها انتشارا وقبولا بين الكيميائيين هو ( الايون السالب ) او ( الشَّارِدَةُ السَّالِبَةُ ) ، المعروفة في بلاد الشام .

ولفظة ( الصَّوَاعِدُ ) إن جاءت بمفردها فقد تلتبس مع مصطلح آخر معروف بهذا الاسم ، ألا وهو ( stalagmite ) وهي تلك الاعمدة الكلسية التي تبدو للناظر وهي تصعد من قاع الكهوف نحو السقف .

\* مُطْلَقٌ "لِلْعَمَلِ" exergic

\* مُطْلَقٌ "لِلطَّاقَةِ" exergonic

ملاحظاتى عن هذين المصطلحين المتناظرين في المعنى واللذين يدوان لنا سليمين ، من حيث البناء ، ستكون عابرة وليست ذات خطر .

فالمعروف ان لحروف الجر اغراضا ومعاني خاصة بكل منها ، وفي مقدمتها حرف اللام . فمن اغراض هذا الحرف المتعددة معنى الاختصاص والنسبة ، كقولنا : ( البطولة للشهداء ) اي ان البطولة قد اختصت بالشهداء .



ولقد توسع كتاب العلوم في استعمال هذا الحرف وغيره من حروف ،  
حتى خرجوا به عن حدوده واغراضه المرسومة • فقد جاء في كثير من عباراتهم  
حرفا زائدا ، كما هو حال المثالين المنقودين حتى صار ، في بعض الاحيان ،  
مدعاة للالتباس في فهم المعنى المقصود ، لسعة مفهوم الاختصاص •

ففي هذا المثال : ( المُسَاعِدَةُ للطبيب ) ، لا يعلم المرء ان كانت  
المساعدة قد قدمت الى الطبيب نفسه ام الى مريضه ، مرضاة له •

وباختصار ، فان وجود حرف ( اللام ) في المثالين المنقودين مدعاة  
للارتباك والالتباس ، لذلك فرفعه من المصطلح خير من الابقاء عليه •

وعبارة ( مُطْلِقُ الْعَمَلِ ) او ( مُطْلِقُ الطَّاقَةِ ) من العبارات  
السلسلة الواضحة المعنى ، ذلك ان دلالة التخصيص الناجمة عن الاضافة  
تجعل من المضاف اكثر التصاقا بالمضاف اليه ، فلا ينصرف الذهن الى سواها  
من دلالات بعيدة ، كوجود ( اللام ) مثلا •

والعربية ، بعقريتها وقدراتها النادرة ، قد زودت الكاتب بادوات  
تعبيرية لا حصر لها ، منها استعمال صيغ اسم الفاعل بأساليب اخرى اشد وقعا  
في نفس القاريء حتى من العبارتين السابقتين ، كما هو الحال في عبارة  
( مُطْلِقُ الْعَمَلِ ) و ( مُطْلِقُ الطَّاقَةِ ) ، والمنتشرة في تحرير الكتب  
والمقالات اكثر من اقتشارها في لغة المعجمات •

لكن هنالك مواضع يكون فيها للحروف المختلفة وظائف اساسية لا يجوز  
اغفالها ، دفعا لأي التباس في المعنى •

خذ هذه العبارة ، على سبيل المثال : (bubble-separation method)  
فلترجمتها علينا ان نقول : ( طريقة الفصل بالفقاعات ) وليس ( طريقة  
فصل الفقاعات ) وذلك لان فعل الفصل لا يقع على الفقاعات وانما  
بواسطة • فحرف ( الباء ) هنا ، جاء للاستعانة ، ووجوده لازم لتستقيم العبارة

اما في هذه العبارة التي ترادف سابقتها : (bubble-tower method) فينبغي القول (طريقة بُرْجِ الفُتُتَاتِ) لا (طريقة البُرْجِ بالفتتات)، اذ لا حاجة للعبارة بحرف ( الباء ) ووجوده يشوه العبارة .

اما سبب الاختلاف فينصب على طبيعة كل من لفظة ( بُرْج ) ، وهي اسم عين من فعل لازم هو ( بَرَجَ ) ، ولفظة ( فَصَّل ) وهي مصدر لفعل متعدٍ هو ( فَصَّلَ ) .



في ختام هذه القراءة النقدية في معجم علمي عربي يُعَدُّ ، بصدق ، ثروة معجمية غنية ، قلما يجد القارئ ظييرا لها في عالم المعجمات والقواميس العلمية الحديثة .

وسبب ثرائه لا يقتصر على غنى ذخيرته من المفردات فحسب ، والتي ناهز عدد مفرداتها المائة والخمسين الف مفردة ، بشهادة اصحابه ، وانما يمتد الى سعة الموضوعات التي تناولها بالمسح والتنقيب والدرس .

وابلغ ما لفت نظرنا في منهج ( المعجم الطبي الموحد ) وخطظه ، اهتمام اصحابه ورعايتهم الكبيرة باختيار معاني المصطلح العربي ودلالاته الخاصة ، بالرجوع الى الاصول الاجنبية ، قديمها وحديثها ، والتحقق من دقتها قبل ان تنقل الى القارئ نقلا صادقا امينا .

وفي مجال استلهام التراث الطبي العربي والاسلامي ، وقطف ثمار ما غرسه السلف الصالح من الاطباء والحكماء العرب من علوم وفنون ومعارف ، يحتل ( المعجم ) مكان الصدارة بين نظرائه من المعجمات العلمية العربية ، وذلك بمحاولات اصحابه الحثيثة لترجمة المفردات اللاتينية واليونانية الى اللغة العربية ، تلك التي دعا البعض من العلميين الى الابقاء على عجمتها تحت ستار ( عالمية ) المصطلح .

اما الهفوات والسقطات التي اعترضت سبيلنا ، ونحن نطالع بعض مفرداته وعباراته المختارة ، فقد اقتضت على شروء بعض أسره الاصطلاحية عن المناهج القياسية المعتمدة دوليا او عربيا ، وهي ظاهرة شاذة لا تقتصر عليه فقط بل شملت معظم المعجمات العربية ، وكذلك التحرر من بعض القواعد والاصول العربية المعتمدة ، والالتجاء ، احيانا ، الى النحت والاقتراض من الدخيل والاشتقاق منه والقياس عليه •

ومع كل تلك الملاحظات العابرة ، سيظل ( المعجم الطبي الموحد ) يشغل المنزلة الرفيعة التي وصل اليها بجهود مؤلفيه الحثيثة الصادقة ، وبمساندة المؤسسات والهيئات الوطنية والقومية والدولية ، وبترحيب وتشجيع من الاطباء والكيميائيين ، بل ومن جميع العلميين العرب •

وحسبي من حصاد هذه القراءة المتأنية والجهد المتواضع الذي بذل فيها ، أن ارى الطبقات القادمة وهي خالصة من كل ما يشوبها من هفوات ، ليقف ( المعجم ) على قدم المساواة مع المعجمات الطبية الدولية المرموقة •



## المراجع

- (١) قاسم ساره ، تعريب المصطلح العلمي ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٩ ، ع ٤ ، ١٩٨٩ ، ص ٨١ .
- (٢) المؤلف ، نقد مشروع معجم المصطلحات الكيميائية الموحد ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، ع ٥١ ، ١٩٩٦ ، ص ٢١٣ .
- (٣) المؤلف ، مناهج المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، ع ٣٧ ، ١٩٨٩ ، ص ١٢١ .
- (٤) المؤلف ، مشكلات المصطلح الكيميائي العربي ، المحاضرات العامة في جلسات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٩ .
- (٥) صادق الهلالي ، تطوير منهجية وضع المصطلحات العلمية ، مذولة شخصية مع المؤلف .
- (٦) المؤلف ، « المعجم الكيميائي الجامعي » مخطوط معد للطبع ، منشورات جامعة بغداد .
- (٧) 7 - Emil.L. Smith, et al " Principles of biochemistry, McGraw - Hill Co., 1976, P. 539.
- (٨) احمد الحملاوي « شذا العرف في فن الصرف » ، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢ .
- (٩) ابراهيم مصطفى وجماعته « المعجم الوسيط » المكتبة العلمية ، طهران ، بلا تاريخ ، مادة عاض .
- (١٠) يوسف حتي « قاموس حتي الطبي » ، ط ٣ ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٧ .
- (١١) مجيد عبدالحليم الماشطة ، كيف تجعل تعلم اللغات الاجنبية ... وقائع مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧٦٣ .
- (١٢) مصطفى الفلايني « جامع الدروس العربية » المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ١٨ .
- (١٣) مجمع اللغة العربية الاردني « مشروع مجمع اللغة العربية الاردني للرموز العلمية والعربية » ١٩٨٥ .
- (١٤) المؤلف ، مشروع مجمع اللغة العربية الاردني للرموز ... مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٢ ، مج ٣٩ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢٦ .
- (١٥) احمد سعيدان ، نحو نظام عربي للرموز العلمية ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، مج ٣٠ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٩ .
- (١٦) المجمع العلمي العراقي ، خلاصة اعمال لجنة الاصول ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٠ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٤ .

# الاتصال الحضاري والتغير الاجتماعي

## للجماعات الاثنية

### — دراسة تطبيقية عن جماعات الفجر في العراق —

اعداد

الدكتور مزاحم جاسم مجيد الاشعب

#### المقدمة

لم تعد الحياة التقليدية لاية جماعة من الجماعات سواء المحلية او الاثنية «العرقية» او اي جماعة اخرى ، قادرة على مقاومة عوامل التغير . فالجماعات في حالة مستمرة من التغير . ولكن درجة هذا التغير وأسلوبه يتفاوتان من مجتمع لآخر ، هناك جدل واسع بين الاثروبولوجيين وكذلك الاجتماعيين حول أسباب وعوامل تغير تلك الجماعات ، منهم من أشار بأن تغير هذه الجماعات ناتج عن دوافع ومؤثرات خارجية متمثلة بالاتصال والاحتكاك بين هذه الجماعات والجماعات الاخرى ، وما ينشأ عن هذا الاتصال من استعارة أو انتشار عناصر ومركبات حضارية من مجتمع لآخر ، في حين اوضح اخرون بأن التغير يصدر عن دوافع تنشأ داخل حضارة الجماعة نفسها ، وما المؤثرات الخارجية الا عوامل مساعدة او معجلة للتغير ، أي أن التغير يحدث عن طريقة الاختراع والاكتشاف .

لقد أصبح التكامل بين الحضارة والاتصال اكثر وضوحا من قبل ، خاصة إذا عُدَّ مصطلح الحضارة محتويا مجموع مخططات الحياة التي يمارسها الانسان في كل مكان وزمان ، أي كل ما اضافته الانسان الى البيئة الطبيعية . وفي ضوء هذا ، فإن الاتصال بين الاشخاص والجماعات على حد سواء عنصر أساسي في أوجه الحياة كافة ومن ثم في الحضارة ، ويمكن اعتبار

دور الاتصال بمثابة دور الناقل الاساسي للحضارة ، ووسائل الاتصال هي أدوات حضارية تساعد على دعم المواقف او التأثير فيها ، وعلى نشر أو تعزيز العناصر الحضارية وأنماط السلوك وتحقيق التكامل الحضاري •

وبذلك يُعد الاتصال عاملاً مهماً في التأثيرات التي تحدث أو تساعد على أحداث التغيرات للجماعات الاثنية ، فالاتصال عملية اجتماعية ملازمة للإنسان • وجدت بوجوده وتواصلت معه ، ثم بمقتضاها نقل وتبادل العناصر والمركبات الحضارية بين طرفين أو أكثر بشكل مباشر او غير مباشر من خلال وسائل اتصالية متنوعة ، يمكن ان تعتمد على الكلمات والرموز المسموعة والمرئية والمكتوبة التي تؤدي الى الانتقال والانتشار او انها تعتمد على الاحتكاك المباشر المستمر بين حضارتين أو اكثر مما يؤدي الى عملية التبادل والتفاعل اي التأثير والتأثير وفي ضوء هذا يمكن تقسيم الاتصال الى نمطين رئيسيين:

(١) الاتصال الجماهيري « "Mass Communication" » : ويتم بين شخص أو مؤسسة وجماهير عريضة متفرقة ، تنتقل بواسطته المعلومات والافكار من مصدر الارسال الى جهة الاستقبال دون أن يكون هناك تفاعل بينهم ، حيث لا يتسنى لجهة الاستقبال أن تشارك في العملية الاتصالية الا من خلال تلقيها ، وتتم عملية النقل عبر وسائل اتصالية متعددة كالاذاعة ، والتلفاز والصحافة والمجلات والنشريات والسينما بقصد الاعلام والمعرفة والاقناع والتأثير او الاحياء بأفكار واتجاهات معينة ويعد هذا النمط اتصالاً منظماً وغير مباشر ، والانتشار **Diffusion** هو من نتائج الاتصال •

(٢) الاتصال الحضاري **Cultural Contact** هو الاحتكاك المباشر والمستمر بين الافراد من ذوي حضارات مختلفة مسببا تغيرات في الانماط الحضارية عند احد او كلتا الجماعتين ، ويستهدف هذا البحث التعرف على التغيرات الاجتماعية التي حدثت للجماعات العجرية ، باعتبارها

جماعة أثنية ، من خلال عملية اتصالها مع المجتمع العراقي من خلال المحاور  
الاتية :-

### Cultural Contact

### اولا : الاتصال الحضاري

استخدم هذا المفهوم بمعان مختلفة من عدد من الباحثين في بريطانيا وامريكا،  
Acculturation في الدراسات الامريكية يقابله مصطلح Cultural Contact  
في الدراسات البريطانية وقد استخدم أول مرة عام ١٨٨١ من قبل الباحث  
بساول Powell في بحثه « مدخل لدراسة لغات الهنود » ليشير الى  
الاستعارة الحضارية<sup>(١)</sup> .

ومنذ ذلك الوقت انتشر استعماله وتناوله عدد من الدارسين بمعان  
مختلفة ، رغم ان الدراسات الحديثة للاتصال الحضاري ، بدأت في عشرينات  
القرن الحالي ، كما يؤكد العالم هيرسكوفيتش Herskovits كرد فعل ضد  
المذهبين التطوري والتاريخي وكذلك ضد التعميمات المفرطة في أوروبا  
ومذهب اعادة بناء الصورة التاريخية في امريكا ، التي تجاهلت العلاقة بين  
الحضارة وناقليها<sup>(٢)</sup> .

### ١ - مفهوم الاتصال الحضاري :

لقد قدم كل من ريد فيلد Red filed ولنتون Liton  
وهيرسكوفيتش Herskovits اول تعريف منهجي للاتصال عام ١٩٣٥ جاء  
فيه « يتضمن الاتصال الحضاري تلك الظواهر التي تنشأ عندما يحدث  
اتصال مباشر ومستمر بين جماعات من الافراد ينتمون الى حضارات

---

(1) Unesco, 1972 : A Dictionary of Social Science.

مترجم الى اللغة اليونانية اصدار وزارة التربية اليونانية P. 749

(٢) ايكسه ، هولتكراش ، ١٩٦٠ قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفلكلور  
ترجمة محمد الجومري ، اصدار دار المعارف ، مصر ١٩٧٢ ص ٧٤ .

مختلفة ، ينتج عنه تغيرات في الانماط الحضارية لاحداهما او كليهما<sup>(٣)</sup> .  
مؤكدين بأن التغير الحضاري يعدّ مجرد مظهر من مظاهر الاتصال في حين  
يكون التمثل Assimilation مرحلة من مراحل الاتصال في بعض  
الاحيان<sup>(٤)</sup> . اما « مالينوفسكي Malinowski » عالم الاثروبولوجيا  
الوظيفي ، فيرى بأن الاتصال الحضاري ليس عملية أخذ وعطاء غير مفيدة ،  
وانما عملية توجه بضغوط وقوى محددة ، وأصناف ان عملية الاتصال  
والتغير تكون بشكل صراع ، تعاون ، مصالحة ، ومن جرائها تحدث  
التغيرات التي تؤثر في كلتا الحضارتين المتصلتين<sup>(٥)</sup> .

في حين يرى « فورتس Fortes » عالم الاثروبولوجيا البريطاني  
ان الاتصال هو عملية تفاعل متصلة بين جماعات من حضارات مختلفة وينبغي  
الا يعتبر الاتصال مجرد نقل عناصر من حضارة الى أخرى . في حين اعتقد  
بعض الدارسين ان الاتصال حالة تمثل من جراء التقاء حضارتين ، ويمثل  
هذا الاتجاه « هوبل Hoebel » اذ عرف الاتصال بأنه « عملية تفاعل بين  
مجتمعين وعن طريق هذا التفاعل تعدل حضارة المجتمع الادنى تعديلا شديدا  
لتمثل حضارة المجتمع المسيطر » .

وتظهر وجهة النظر هذه الى حد كبير لدى « كروبر Kroeber » الذي  
يرى ان الاتصال الحضاري يشتمل على التغيرات التي تحدث في حضارة معينة  
بتأثير حضارة أخرى ، وينتج عن ذلك أزياء التشابه بين كلتا الحضارتين .

(3) Unesco, 1972. A Dictionary of Social Science. Op. Cit. P. 750.

(٤) أيكسه هولتكرافس ، ١٩٦٠ قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا  
والفولكو ، مصدر سابق ص٧٤

(5) John Mcleish : 1872. The Theory of Social Change, London

(٦) أيكسه هولتسكرافس ، ١٩٦٠ قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا  
والفولكور ، مصدر سابق ص ١٤ .



وقد يكون التأثير متبادلا او من جانب واحد<sup>(٧)</sup> .

في حين أعتقد اخرون بأن الاتصال هو نقل حضاري مستمر ، ويعبر « وينيك Winick » عن وجهة النظر هذه حيث عرف الاتصال « الاتصال الحضاري هو العملية التي تنقل بها الحضارة خلال اتصالات مستمرة ومباشرة بين جماعات ذات حضارات مختلفة غالبا ما تتمتع احداها بمدنية أكثر تقدما »<sup>(٨)</sup> .

اما مجلس بحوث العلوم الاجتماعية ، الذي يرى « يمكن تعريف الاتصال الحضاري بأنه تغير حضاري راجع الى ارتباط اثنين أو أكثر من الانساق الحضارية المستقلة » . وكذلك لدى « وستيرن Wstern » اذ يعرف الاتصال « بأنه عملية نمو او تغير حضاري تحدث حينما يؤثر نسق اجتماعي اقتصادي في نسق اخر تأثيرا بعيد المدى » وبعبارة يمكن القول : ان اغلب دراسات الاتصال الحضاري تركزت حول الافكار الاتية :-

أ - اعتبار الاتصال عملية تفاعل مستمر .

ب - الاتصال الكامل وهي الفكرة المستوحاة من الاتصال المباشر والمستمر .

ج - اعتبار الاتصال نقلا حضاريا مستمرا .

د - اعتبار الاتصال تكييفا حضاريا .

و - اعتبار الاتصال الحضاري تغيرا حضاريا .

يعزى الاختلاف في تحديد مفهوم الاتصال الحضاري بين الدارسين الى طبيعة التأثيرات التي تحدث جراء ذلك الاتصال التي تحدد بالاتي :

(٧) المصدر نفسه ص ٧٥ .

(٨) المصدر نفسه ص ٧٧ .

(٩) المصدر نفسه ص ٧٩ .

اولا : في حالة كون الاتصال محدودا ، فيكون في صورة انتشار العناصر والمركبات الحضارية ، ويتم بواسطته تبادل الافكار والعادات والتقاليد والاشياء المادية بين حضارتين مختلفتين ، والذي يمكن اعتباره عملية أخذ وعطاء ، استيراد وتصدير .

ثانيا : في حالة كون الاتصال شاملا ، يؤدي الى عملية تداخل حضارتين مختلفتين . أي عمليات التغير التي تتم داخل هاتين الحضارتين من جراء تفاعلهما .

في ضوء التعريفات التي أشير اليها آنفا ، يمكن تحديد تعريف نستخدمه في تحليل طبيعة اتصال الجماعة الاثنية « "Ethnic Groups" » جماعة الفجر في العراق بأعبارهم حضارة فرعية ، في المجتمع العراقي وحضارته العربية السائدة باعتباره مجتمعا شموليا ، فالاتصال الحضاري الذي نحن بصدده هو عملية تفاعل مباشر ومتواصل بين حضارتين احدهما تمثل الحضارة السائدة والاخرى حضارة فرعية ، ينتج عنه تغيرات حضارية ليعطي أنماط الحضارة الفرعية ، لكي تتكيف وتتلاءم مع الحضارة السائدة مع احتفاظها ببعض سماتها وعناصرها الخاصة بها .

#### ب - نتائج الاتصال :

ان للاتصال الحضاري نتائج مهمة ومختلفة في اثارها النفسية والاجتماعية خاضعة للظروف التي تتعرض لها الجماعات المتصلة وكما أشار أغلب دارسي الاتصال .

ونلاحظ من :-

#### ١ - القبول "Acceptance" :

وهو أخذ عنصر حضاري أو جزء من حضارة ، وقد يكون هذا القبول طوعا وتلقائيا أو اجبارا قسريا .

#### ٢ - التكيف "Adaptation" :

أي اكتساب احدى الجماعتين للأنماط الحضارية للجماعة الاخرى .

وهو تكيف عنصر حضاري مع عناصر حضارية أخرى • ويعرف « بيلز Beals » التكيف بأنه نتيجة عملية الاتصال الحضاري وهو « يربط العناصر الأصلية والغريبة أما في كل منسجم أو مع الحفاظ على الاتجاهات المتصارعة التي تتصارع فيما بينها في السلوك اليومي ووفقا لمناسبات معينة »<sup>(١٠)</sup> • ويؤدي التكيف في بعض الاحيان الى التماثل الذي يطلق عليه التكيف من جانب واحد ، وبعامه يترتب على التكيف الامور الآتية :

#### أ - التمثيل Assimilation :

هو تكيف عنصر حضاري او حضارة بأجمعها مع مركب حضاري أو حضارة أجنبية وذلك بشكل كامل ومن طرف واحد ويرى « بيلز Beals » ان التمثيل يتحقق لدى بعض الافراد عندما يستبدلون حضارتهم الأصلية بحضارة أخرى استبدالا كاملا<sup>(١١)</sup> • ويرى « كروبر Kroeber » ان التمثيل وظيفة من وظائف الاتصال الحضاري ويعني امتصاص إحدى الحضارات لحضارة أخرى أمتصاصا كاملا<sup>(١٢)</sup> •

ان تعريف ريد فيلد ولينتون وميرسكوفيتش للاتصال الحضاري الذي تمت الإشارة اليه أكد أن التمثيل يكون في بعض الاحيان مرحلة من مراحل الاتصال وقدم مجلس بحوث العلوم الاجتماعية تمييزا مهما بين الانصهار الحضاري Cultural Fusion والتمثيل • اذ اعتبر التمثيل المقابل الثنائي للانصهار وعرف التمثيل بهذا الصدد « هو عملية تقارب من طرف واحد ، اي تقارب حضارة في اتجاه حضارة أخرى »<sup>(١٣)</sup> •

#### ب - الانصهار الحضاري "Cultural Fusion" :

وهو نوع من التكيف الذي يحدث فيه قدر من التقارب بين نسقي

(10) Unesco- 1972, A Dictionary of Social Science p.p. 749—751.

(11) Ibid, p. 130.

(12) Ibid., p.p. 749—751.

(١٣) ايسكه ، هولتسكورافس ، مصدر سابق ص ١٣٢ •

حضارتين مستقلتين ، وقد يكون نتيجة ذلك ظهور نسق حضاري ثالث ،  
والانصهار في هذه الحالة يؤدي الى محو المعالم الاساسية للحضارتين  
المتدمجتين .

٣ - رد الفعل اي الصراع بين القيم الاصلية والقيم الجديدة ، وأن  
هذه الحالة تتولد بصفة اساسية خلال حالات الاتصالات التي تتصف  
بسيطرة شعب على آخر اي الاتصالات العدائية ، ويعرف « هيرسكوفيتش  
Herskovits » رد الفعل هو « تلك الحركات التي يؤكد من خلالها شعب  
ما القيم التي تحتويها اساليب حياته الاصلية ويتحرك من اجل الحفاظ على  
معالم حضارته او استعادة قيمه الاصلية » وتنتمي حركات اعادة الاحياء  
بصفة خاصة الى هذه الحركات (١٤) .

## ثانيا : التغير والجماعات الاثنية :

### ١ - التغير الاجتماعي والحضاري \* : -

يعد التغير الاجتماعي ظاهرة طبيعية ملازمة للمجتمع الانساني ولكن  
تختلف درجة التغير من مجتمع لآخر ، يعتقد بعضهم ان المجتمعات البدائية في  
حالة سكون واستقرار وذلك لعزلتها عن العالم الخارجي وصغر حجمها  
وجود تقاليدها ، ولكن ليس هناك ثمة سبب يحملنا على هذا الاعتقاد (١) .  
يقول « ولبرت مور W. Moore » ان ظاهرة التغير الاجتماعي ليست حديثة ،

(١٤) ايسكه ، المصدر نفسه ص ٨١ .

(\*) نستخدم كلمة حضارة كترجمة حرفية لكلمة Culture كما استخدمها  
من قبل الاستاذ المرحوم شاعر مصطفى سليم .

(١) أ. ارفنج هالول « الجوانب الاجتماعية والنفسية لظاهرة الثقاف »  
في كتاب الانثروبولوجية وازمة العالم الحديث ، تحرير رالف لنتون  
ترجمة عبدالملك الناشق ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٩٦٧ ،  
ص ٣٠٢ .

(2) W. Moore "Social Change" Prentice. Hall of India "Private"  
Ltd, New Delhi, 1965. P. 1.

فهناك تغيرات حدثت في المجتمعات الانسانية ، ولكن الاهتمام بالتغير يعود الى التحولات الهائلة التي تعرضت لها المجتمعات المعاصرة جراء التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أصبح سمة العصر الحديث التي تعد من نتائج الحضارة المادية<sup>(٣)</sup> . اهتم علماء الاجتماع الرواد بدراسة التغير الاجتماعي والمشكلات الناتجة عنه . في حين لم يركز علماء الانثروبولوجية اهتمامهم به الا مؤخرا لكون دراستهم تركزت حول المجتمعات البدائية التي تتصف بعدم وضوح ظاهرة التغير لديها ، وفي ضوء الاتصال الحضاري الذي تم بين تلك المجتمعات والمجتمعات الاوربية وما نتج عنه من تغيرات حضارية ، جعل علماء الانثروبولوجيا يهتمون بدراسة الاتصال الحضاري ودوره في التغير الحضاري والاجتماعي لدى تلك المجتمعات ، ونستطيع القول ان هذه الدراسات أصبحت أوسع مما هي عليه لدى علماء الاجتماع نظرا للتغيرات العميقة التي تعرضت لها المجتمعات التقليدية من جراء احتكاكها بغيرها من المجتمعات أو من خلال تطبيقها لبرامج التنمية التي ادت الى احداث تغيرات كبيرة في حضارتها وبنائها الاجتماعي<sup>(٤)</sup> .

ويمكن القول ، بوجه عام ان ظاهرة التغير تشمل جميع المجتمعات الصغيرة منها والكبيرة والمعزولة منها والمنفتحة ، و الذي ينشأ نتيجة اختراع أو اكتشاف شيء مادي جديد أو أفكار أو مفهومات أو مصطلحات جديدة للعلاقات أو تنظيم جديد للقيم<sup>(٥)</sup> . واما نتيجة اتصال بين المجتمعات وما

---

(3) Walter, L, Wallace "Sociological Theory" First Published London, 1969. P. 141.

(٤) أبو زيد ، د. أحمد ١٩٧٥ « البناء الاجتماعي » مدخل للدراسة المجتمع ج ١ المفاهيم ، اصدار الهيئة العامة المصرية للكتاب ص ٢٥١ .

(٥) ملفيل ج . هيرسكوفتر « عمليات التغير الثقافي » في الانثروبولوجيا وازمة العالم الحديث . مصدر سابق ص ٢٦٦ .

ينشأ عن هذا الاتصال من استعادة أو انتشار عنصر أو مركب حضاري من مجمع الى آخر (٦) .

لقد استعمل علماء الاثروبولوجيا الحضارية **Cultural Anthropology** اصطلاح التغير الحضاري **Cultural Change** (٧) . لذا أهتموا بدراسة التغير الحضاري اكثر من دراسة التغير الاجتماعي ، لان التغير الحضاري يكون أوسع وأشمل إذ يتناول التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الحضارة ، اما التغير الاجتماعي « **Social Change** » فيعني التغير الذي يحدث في التنظيم الاجتماعي سواء في البناء او الوظيفة الذي يكون جزءا من التغير الحضاري (٨) . الاوسع مفهوما والاعم مدلولاً من التغير الاجتماعي الذي يمكن استعماله لتحديد مدى التغير سواء من الناحية المادية او المعنوية فضلا عن مفهوم التغير الحضاري هو المصطلح الملائم (٩) بالنسبة لدراسة الجماعات الانثنية .

اما علماء الاجتماع والاثروبولوجيا الاجتماعية **Social Anthropology** فقد أعطوا أهمية للتغير الاجتماعي اكثر من التغير الحضاري أذ يرون بأن التغيرات التي تحدث في المجتمع تصح عن نفسها في سلوك الناس ، اي في المظاهر الحضارية ، وهذا يدل على ان التغير الاجتماعي ينطوي بالضرورة على تغيرات حضارية (١٠) .

(٦) الجوهري ، د. محمد . ١٩٨٠ « الاثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية ، ط ١ سلسلة علم الاجتماع ، الكتاب ٣٣ ص ١٧٤ .

(٧) شكاره ، د. عادل عبدالحسين « ١٩٧٥ نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية » ط ١ مطبعة دار السلام ، بغداد ص ٩٤ .

(8) Kingsley, Davis, 1966, Human Society, Second edition  
Macmillan Co., New York. p.p. 622—623.

(٩) صابر ، الدكتور محي الدين ١٩٦٢ « التغير الحضاري وتنمية المجتمع » دار المعارف ، مصر ص ٧٥ .

(١٠) أبو زيد ، د. احمد ١٩٧٥ « البناء الاجتماعي » ج ١ - مصدر سابق ص ٢٥٣ .

وان دراستهم للتغير الاجتماعي "Social Change" تشمل دراسة التغيرات التي تطرأ على البناء الاجتماعي ، التي تتضمن التغيرات في حجم المجتمع او في نظمه الاجتماعية او في العلاقات الاجتماعية<sup>(١١)</sup> . ويؤكد الاثروبولوجيين البنيويون بأن الاحتكاك والاتصال والتفاعل لا يحدث بين الحضارات وانما يحدث بين الافراد والجماعات داخل بناء اجتماعي محدد<sup>(١٢)</sup> . لقد عرف «جسبرج Ginberg» التغير الاجتماعي بأنه التغير الذي يحدث في طبيعة البناء الاجتماعي ، كزيادة او نقص في حجم المجتمع ، أو في النظم الاجتماعية او التغيرات اللغوية والفنية وكذلك التغيرات في المواقف والمعتقدات<sup>(١٣)</sup> .

وبعامة يمكن القول ان التغير الاجتماعي والحضاري يرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا ، وهما وجهان لعملة واحدة ، فحيث يستخدم التغير الاجتماعي يعني بالضرورة التغير الحضاري والعكس صحيح .

اذ ان التغير الذي يدرسه يشتمل على التبدلات المهمة التي تطرأ على العلائق والنظم والقيم والمعايير والتقاليد والعادات الاجتماعية الثابتة نسبيا خلال مدة زمنية محددة . وان لهذه التغيرات صفة الترابط حيث تؤثر على بقية الظواهر ويحدث هذا نتيجة عوامل ومؤثرات متعددة تتفاعل فيما بينها لاحداث هذه التغيرات .

---

(11) Davis, Kingsley, 1966 : "Human Society". The Macmillan Co, New York- p.p 222—223.

(١٢) أبو زيد ، د. أحمد ١٩٧٥ « البناء الاجتماعي » ج ١١ مصدر سابق  
صص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(13) Ginsberg- 1961, 'Essays in Sociology and Social Philosophy'.  
Vol. III, William Heinemann. Ltd. London P. 143.

## ب - الجماعات الاثنية :

ان وجود الجماعات الاثنية ظاهرة عالمية سواء في الزمان او المكان<sup>(١)</sup> .  
فقد ظهرت الجماعات وانتشرت في المجتمعات على اختلاف عصورها من جراء  
الهجرات المختلفة او الحروب والغزو والاستيلاء على ارض الغير بالقوة وطرد  
سكانها كما حدث للشعب العربي في فلسطين المحتلة ، او الهرب مخافة الحرب  
والدمار او نتيجة للبحث عن فرص اقتصادية، او استجابة لضغوط بيئية<sup>(٢)</sup> .  
يستخدم اصطلاح الجماعة الاثنية ليشير الى جماعة أو فئة من السكان  
تمتازة سواء من الناحية الحضارية أو السلالية او القومية . لقد عرف  
« موريس Morris » الجماعة الاثنية بأنها فئة من السكان تعيش في مجتمع  
كبير لها حضارتها الخاصة ، وتشعر بذاتيتها ، ويرتبط افرادها معا اما برابطة  
السلالة او الحضارة او القومية<sup>(٣)</sup> .

بينما عرفها « شمرهون Schermerhorn » بأنها مجموعة من الافراد  
يعيشون في مجتمع اكبر ينحدرون من أصل واحد ولهم تاريخ وذكريات  
وحضارة مشتركة<sup>(٤)</sup> .

من خلال هذه التعريفات يتضح ان الجماعات الاثنية قد يكون لها  
أصول سلالية مما ادى ببعض الباحثين ان يخلطوا في دراساتهم بين مفهوم  
الجماعات الاثنية « "Ethnic Group" » والجماعات السلالية

---

(1) Duram, James, "The Ecology of Ethnic Groups from a Kynian Perspective in Ethnicity Vol. I. No. 1 April 1974.

(2) Levine, Robert and Canpbell Donald — 1972. "Ethnocentrism" John Wiley and Sons, New York.

(3) Morris, M.S. "Ethnic Group" in Encyclopadia of Social Sience p.p 167—168.

(4) Schermerhorn, R.A., "Ethnicity in the Perspective of the Sociology of Knowlege, in Ethnicity, Vol. I. NOI April 1974. 1974 P. 1.



“Racical Group” بل أنهم كانوا يستخدمون الاصطلاحين دون تمييز واضح<sup>(٥)</sup> .

والواقع ان اغلب الدارسين في الوقت الحاضر يرون ضرورة التمييز بين هذين المصطلحين فالجماعة السلالية **Racial Group** تشير الى جماعة من الناس يمتلكون ملامح فيزيقية مشتركة . وأكد روس **Rose** بأن كلمة « سلالة » تشير الى صفات بيولوجية وليست اجتماعية<sup>(٦)</sup> . وهذا ما لا ينطبق على الجماعة الاثنية ، والواقع ان اصطلاح « الجماعة الاثنية » اكثر مرونة من اصطلاحات أخرى استخدمت من قبل مثل « الجماعة السلالية » او « الجماعة الاقلية » او « الطبقة المغلقة » . وقد شاع استخدام اصطلاح الجماعة الاثنية بصفة عامة في اغلب الدراسات الاثروبولوجية وكما استخدمه « ناري **Narroi** » عام ١٩٦٤ . اذ اشار بأن الجماعة الاثنية هي فئة من السكان تتميز بخصائص بيولوجية تحقق لها الاستمرار ، ويشتركون في قيم حضارية اساسية مدركة ومفهومة ، وبوجود مجال محدد من الاتصال والتفاعل بين افرادها ، وبينهما كجماعة وبين الآخرين<sup>(٧)</sup> . خلاصة القول ، ان للجماعة الاثنية بناءها ، وهناك عوامل مشتركة تجمع بين افرادها ، كالاصل الواحد او الحضارة المشتركة ، وكذلك الدين او اللغة تحدد هذه العوامل الاطار الحضاري وطريقة التفاعل ومظاهر التأقلم للعمليات الاجتماعية ، وتؤثر أجمعها تأثيرا بالغا في السلوك وترسم للجماعة حدودها

---

(٥) اسماعيل ، د. فاروق مصطفى « الجماعات العرقية » دراسة في التكيف والتماثل الثقافي - الهيئة المصرية للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٥ ص. ٤٠ .

(6) **Rose, Peter, They and We, Social and Ethnnc Relations**  
**Random House Inc. New York, 1964. P. 7.**

(7) **Barth Frederik, “Ethnic Groups and Boundaries, The Social Organization of Culture Differences” Little Brown and Company. Boston. 1969. p.p 10—11.**

الاجتماعية التي تساعدها على اداء وظيفتها كوحدة في تفاعلها مع الجماعات  
الاجتماعية الاخرى<sup>(٨)</sup> .

وبعد هذا العرض يجدر بنا ان نحدد اهم المعايير التي اتفق حولها أغلب  
الدارسين في تحديد الجماعة الاثنية . وهي كالآتي :

اولا : السـلـالـة :

اي ان افراد الجماعة الاثنية الواحدة ينحدرون من أصل مشترك .  
لذا ترى وجود ملامح فيزيقية تميزهم عن أفراد الجماعات الاخرى ، ان هذه  
اللامح ناتجة عن عوامل وراثية حققت للجماعة دوامها واستمرارها .

ثانيا : الحضارة :

لكل جماعة أئنية إطار حضاري له من الخصائص ما يميزه عن حضارة  
الجماعات الاخرى .

مما لا شك فيه ان لهذين المعيارين أهمية في تكوين الجماعات ، الا ان  
هناك معايير اخرى لا تقل أهمية عن هذين المعيارين في تكون الجماعات  
الاثنية ، فالدين واللغة وبالرغم من انهما من مركبات الحضارة اذا ما أخذنا  
بتعريف « تايلور » للحضارة ، ولكن بعض الباحثين يرون ضرورة معالجة  
الدين واللغة كمعايير مستقلة عن معيار الحضارة حيث أكدت الدراسات  
الحديثة التي أجريت في آسيا وافريقيا على أهمية هذين المعيارين في تكوين  
الجماعات الاثنية .

ان الدراسة التي أجريت على جماعة الهندوس وجماعة المسلمين في الهند  
أوضحت ان العامل الديني لعب دورا كبيرا في تمايز تلك الجماعتين بالرغم  
من أن الهندوس والمسلمين لا ينتمون الى فئة سلالية متباينة ، انما ينتميان  
الى سلالة واحدة ، ولكن الاختلافات الدينية بينهما أدت الى اختلافات في

---

(٨) اسماعيل ، الدكتور فاروق مصطفى « ١٩٧٥ » الجماعات العرقية  
مصدر سابق ص ٥٣ .

طرق الحياة وأساليبها بينهما أي ان العقيدة الدينية أمدت كل جماعة بأساس واضح لتنظيم ذاتها بما يتعارض مع الجماعة الاخرى<sup>(٩)</sup> .

اما اللغة فأنها تلعب ايضا دورا حيويا في تحديد الجماعة الاثنية ، إذ أنها تحدد طبيعة العلاقات وكيفية الاتصال بين الجماعات ، بل انها تقيم الفواصل والحدود او لا تقيمها بين الجماعات المتباينة .

في ضوء ما تقدم يمكن اعتبار الفجر جماعة اثنية ، فالفجر جماعات تعيش في مناطق متفرقة من العالم ، أكد أغلب الباحثون الذين درسوا الفجر بأنهم ينحدرون من اصل واحد<sup>(١٠)</sup> . وكل جماعة من هذه الجماعات لها ملامح متعددة ومشاركة كالخصائص البيولوجية المتوازنة التي حققت استمرار هذه الجماعة ودوامها عبر الاجيال ، وكذلك لها حضارتها الخاصة التي تميز أفرادها عن أفراد المجتمع الذي تعيش فيه وتسودها قيم حضارية مشتركة من جانب افرادها ، هذه القيم هي التي جعلتها متميزة ومختلفة عن المجتمع الكبير الذي وفدت اليه ، كما أنها حددت أطار العلاقات والروابط الاجتماعية بين الفجر أنفسهم . وفيما بينهم وبين الجماعات الاخرى فضلا عن امتلاكهم لغة خاصة بهم .

لقد أشار الباحث « اکتون T. Acton » ان الجماعات الاثنية الفجرية تطمح للتسكين والتكامل الاجتماعي مع المجتمع الكبير الذي تعيش فيه واتفق مع ما ذهب اليه « اکتون T. Acton » كلا من « جيلدت Judlthokely ونيل صبحي حنا<sup>(١١)</sup> » .

---

(9) Beteille, Andree, "Race Caste and Ethnic Identity in International Journal of Social Science, Vol, 23, No 1971. p.p 533—534.

(١٠) حنا ، د. نيل صبحي ١٩٨٣ « البناء الاجتماعي والثقافي في مجتمع الفجر » دار المعارف ، القاهرة ص ٢١ .

(11) Okely, Judith : 1983, "Traveller-Gypsies" Cambridge, University Press. P. 40

### ثالثا : التغير الاجتماعي لدى جماعات الفجر :

اشتهر الفجر بأنهم جماعات أثنية شديدة الانغلاق ولهم القدرة على الحفاظ على خصائصهم وحضارتهم ووحدتهم الاجتماعية رغم احتكاكهم وأتصالهم المستمر بحضارات العديد من الشعوب التي عاشوا معها ، فجماعات الفجر المنتشرة في جميع انحاء العالم تقريبا ، لم تكن في عزلة تامة ، بل يمكن القول ان الحضارة الفجرية تكونت من خلال عملية الاتصال<sup>(١)</sup> . حيث بدأت اتصالات جماعات الفجر بالشعوب والمجتمعات المختلفة ، عندما غادروا ضفاف نهر السند منذ عدة قرون<sup>(٢)</sup> . ان هذه الحقبة الزمنية الطويلة في ترحالهم عبر المجتمعات كانوا على اتصال مستمر مع شعوب تلك الاقطار . مما أدى الى تأثر حضاراتهم بهذه العملية . فأستعادوا الكثير من السمات والعناصر الحضارية من تلك المجتمعات . ورغم ذلك صمدوا وتحصنوا ضد عوامل التدويب والانصهار التام بالمجتمعات الاخرى<sup>(٣)</sup> .

لذا تصور بعض الدارسين انه يصعب التأثير فيهم ليغير طابع حياتهم القديم والتكامل مع المجتمعات التي يعيشون فيها . في الاونة الاخيرة ظهر تقارب في الاراء حول امكانية تغيير الفجر ، ويرى بعضهم الآخر انه يمكن تغييرهم بسهولة ، مبالغين في تأكيد رغبة الفجر في ذلك<sup>(٤)</sup> .

أشار الباحث « بور Bonos » الذي يعد من الباحثين الذين أكلوا مقاومة الفجر للتغير ، ان الفجر قد أتصلوا عبر القرون العديدة مع المجتمعات

---

(١) فرانسوا كوزا ، الفجر ومشكلة الاتصال الثقافي ، مجلة ديوجين ، العدد ٣٧ السنة ١١ - مايو - يوليو ١٩٧٧ ، اصدار مطبوعات اليونسكو ص ٢٨ .

(2) J.P. Glebert, The Gypsies, Translated by Charles Puff Penguin Books, London 1967. p. 50

(3) J.P. Glebert, The Gypsies, Op. Cit., p. 8.

(٤) حنا ، د. نبيل صبحي « البناء الاجتماعي والثقافي في مجتمع الفجر » اصدار دار المعارف ، مصر ١٩٨٣ ص ٤٣ .

التي عاشوا فيها • ولكنهم ما زالوا محافظين على عاداتهم وطرقهم وبقوا جماعة غير قابلة للتمثيل **Assimilation** مع المجتمع الذي يعيشون فيه •

ولعل من أفضل الدراسات التي تناولت التغيرات لدى جماعات الفجر دراسة الباحثة « Renacotten » عند دراستها لفجر الكالدراس ، فقد حاولت بدراستها هذه تسجيل أنهار غجر امريكا ، وذكرت أنه على الرغم من عدم قابلية هذه الجماعة على التكامل مع المجتمع الا انه حدثت بالفعل تغيرات في طابع الحياة ، والمهن ، والعادات لهذه الجماعة ، وتؤكد الباحثة « Suther land » ان غجر امريكا على وعي بالتغيرات التي حدثت لهم (٦) •

اما الدراسات التي أجريت على جماعات الفجر في بريطانيا ، فقد أشارت الى ان هذه الجماعات لم تعد تمثل الجماعات الفجرية التقليدية ، فقد تغيرت مظاهر حياتهم من جراء اتصالهم واختلاطهم بالمجتمع (٧) •

من الواضح ان عادات الزواج والطقوس الدينية ومراسيم الدفن والميلاد بالاضافة الى اللغة والدين والازياء • قد أستعارتها الجماعات الفجرية من حضارات المجتمعات التي عاشوا فيها ، مما أدى الى اعتقاد الباحثين بعدم أصالة الموروث الفجري مؤكدين انه مقتبس او عُدل او حُرف عن فولكلور المجتمعات الاخرى • مع ذلك نجد هناك بعض المأثورات الشعبية ذات الطابع الفجري الاصيل (٨) •

(٥) المصدر السابق نفسه ص ٤٤ •

(٦) المصدر السابق ص ٤٥ •

(٧) الحلفي ، محمد أمين ، « التنمية الاجتماعية والاتصال الثقافي » دراسة

للاثار الاجتماعية الناتجة عنهما في مجتمع الفجر في العراق ، ص ١٦ •

(8) Standard Dictionary of folklore, Mythology and Legend,

Funk and Wayrals Company, New York, 1972, p.p 951—255

على العموم يمكن القول بأن الفجر في الاونة الاخيرة بدأوا الاتجاه نحو الاستقرار في المدن أو القرى ، وهذا ما يمكن ملاحظته في العراق •

ان الاتصال الذي يحدث بين الفجر بأعتبارهم جماعة أثنية « حضارة فرعية » والمجتمع العراقي بأعتباره مجتمعا شموليا « حضارة سائدة » هو اتصال مباشر ومستمر قد أحدث تغيراً وتبدلاً في نمط حياة الفجر مما أدى الى تكيفهم مع حضارة المجتمع العراقي • يتصف هذا التكيف بالانتقائية والتفرد ، حيث اقتنوا بعض السمات وتكيفوا معها ، وتفردوا عن غيرهم في طرائقهم الحضارية ، لذا لم يصل الفجر الى الاندماج التام مع المجتمع العراقي كما أنهم لم يتعرضوا للانقراض اي الانصهار الحضاري •

واتخذت عملية التكيف الاجتماعي والحضاري التي نحن بصدها أسلوبين :-

#### اولا : الاسلوب الاجباري

لقد أضطر الفجر في العراق الى الاخذ ببعض الانماط الحضارية السائدة « حضارة المجتمع العراقي » أي ان التكيف هنا قد فرض عليهم فرضاً ، ويتضح ذلك في الكثير من المواقف ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، اضطر الفجر الى احترام القوانين العراقية ، ومن اهم تلك القوانين قانون الجنسية وقانون الخدمة العسكرية ، قانون التعليم الالزامي والقانون المدني ولا سيما الزواج والطلاق والارث الى جانب قوانين الضبط الاجتماعي •

#### ثانياً : الاسلوب الاختياري او الاداري :

وهنا أخذ الفجر ببعض انماط الحضارة السائدة بمحض ارادتهم ، وهذا واضح في التغيرات الاجتماعية التي حدثت في كثير من أنشطتهم الاجتماعية ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر الاستقرار بدل الترحال ، استخدام الات موسيقية مثل العود والكمان والقانون ، فضلا عن استخدام الايقاعات

الشعبية مثل الطبل بأنواعه بدلا من آلة الربابة التي كانت يعتمد عليها بصورة رئيسة .

وبعامة يمكن تحديد بعض مظاهر التكيف الاجتماعي للجماعة الفجرية مع المجتمع العراقي كالآتي :

(١) الدين :

الدين نظام اجتماعي ، يقوم على علاقة الانسان بكائن او كائنات او قوى فوق طبيعية ، او اله ، يؤمن به ويعبده ، ويتحد الدين بنسق سلوكي وأخلاقي ، يعين الذين يعتنقونه على تفسير الاحداث التي يواجهونها ويخلق فيما بينهم تماسكا اجتماعيا<sup>(٩)</sup> .

ان الاعتماد السائد لدى اغلب دارسي الفجر بأن ليس لهم ديانة خاصة بهم ولكنهم يتدينون بالديانة الموجودة في المكان او البلد الذي يقيمون به<sup>(١٠)</sup> . وعلى هذا فإن الفجر هنا في العراق يتدينون بالدين الاسلامي طالما ان الدين الاسلامي هو دين المجتمع الذي يعيشون فيه . يلتزم الفجر في العراق بالطقوس الخاصة بقواعد الدين الاسلامي ومنها ختان الاولاد الذكور، والزواج يتم بعقد ديني عند عالم دين « السيد » وكذلك الطقوس الخاصة بالموت والدفن ومراسيم تقبل التعازي ، « الفاتحة » وكنوع من التكيف الاجتماعي مع البيئة التي يعيشون فيها .

## ٢ - اللغة :

يعد تعلم لغة المجتمع المستقبل « الحضارة السائدة » واستعمالها من قبل الجماعة الاثنية الجماعة الوافدة « حضارة فرعية » أهم أدوات التكيف

---

(٩) لومي مير « مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية » ترجمة الدكتور شاكر مصطفى سليم ١٩٨٣ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ص ٤٦١ .

(١٠) يول كلبيرجان ، الفجر دراسة تاريخية فولكلورية ، ترجمة لطفي الخوري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٧٦ ص ٤٠ .

الحضاري ، لان اللغة أحد عناصر الحضارة بل هي اهم تلك العناصر (١١) .  
فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد في اتباعه ويتخذونه أساسا  
للتعبير عما يجول بخواطيرهم وفي تفاهم بعضهم مع بعض . لذا فهي وسيلة  
التفاهم وتبادل الافكار والتقارب والتعبير بقوانين وقيم واعراف وتقالييد  
المجتمع . ومن هنا فأن تعلم لغة المجتمع المستقبل من قبل الجماعة الاثنية  
يعد من العوامل المساعدة للتكيف الاجتماعي والحضارة لهذه الجماعة .

لقد أثبتت الدراسات عن الفجر ان لغة الفجر هي ذات أصل هندي  
واكد الباحث « بيرميل Pierremeile » أستاذ اللغات الحديثة في مدرسة  
اللغات الشرقية . ان لغة الفجرية قواعد ومفردات لا يمكن توضيحها الا من  
طريق السنسكريتية (١٢) .

لذا تم اضافة لغة الفجر ضمن عائلة اللغات الهندية . مما لا شك فيه  
ان اللغة الفجرية تضمنت مفردات غير هندية وعلى نطاق واسع . لكونها في  
الاباس لغة جماعة مترحلة فقد اقتبسوا أعداداً كبيرة من الكلمات الاساسية  
المتواجدة في الاقطار التي مروا بها أو استقروا فيها .

ويؤكد مارتن سبوك ان عدد الكلمات التي أقتبسها الفجر في بلد ما  
تناسب طردياً مع المدة التي قضوها في ذلك البلد (١٣) . وفي ضوء ذلك نجد  
ان الفجر قضوا في العراق والبلاد العربية حقبة طويلة من الزمن ، والحقيقة  
واضحة فأن لغتهم الاساسية تتضمن الكثير من الكلمات العربية ، ويؤكد

---

(١١) الدكتور عاطف وصفي ، « الانثروبولوجيا الثقافية » ، دار النهضة  
العربية ، بيروت ١٩٧١ ص ١٠١ .

(١٢) جان - بول كليبر - الفجر - ترجمة لطفي الخوري ، منشورات وزارة  
التربية والاعلام ، بغداد ١٩٨٢ ص ٣٢٣ .

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٥ .



الباحث طه الحديشي ان اللهجة الفجرية في العراق هي مزيج من عدة لغات « فارسية وعربية وكردية وتركية »<sup>(١٤)</sup> بالاضافة الى اللغة الفجرية .

فالفجر في العراق والبلاد العربية استطاعوا ان يستوعبوا تماما اللغة العربية وبدقة وبلهجة القطر العربي الذي يعيشون فيه ، ونستنتج من ذلك ان استخدام الفجر « جماعة اثنية » لغة المجتمع العراقي ، هو من أهم مظاهر التكيف الاجتماعي والحضارة لهذه الجماعة .

### ٣ - الازياء :

ان الفجر سريعو التكيف ولا سيما في المظاهر المادية مع الشعوب التي يعيشون في كنفها ومن ذلك الازياء ، فالفجر في العراق يماثلون بأزيائهم افراد المجتمع العراقي وليس هناك ما يميز الفجر في ملابسهم عن افراد المجتمع العراقي وعلى العكس من ذلك في البلاد الاوربية حيث يمكن تميز الفجر بشبابهم المزركشة الملونة<sup>(١٥)</sup> .

فالرجل الفجري في العراق يرتدي ملابس الزي العربي الريفية او البدوية وكذلك ملابس رجال الزي الحضري في المدن ، في حين ترتدي نساءهم الملابس التي ترتديها نساء العراق وكذلك هو الحال بالنسبة للشباب .

ان ارتداء أزياء المجتمع المستقبل « الحضارة السائدة » من قبل افراد الجماعة الاثنية « الحضارة الفرعية » هو مظهر تكيفي يحقق نوعا من التماثل الاجتماعي والحضاري للجماعة الاثنية مع المجتمع الذي تعيش في كنفه .

### ٤ - الاستقرار :

كان الفجر في العراق يعيشون حياة البداوة ويسكنون الخيام ويتجولون في الصحاري والسهول والجبال وهم ذوو بشرة سمراء داكنة ويعيشون على

(١٤) الحديشي - طه حمادي ، « الفجر والفرج في العراق » دراسة في الجغرافية التطبيقية - جامعة الموصل - موصل ١٩٧٩ .

(١٥) جان ، بول كليبير ، الفجر ، مصدر سابق ص ١٣ .

الرقص والغناء والموسيقى ويقرأون الغيب ويعيشون على هامش المجتمع وهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة وذلك جراء ترحالهم وغالبا ما يوصفون بأنهم بدو في اغلب البلدان التي يعيشون فيها •

لقد بدأ الفجر في العراق حياة الاستقرار وذلك في عام ١٩٥٨ حيث أستقروا في منطقة الكمالية التابعة لناحية بغداد الجديدة في مدينة بغداد • أذ سكنت في هذه المنطقة (١٧٤) أسرة عجمية في بادئ الامر (١٦) • وقد بلغت حاليا (٢٦٠) أسرة (١٧) • ويتجمع الفجر في العراق في مناطق سكنية خاصة بهم وتقع على هامش المدن الكبيرة • وموزعة كالآتي :

١ - منطقة الفجر في الفوار في محافظة القادسية واستقروا فيها عام ١٩٧٠ •  
٢ - منطقة الفجر في أبي غريب وقد أستوطنوا هذه المنطقة نهاية السبعينات من هذا القرن •

٣ - تجمع الفجر في حمام العليل •  
٤ - تجمع الفجر في ناحية كنفان بمحافظة ديالى وقد استوطنها الفجر في نهاية السبعينات •

٥ - تجمع الفجر في الشوملي الواقعة بالقرب من ناحية الشوملي التابعة لمحافظة بابل وقد استوطنوها في منتصف الثمانينات •  
٦ - فضلا عن تجمع الفجر في الشطرة ومخيمات الفجر في تازة •

ومن الجدير بالذكر الاشارة الى ان أغلب تجمعات الفجر السكانية فيما عدا تجمع الكمالية ، تقع بعيدة عن مناطق سكن الاسر العراقية وذلك ناتج عن عزوف أغلب الاسر العراقية للسكن بالقرب من الفجر • وترتب على ذلك العزلة الكافية بالنسبة لهؤلاء الفجر

---

(١٦) الحديثي ، طه ١٩٧٩ « الفجر والقرج في العراق » اصدار جامعة الموصل ص ٥٠ •

(١٧) الهاشمي ، حميد غافل « الفجر في العراق » اطروحة ماجستير بعلم الاجتماع كلية الاداب - جامعة بغداد - ١٩٩٤ ص ٩٣ •

اذ يعيش هؤلاء الفجر في أحياء خاصة بهم فلم ينشئوا علاقات اجتماعية مع غيرهم اللهم الا علاقات العمل ، فالعزلة المكاثية النسبية لهؤلاء الفجر تدل على وجود حدود وفواصل اجتماعية يصنعها افراد المجتمع العراقي بوجه الفجر مما لا يتيح للتفاعل الاجتماعي ان يأخذ مجراه الطبيعي ، وترتب عليه ضعف العلاقات الاجتماعية فيما بين الطرفين . ومما لا شك فيه ان الاستقرار وكما هو الحال في الكمالية سوف يؤدي الى رابطة الجوار بين الفجر وافراد المجتمع العراقي . ويرى « كوين Queen » و « كاربنت Carpenter » ان الجوار يشير الى منطقة ما تعيش فيها مجموعة من الافراد يعرف بعضهم بعضا ، يتبادلون الخدمات وبصفة عامة يقومون باعمال مشتركة<sup>(١٨)</sup> . في حين يؤكد « روث كلاس Ruthclass » ان الجوار يشير الى جماعة محلية يقابل اعضاؤها من أجل دوافع مشتركة ، لهم اتصالاتهم الاجتماعية على الرغم من أنها تلقائية<sup>(١٩)</sup> .

وبعامة يمكن القول ان علاقة الجوار بين أعضاء جماعة الفجر كجماعة « أئنية » بالجماعات غير الفجرية « أفراد المجتمع العراقي » سوف تؤدي الى القبول الاجتماعي ، وبالتالي سوف يعد من الحدود والفواصل الاجتماعية بين الفجر وغيرهم من أفراد المجتمع العراقي ، التي بدورها تحقق التكيف الاجتماعي والحضاري للجماعات الفجرية « الحضارة السائدة » .

ومما تجدر الإشارة اليه ان فذكر ان منح الجنسية العراقية للفجر يعد من أهم الامور التي أدت الى تكيف الفجر ودمجهم مع المجتمع العراقي ، ان الانتماء الوطني والشعور بالانتماء للمجتمع من قبل الفجر هو عامل مهم من العوامل المساعدة للتكيف الاجتماعي والحضاري .

---

(١٨) اسماعيل ، د. فاروق مصطفى ، « الجماعات العرقية » دراسة في التكيف والتماثل الثقافي - الهيئة ١٩٧٥ ص ١٥٧ .

(19) Gilbert, Herbert. "The Neighbour hood Unit Principle and Organic Theory" in *Sociological Review*, Vol, 2 1963. p. 160.

## مصادر البحث

### المصادر العربية

- ١ - الدكتور أحمد أبو زيد ١٩٧٥ « البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع » ج ١ « المفهومات »
- ٢ - ارفنج هالوول<sup>٥</sup> « الجوانب الاجتماعية والنفسية لظاهرة التشقق » في كتاب الاثروبولوجية وازمة العالم الحديث ، تحرير رالف لنتون ، ترجمة عبدالمالك الناسف ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٩٦٧ ص ٣٠٢ .
- ٣ - إيكه ، هولنكرانس « قاموس مصطلحات الاثروبولوجيا والفولكلور » ترجمة د. محمد الجوهرى و د. حسن الشامي - دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- ٤ - بول كليير جان « الفجر دراسة تأريخية فورلكورية » ترجمة لطفي الخوري - دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٦ .
- ٥ - حميد غافل الهاشمي ١٩٩٤ « الفجر في العراق » أطروحة ماجستير تقدم بها قسم الاجتماع في كلية الاداب - جامعة بغداد .
- ٦ - رالف لنتون « الاثروبولوجيا وازمة العالم الحديث » ترجمة عبدالمالك الناشف - المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٩٦٧
- ٧ - الدكتور طه حمادي الحديثي - ١٩٧٩ « الفجر والقرج في العراق » جامعة الموصل - العراق
- ٨ - الدكتور عادل عبدالحسين شكارا ، ١٩٧٥ « نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية » ط ١ . مطبعة دار السلام - بغداد .
- ٩ - الدكتور عاطف وصفي ١٩٧١ « الاثروبولوجيا الثقافية » دار النهضة العربية - بيروت

- ١٠- الدكتور فاروق مصطفى اسماعيل ١٩٧٥ « الجماعات العرفية » الهيئة المصرية العامة للكتاب - الاسكندرية
- ١١- الدكتور قيس النوري ١٩٧٢ « طبيعة المجتمع البشري » ج ٢ مطبعة الاداب النجف - العراق
- ١٠- لويس مير « مقدمة في الاثروبولوجيا الاجتماعية » ترجمة د. شاكرا مصطفى سليم ١٩٨٣ - دار الحرية للطباعة - بغداد
- ١١- محمد أمين الحلفي « التنمية الاجتماعية والاتصال الثقافي » دراسة الاثار الاجتماعية في مجتمع الفجر في العراق رسالة ماجستير غير منشور - القاهرة ١٩٧٩ .
- ١٢- الدكتور محمد الجوهري ١٩٨٠ « الاثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية » ط ١ سلسلة علم الاجتماع المعاصر - القاهرة
- ١٣- الدكتور محي الدين صابر ١٩٦٢ « التغير الحضاري وتنمية المجتمع » دار المعارف - مصر .
- ١٤- ملفيل ج . هيرسكو فتر « عمليات التغير الثقافي » الاثروبولوجيا وازمة العالم الحديث
- ١٥- نبيل صبحي حنا ١٩٨٣ « البناء الاجتماعي والثقافي في مجتمع الفجر » دار المعارف - مصر



1. Andree Beteille "Race Caste and Ethnic Identity in International Journal of Social Science, Vol. 23 No. 1971.
2. Davis Kingsley 1966 "Human Society", Macmillan Company N. Y.
3. Frederik Barth "Ethnic Groups and Boundaries the Social Organization of Culture Difference Little Brown and Company, Boston, 1969, p.p 10—11.
4. Herbert Gilert "The Neighbourhood unit Principle and Organic Theory" in Sociological Review, Vol. 2, 1963.
5. Ginsberg, 1961. "Essays in Sociology and Social Philosophy". Vol. III. Willam Hencelman Ltd. London.
6. Glebert J.P., The Gypsies : Translated by Charles Puff gengain Books, London 1967.
7. H.S. Morris "Ethnic Groups" in Enoyclopadia of Social Science.
8. James Duram "The Ecology of Ethnic Groups from a Kynian Perspective in Ethnicity Vol. I No. I April 1974.
9. John Mcleish, 1972 "The Theory of Social Change" four views Considered, London.
10. Juñius Gould and William "A Dictionary of Social Science" Unesco Press, 1972.
11. Judith Okely : 1983 "Traveller-Gypsies" - Cambridge University Press.
12. Moore Wilbert, E, 1965 : "Social Change" Prentice-Hall of India Private Ltd., New Delhi.
13. Peter Rose- They and We, Social and Ethnic Relations, Random House, Ire New York, 1964.
14. R.A. Schermerhorn "Ethnicity in the Perspective of the Sociology of Knowloge, in Ethnicity, Vol.I No. 1, April 1974.
15. Robert Lerine and Campbell Donald, 1972 "Ethnocentrism; John Wiley and Sons, New York.
16. Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend, Funk and Wagnals Company, New York, 1972.

# التغلغل الاقتصادي الاوربي في المغرب

١٨٩٤ - ١٩١٢

د. هاشم صالح التكريتي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تواصل في القرن العشرين التطور الصناعي العاصف الذي اخذت الاقطار الاوربية المتقدمة تشهده منذ ان قام الانقلاب الصناعي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، واستتبع ذلك زيادة حاجة تلك الاقطار الى الخامات واسواق التصريف ومجالات استثمار رأس المال الامر الذي ترتب عليه زيادة الحاجة الى المستعمرات ومناطق النفوذ . ان هذا هو في الواقع ما يفسر زيادة تكالب الدول الاستعمارية في هذه المرحلة للحصول على المستعمرات وسعيها المكثف لا للمحافظة على المستعمرات التي استحوذت عليها في المراحل السابقة فحسب بل للحصول على مستعمرات جديدة وتوسيع امبراطورياتها الاستعمارية عن طريق ضم مناطق جديدة اليها . وطالما انه لم تكن قد بقيت في الكرة الارضية « مناطق شاغرة » يمكن الاستحواذ عليها لان الدول الاستعمارية كانت قد اقتسمت العالم فيما بينها منذ اواخر القرن التاسع عشر فان هذا التوسع كان لابد ان يتم من جانب البعض من هذه الدول على حساب الممتلكات الاستعمارية للبعض الاخر او مناطق نفوذه . وكان مما جسد هذه الحقيقة اكثر ان دولاً كالمانيا وايطاليا وغيرها كانت قد شغلتها في السابق عوامل معينة تتعلق بالاوضاع الداخلية فيها عن التوسع الاستعماري ، بدأت الآن وبعد ان زالت تلك العوامل تسعى لان تكون امبراطورياتها الاستعمارية الخاصة بها فكان لابد لها ان تصطدم بالدول الاستعمارية القديمة التي هبت للدفاع عن ممتلكاتها الاستعمارية ضد تطاولات هذه الدول .

وهكذا اشتد الصراع بين الدول الاوربية من اجل الحصول على المستعمرات واصبح البعض من هذه المستعمرات ساحة لنزاعات عنيفة بين تلك الدول ، كانت في بدايتها نزاعات اقتصادية ثم تحولت الى نزاعات سياسية وعسكرية وكانت ضحيتها في كل الاحوال تلك المستعمرات نفسها .

يهمنا هنا الصراع الاقتصادي الذي قام بين الدول الاوربية ولاسيما بين فرنسا والمانيا في المغرب ، ذلك الصراع الذي ترك طابعه على كل التطورات التي جرت في هذا البلد في المرحلة موضوع البحث . فالمغرب الذي كان ائذذاك يتخبط في مشاكله الاقتصادية والسياسية ازدادت احواله في هذه المرحلة سوءاً فاصبح هدفاً مغرياً للاستعماريين الاوربيين الذين كانوا قد حققوا فيه ، حتى هذا الوقت ، نفوذاً اقتصادياً ملحوظاً واصبحت لهم فيه مواقع اقتصادية لا يستهان بها<sup>(١)</sup> . وقد سعى هؤلاء الاستعماريون الان للاستناد الى هذه المواقع في محاولة للاستحواذ على اقتصاد البلد باكماله من جهة واقامة نفوذ سياسي لهم فيه من جهة اخرى .

والواقع ان ظروفًا ملائمة استجذبت في المغرب في المرحلة موضوع البحث وسهلت للاستعماريين الاوربيين تحقيق اهدافهم التوسعية في ذلك البلد ، ونعني في المقام الاول وفاة السلطان الحسن الاول الذي كان يحاول اعاقبة التوسع الاقتصادي الاوربي في بلاده بكل السبل المتوفرة لديه وتولى ابنه السلطان عبدالعزيز الذي لم تكن شخصيته « تحوي من عناصر القوة ماقد يحمله على السير في خطوات ابيه او الاقتراب مما قام به جده القوي العزم مولاي اسماعيل من توطيد اركان الدولة داخليا »<sup>(٢)</sup> . لقد كان السلطان الجديد راغباً في الاصلاح ولكنه كان شاباً تعوزه الخبرة بهرته مظاهر التقدم الغربي

(١) كنا قد كرسنا لهذا الموضوع بحثاً بعنوان « التغافل الاقتصادي الاوربي في المغرب في اواخر القرن التاسع عشر » نشر في العدد الرابع - السنة الثانية من مجلة كلية المعلمين الصادرة في تموز ١٩٩٥ .

(٢) روم لاندو ، تاريخ المغرب في القرن العشرين ، ترجمة الدكتور نيقولا زيادة ، الطبعة الثانية بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٦-٣٧ .



فوقع تحت تأثير مستشاريه الاجانب وجلهم من المغامرين والسماسة من امثال مالكين<sup>(٣)</sup> الانجليزي الذي احتل مكاناً بارزاً في البلاط المغربي طيلة عهود السلاطين الثلاثة الحسن الاول وعبدالعزیز وعبد الحفيظ حيث عمل في البداية مدرباً ثم اصبح قائداً عاماً للجيش المغربي<sup>(٤)</sup> .

لقد ساءت الاحوال في المغرب في عهد السلطان عبدالعزیز نتيجة لرد الفعل الذي جوبهت به الاصلاحات التي اراد القيام بها والثورات والاضطرابات التي اجتاحت البلاد بسبب ذلك واستغلال الاجانب كل ذلك لتشديد هجمتهم الاقتصادية على البلاد فازداد التوسع الاقتصادي الاوربي في المغرب في هذه المرحلة وبرزت اثاره السلبية اكثر من السابق وانعكست هذه الاثار على احوال البلاد المختلفة فساءت لدرجة لم يسبق لها مثيل . وقد عبر عن ذلك المؤرخ المغربي الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الانصاري الذي عاصر تلك المرحلة اصدق تعبير حيث قال : « واعلم ان احوال هذا الجيل [ عهد السلطان عبدالعزیز ] الذي نحن فيه قد باينت احوال الجيل الذي قبله غاية التباين وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع منصرفاتهم لا في مسلكهم ولا في اسعارهم ولا في سائر نفقاتهم بحيث ضاقت وجوه الاسباب على الناس وصعبت عليهم سبل جلب الرزق والمعاش حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا وحال جيلنا الذي نحن فيه وقايستنا بينهما لوجدناهما كالمضادين والسبب الاعظم في ذلك ملايسة الفرنج وغيرهم من اهل الأربا للناس وكثرة مخالطتهم لهم . . . . واعلم ايضاً ان امر هؤلاء الفرنج في هذه السنين قد علا علواً منكرأ وظهر ظهوراً لاكفاء

(٣) عبدالعزیز بنعبدالله ، تاريخ المغرب ، العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الجزء الثاني الدار البيضاء - الرباط د.ت.ص : ٩٧ .

(٤) انظر : روم لاندو ، المصد السابق ص ٥٥٧ .

له واسرعت احواله في التقدم والزيادة اسراعاً متضاعفاً كتضاعف حبات القمح في بيوت الشطرنج حتى كاد يستحيل الى فساد . . . » (٥) .

وهكذا تميزت المرحلة موضوع البحث بتكثيف الاوربيين لتغلغلهم الاقتصادي في المغرب وابتداعهم لطرق واساليب جديدة لتحقيق ذلك من ذلك مثلا ان السلطان عبد العزيز سمح ببيع الاراضي في المغرب للاجانب الامر الذي ادى الى قيام مزارع كثيرة يمتلكها المستوطنون الاوربيون مما يشكل سبيلا جديداً للاستغلال الاقتصادي الذي مارسه الاجانب في المغرب في تلك المرحلة .

لكن العلاقات التجارية التي جهد الاوربيون ولا سيما الفرنسيون الى توسيعها مع المغرب ظلت الوسيلة الرئيسة لتغلغلهم الاقتصادي في هذا البلد، ذلك ان همهم الاساس في هذه المرحلة كان تأمين الاسواق لمنتجات صناعتهم المتزايدة . وكان الفرنسيون قد تميزوا في هذا المجال اكثر من غيرهم فقد شكلوا في بداية القرن العشرين لجنة خاصة هدفها التوسع الاقتصادي في المغرب اسموها لجنة المغرب وكأنت تحظى باسناد بعض رجال السياسة والاعمال التجارية والمالية الكبرى وفي مقدمتهم بنك باريس والاراضي المنخفضة وشركة دي شاتيون وشركة شنايدر والبنك الفرنسي للتجارة وللصناعة وشركة الريجي لاستثمار التبغ في المغرب واتحاد المعادن . (٦) وسعت فرنسا الى الحصول على امتيازات اكثر مما ورد في ميثاق مدريد لعام ١٨٨٠ واثمرت مساعيها لدرجة ملحوظة حيث اصبحت تحتل المركز الاول في تجارة المغرب الخارجية ، فاذا ما كانت حصتها ومعها الجزائر في هذه الفرع من فروع الاقتصاد المغربي في ١٩٠١ تعادل ٣٨٪ من حجم التبادل التجاري

(٥) ابو العباس احمد بن خالد الانصاري ، كتاب الاستقصا لخبار دولـة المغرب الاقصى ، الدولة العلوية ، القسم الثالث ، الجزء التاسع ، الدار البيضاء ١٩٥٦ ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٦) روم لاندو ، المصدر السابق ص ٧٥ .

الخارجي للمغرب فان هذه الحصّة ازدادت في ١٩٠٥ الى ٤٦٥٪/ علماً بان حصّة بريطانيا كانت في التاريخين المذكورين ٣٦٢٪/ و ٢٩٥٪/ على التوالي في حين كانت حصّة المانيا ٧٢٪/ و ٩٩٪/ و حصّة اسبانيا ٨٣٪/ و ٤٪/ على التوالي ايضاً (٧)

لكن المغرب لم يستفد من اتساع علاقاته التجارية وذلك ان ميزانه التجاري كان سلبياً باستمرار ولهذا ظلت خزينة الدولة تعاني من مصاعب جدية وظل اقتصاد البلد يعاني من متاعب اعاقته عن التطور ذلك ان « التجارة الخارجية كانت بالنسبة للمغرب عادة ذلك الفرع من الاقتصاد الذي يعتمد عليه الى حد كبير تعجيل او ابطاء وتأثير نمو الاقتصاد باجمعه ٠٠٠ » (٨) واذا اضفنا الى ذلك الاموال التي تطابقتها مشاريع الساطان الاصلاحية والمصاريف التي استازمها القضاء على الثورات التي قامت كرد فعل على هذه الاصلاحات وامتناع اعداد كبيرة من السكان عن دفع الضرائب ادركنا حاجة الدولة الماسة الى المال .

وعمد السلطان في ١٩٠١ ، رغبة منه في الخروج من الازمة المالية الخانقة التي كانت خزينة الدولة تعاني منها الى الغاء الضرائب القديمة ( الزكاة والعشور والناثية ) واستعاض عنها بضريبة جديدة عرفت بـ « الترتيب » وهو الامر الذي اقره ميثاق مدريد عام ١٨٨٠ . وتقرر ان تجبى الضريبة الجديدة التي فرضت على جميع السكان دون استثناء وعلى الاجانب القاطنين في المغرب ايضاً ، من قبل موظفين حكوميين خاصين وليس من قبل القادة كما كان الامر في السابق .

لقد اريد لهذه الاجراءات ان تسهل جباية الضرائب وتزيد من ايراداتها وذلك لان المفروض فيها ان تقضي على سوء الاستغلال الذي كان القادة

N.S. Luts kaya, Ocherki Noveishei Ist'orii Marokko,  
Moskva, 1973. P. 25

(٧)

L.L. Fituni, Marokko, Moskva, 1985, St. 85

(٨)

يمارسونه حيث كانوا يستحوذون لأنفسهم على حصة الاسد من مبالغ الضرائب التي كانوا يجمعونها ، باضافة الى ان فرض الضرائب على الاجانب الذين كانوا مغفولين منها في السابق من شأنه ان يزيد من الاموال التي تتم جبايتها . غير ان ذلك لم يتحقق بل على العكس ادى هذا الاجراء الى نتائج عكسية سببت للسلطان الكثير من المشاكل وفتحت له ابواباً جديدة للصرف ذلك انه « اثار بعمله [هذا] غضب الاغنياء والفقراء ورأي مكاتته تزداد هبوطاً في نظر شعبه » .<sup>(٩)</sup> لقد اغضب هذا الاجراء الاغنياء وذوي النفوذ لانه حرهم من استنزاف القبائل والغنى امتيازات قبائل الجيش والاشراف والطوائف الدينية الذين كانوا جميعاً مغفولين من الضرائب واستاء منه الفقراء لانهم كانوا مغفولين من الزكاة التي كانت تجبى لمساعدتهم بينما الضريبة الجديدة « فرضت حتى على اولئك الذين لا يملكون الاشاة واحدة » وزاد الطين بلة ان العلماء اعلنوا ان « الترتيب » مخالف لتعاليم القرآن فاعطوا بذلك حجة للتمرد والامتناع عن دفع الضريبة الجديدة .<sup>(١٠)</sup> وكان ذلك من بين الاسباب التي جعلت الاضطرابات تشمل اجزاء واسعة من البلاد واصبحت محاولات القضاء عليها تستنزف جزءاً لا يستهان به من موارد الدولة . يضاف الى ذلك ان الاتفاق مع ممثلي الدول الاجنبية في طنجة حول دفع الاجانب للضريبة الجديدة ، كما يقضي بذلك ميشاق مدريد لسنة ١٨٨٠ استغرق مدة سنتين بسبب معارضة فرنسا وروسيا ، ولما كان السلطان عبدالعزيز قد الغى الضرائب القديمة عندما اعلن « الترتيب » فقد حرمت خزينة الدولة من ايرادات الضرائب التقليدية طيلة السنتين التي استغرقتها محاولة الاتفاق مع ممثلي الدول الاجنبية حول الضريبة الجديدة .

وهكذا ظل الوضع المالي في المغرب صعباً للغاية وظلت خزينة الدولة تعاني من ازمة عميقة كانت تشتد باستمرار خصوصاً وان ابواباً جديدة للصرف

(٩) روم لاندو ، المصدر السابق ص ٦٣ .

(١٠) محمد خير فارس ، المسألة المغربية ١٩٠٠-١٩١٢ ، بيروت ١٩٨٠ ص ١١٠

فتحت أمام الحكومة المغربية بسبب تكاليف الحملات التي كانت تنظمها للقضاء على الاضطرابات التي سببتها القبائل التي كان الفرنسيون يثرونها عامدين . (١١) ولم يجد السلطان طريقاً للخروج من هذه الازمة الا بالاقتراض من الاجانب فأبرت المؤسسات المالية الفرنسية التي كانت تترب مثل هذه الفرصة وابتدت استعدادها في ١٩٠٢ لاقتراض حكومة السلطان مبالغ ٣٨٠ ألف جنيه استرليني . (١٢) لكن الانجليز لم يريدوا ان تنفرد فرنسا بهذا المكسب فأخذت الدبلوماسية البريطانية بالضغط على اسبانيا التي كانت بعض مؤسساتها المالية قد شاركت مع الفرنسيين في المحادثات حول هذا القرض ، لدفعها الى التخلي عن المشاركة فيه وابتدى احد البيوت المالية الانجليزية استعداده لتزويد السلطان بقرض تساوي قيمته المبلغ الذي عرضه المصرفيون الفرنسيون . (١٣) وانهى الامر بعقد قرض في عام ١٩٠٣ اشتركت في تقديمه بيوت مالية من كل من فرنسا وبريطانيا واسبانيا بحصص متساوية وبلغت قيمته ٢٢٥ مليون فرنك اقتطعت منها البنوك الفرنسية نسبة ٤٠٪ اي تسعة ملايين فرنك ، عمولة لها . (١٤)

ولكن هذا القرض لم يساعد على احداث تغيير جذري في الوضع المالي للمغرب فتكاليف الحملات الكثيرة وامتناع السكان عن دفع الضرائب والرغبة في توفير المال اللازم لاستغلال ثروات اليلاد المعدنية وغير ذلك من الامور كانت تجعل السلطان بحاجة دائمة الى المال . ولهذا لم يلبث السلطان ان توجه للاقتراض من جديد . وكانت فرنسا في هذه المرحلة هي الاقدر بين

(١١) لقد لاحظ ذلك وأكده عدد من المؤرخين والباحثين الانجليز والفرنسيين

انظر : روم لاندو ، المصدر السابق ص ٧١ .

(١٢) E.D. Morel, *The Black Man's Burden; The White man in Africa From The Fifteenth Century To World War 1*, New York and London, 1969, P. 78

Ghid. P. 78 (١٣)

Lutskaya, OP. Cit. P. 25 (١٤)

الدول الأوروبية على الاستجابة لحاجة المخزن فهي « الدولة الوحيدة في أوروبا التي تتمتع برصيد كبير من رؤوس الأموال الجاهزة للتصدير في حين أن انكلترا كانت تعاني في تلك الفترة ونتيجة لحرب اليور. مصاعب مالية جعلتها هي نفسها بحاجة إلى رؤوس أموال أجنبية جاء قسم كبير منها من فرنسا . وكانت إسبانيا أكثر من انكلترا احتياجاً لاستيراد رؤوس أموال فرنسية . أما ألمانيا فقد كانت تميل إلى استهلاك ما لديها من رؤوس أموال في الصناعة» (١٥) . وهكذا اتفردت البنوك الفرنسية لوحدها في تقديم القرض الجديد للمخزن . لقد تم التوقيع على القرض الجديد في حزيران ١٩٠٤ وبلغت قيمته ٦٢ مليون فرنك بفائدة مقدارها ٥٪ ، ونص العقد على أن يستهلك هذا القرض في ست وثلاثين سنة وأن يسدد منه قرض ١٩٠٣ الذي سبق ذكره ومقداره كما ذكرنا ٢٢ر٥ مليون فرنك وأن يكون للبنوك الفرنسية حق الأفضلية في كل القروض المقبلة وأن تكون الكمارك المغربية في جميع الموانئ المفتوحة للتجارة حالياً أو التي ستفتح في المستقبل ضماناً للقرض حيث سيقم في كل ميناء جباة فرنسيون يودعون يومياً ٦٠٪ من عائدات الكمارك في كل ميناء لحساب الدين . (١٦)

لقد مارست البنوك الفرنسية بهذا القرض عملية تهب سافرة للمغرب فضحها النائب الاشتراكي في البرلمان الفرنسي جان جوريس بعد ذلك بسنوات عندما أعلن في البرلمان في ١٤ آذار ١٩١١ بأن عمولة أصحاب البنوك الفرنسية في هذا القرض بلغت ١٢ر٥ مليون فرنك وأن ما تسلمه السلطان المغربي منه لم يتجاوز ٤٨ مليون . (١٧) وإذا أضفنا إلى ذلك حصول الفرنسيين على حق الإشراف على سك العملة في المغرب إضافة إلى المواقع الاقتصادية التي حققها لهم هذا القرض ولاسيما التزام المغرب بمنح الفرنسيين حق

(١٥) محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ١٤٠ .

(١٦) محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ١٤٥-١٤٦ .

(١٧) نقلاً عن : روم لاندو ، المصدر السابق ص ٧٠ .

الافضلية في القروض المقبلة ادركنا معنى قول دوسانت اولير الوزير الفرنسي المفوض بالوكالة في طنجة عندما وصف هذا الالتزام بأنه « تعميد للحماية الفرنسية » . (١٨)

بهذا الشكل كان الرأسمال الفرنسي يسعى للاستحواذ على المواقع الاساسية في الاقتصاد المغربي تمهيدا لترسيخ النفوذ السياسي الفرنسي فيه . وهذا السعي في الواقع هو السبب الكامن وراء الهجمة الاقتصادية التي تعرض لها المغرب في هذه المرحلة من جانب فرنسا . وقد اتخذت هذه الهجمة اتجاهاين متميزين الاول من حيث الزمن هو سعي الفرنسيين الى اقامة استثمارات صغيرة خاصة بهم في المغرب . فالفرنسيون الذين قدموا الى المغرب بمبادرتهم الخاصة والذين كانوا يملكون رؤوس اموال صغيرة اتجهوا نحو شراء قطع صغيرة من الارض والاستقرار فيها واستثمارها ، او نحو اقامة بعض المشاريع الانشائية الصغيرة كمعامل انتاج السمنت والطابوق والقرميد او ورشات لنشر الاخشاب او تصنيع المنتجات الزراعية وغير ذلك من مشاريع الاستثمار الصغيرة . وقد ازداد عدد اصحاب امثال هذه المشاريع الصغيرة في المغرب ولاسيما بعد ان جرى احتلال بعض مناطق البلد احتلالا عسكريا في ١٩٠٧ .

اما الاتجاه الثاني فقد تمثل بالهجمة الكبيرة التي قام بها رأس المال المصرفي الكبير الذي اسس له في المغرب شركات فرعية كانت تحصل على امتيازات للتنقيب عن المعادن وبناء الموانئ وانشاء السكك الحديدية والطرق . وقد برزت في هذا المجال « كومباني ماروكن » التي اسستها في ١٩٠٢ شركة « شنايدر وكه » فقد قامت بنشاط ملحوظ باتجاه التغلغل الاقتصادي في المغرب حيث شاركت في المحادثات التي جرت بشأن القرض الذي سبق ذكره وحصلت على امتيازات لبناء مينائين في الدار البيضاء وصافي وافتتحت لها

---

(١٨) نقلا عن : احمد زيادي ، انتفاضة الشاوية ١٩٠٧ . دراسة . وثائق تاريخية . ملاحق ادبية . الدار البيضاء ١٩٨٦ ص ١٤ .

وكالات في كل من طنجة وفاس ، بل ان اخذ ، مثلها واسمه غير كان يحظى بثقة السلطان نفسه . (١٩) وكان للفرنسيين في المغرب شأنهم في ذلك شأن الانجليز والالمان والاسبان مكاتب للبريد خاصة بهم تنقل الرسائل وتقوم بالمهمات البريدية الاخرى في جميع انحاء البلاد . (٢٠)

اثارت النجاحات الفرنسية في المغرب استياءً شديداً في المانيا . والواقع ان الاهتمام بالمغرب في المانيا لم يقتصر على الاوساط الرسمية بل تعدى ذلك ومنذ وقت طويل قبل المرحلة موضوع بحثنا فشمّل اوساطاً واسعة من الرأي العام واسهمت في ذلك الصحافة والجمعيات العلمية والاقتصادية ودعاة التوسع الالمانى من اعضاء الاتحاد الالمانى ومؤيديه وغير ذلك من الاوساط . (٢١) وحقق الالمان نجاحات لا يستهان بها في مجال التوسع الاقتصادي في المغرب فقد اقاموا عدداً من المؤسسات التجارية عملت جاهدة على توسيع التبادل التجاري بين المغرب والمانيا . وبالفعل اخذت المانيا منذ عام ١٩٠٠ تزاخم فرنسا على المركز التجاري الثاني فقد بلغت نسبة تجارتها مع المغرب ١٣ / من تجارة ذلك البلد في حين جاءت حمولة سفنها بالمربحة الثانية . (٢٢) لقد كانت توجد في المغرب اربعون شركة المانية مجموع رأسمالها ١٠ ملايين مارك في حين كانت هناك خمس شركات المانية تزور بواخرها بشكل منتظم ثمانية من موانئ المغرب . (٢٣)

Lutskaya, OP. Cit. P. 26

(١٩)

(٢٠) عبد المجيد بن جاون ، جولات في مغرب امس ، الرباط د.ت. ص ١٣ .  
(٢١) انظر حول ذلك : حسن صبحي ، المسألة المغربية في بداية القرن العشرين ١٩٠٠ - ١٩٠٤ ، الاسكندرية ١٩٧١ ، ص ١٦ ؛ محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ٢٣٦ .

(٢٢) ابراهيم شحاته حسن ، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت « الحماية » الاسكندرية د.ت. ص ٤٩ .

Lutskaya, OP. Cit. P. 26

(٢٣)



أخذت الشركات الألمانية تعمل على التغلغل في فروع الاقتصاد المغربي المختلفة فقد شاركت في احتكار التبغ واسهمت في الشركة المراكشية للانشاء والتعمير بنسبة مقدارها ٣٠٪ من رأسمال تلك الشركة وافتتح في المغرب بنك الماني واسست جريدة كانت تصدر هناك باللغة الألمانية<sup>(٢٤)</sup> . ولم يكتف الألمان بذلك بل واصلت الاوساط الاستعمارية في المانيا نشاطها المكثف للتغلغل في المغرب ادراكاتها للفوائد الكبيرة التي يوفرها لها استغلال مثل هذا البلد الغني وقامت بدعاية واسعة لاثارة اهتمام الألمان بالمغرب ، فقد كتبت احدى الصحف الألمانية الصادرة في برلين في آب ١٩٠٢ تقول : « ان كل واحد يعرف جيداً ما هي قيمة المغرب هنا . ان عدداً ضخماً من المستكشفين الألمان قد زاروا المغرب وان الانطباع الذي يستخلص من تقاريرهم هو ان المغرب بلد غني ومهمل تماماً . فالارض ذات خصوبة ملحوظة وفي كل مكان حيث يوجد الماء ينبجج كل شيء ويزدهر . ولا يوجد في هذا البلد سكك حديدية او تلغراف او طرق مواصلات وليس فيه موانئ ولا منارات [ يقصد فنارات ] فلماذا لا يشترك الألمان في العمل لفتح المغرب امام التوغل الاقتصادي ؟ وكم من الفلاحين الألمان يستطيعون بعمل بسيط ان يجدوا حياة سهلة في هذه الارض المقفرة الآن ؟ »<sup>(٢٥)</sup> وألفت في برلين في ١٩٠٢ لجنة للدفاع عن المصالح الالمانية في المغرب<sup>(٢٦)</sup> ، ونشطت الجمعيات الجغرافية واتحادات التصدير في المانيا لجذب الاظار نحو المغرب حتى ان « اللجنة الكبرى للجغرافيا التجارية والدفاع عن المصالح الالمانية في الخارج » جعلت المسألة المغربية الشعار اليومي لجلساتها في تشرين الاول ١٩٠٣<sup>(٢٧)</sup> . واثمر

(٢٤) يؤكد الباحث الفرنسي موريس بانه لم يكن يوجد في المغرب في ١٩٠٣ الا ١٣٥ المانيا و١٢ شركة تجارية المانية وان قيمة التبادل كانت ٨٤ مليون فرنك - نقلا عن :  
Lutskaya, OP. Cit. Foot note 8, P. 446.

(٢٥) نقلا عن : محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

Lutskaya, OP. Cit. P. 27

(٢٦)

(٢٧) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

هذا النشاط فازدادت المصالح الاقتصادية الألمانية في المغرب واتسع التعامل الاقتصادي بين البلدين وحصلت الشركات الألمانية على امتيازات لانجاز العديد من المشروعات في انحاء المغرب المختلفة فقد اسهمت في توسيع ميناء العرائش وفي بناء كاسر للمواج في طنجة وفي التنقيب عن الثروات المعدنية في بعض انحاء البلاد ، وكان التجار الألمان يتواجدون في جميع المدن المغربية الكبرى تقريباً ، وكانت مراكز البريد الألمانية في المغرب تتمتع بسمعة عالية وتعد افضل من غيرها بكثير (٢٨) .

لقد كانت الصناعة الألمانية تعاني ، كما هو معروف ، من نقص في خامات النحاس والحديد ولهذا فان بعض الباحثين يرى ان وجود خامات هاذين المعدنين في المغرب كان احد الاسباب الرئيسة لاهتمام المانيا بهذا القطر . وبالفعل كانت المطامع الألمانية تتركز في مناطق الجنوب المغربي ولاسيما منطقة السوس وهي المناطق التي كانت الصحف الألمانية تشير الى خصوبتها وغناها بخامات الحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك من المعادن (٢٩) . ولهذا كانت الشركات الألمانية تسعى للحصول على امتيازات لاستغلال مناجم الحديد والنحاس وبرزها في هذا الشأن شركة « مانسمان » التي حصلت من السلطان عبدالعزيز على حق التنقيب عن المعادن في اراضي شاسعة من منطقة السوس (٣٠) . لقد استطاعت هذه الشركة ان تتغلغل في المغرب وتستحوذ على مواقع اساسية فيه حيث كانت تمارس نشاطاً تجارياً واسعاً يشمل سلعا عديدة ، بما فيها السلاح والذخيرة ونشرت نشاطها في المناطق الداخلية من البلاد فكونت لها هناك اربعة عشر مراكزاً وبيتاً تجارياً . ولاجل ان تزيد من عدد المتعاملين معها اخذت تباع بالنسيئة ، واشترت من السلطان حق احتكار استغلال جميع مناجم النحاس في المغرب بالاضافة الى انها كانت تهيمن على واحد من ترستين

انشئنا لاستغلال مناجم الحديد هناك<sup>(٣١)</sup> كما اشترت من السلطان عبدالعزيز اراضي تبلغ مساحتها نحو خمس الاراضي المغربية وعندما حل السلطان عبد الحفيظ محل اخيه على العرش المغربي تمكنت الشركة من جعله يصادق على هذا الشراء<sup>(٣٢)</sup> .

واصلت المانيا تغلغلها الاقتصادي في المغرب فحصلت لشركة « بورجو - رومان » على عقد للقيام باثشاء مرسى ومستودع في ميناء طنجة ، واجرت في ١٩٠٥ مفاوضات مع السلطان لمنحه قرضاً بعشرة ملايين مارك ، غير ان معارضة فرنسا الشديدة اضطرت الشركة الى التخلي عن الحق في استغلال المرسى والمستودع والالتزام بتسليمها الى المخزن فور الانتهاء من العمل ، كما اضطر الالمان الى القبول بمشاركة الفرنسيين في عملية القرض<sup>(٣٣)</sup> .

لكن الالمان لم يكفوا عن السعي للاستحواذ على مواقع متقدمة في الاقتصاد المغربي فاتجهت الشركات الالمانية الى الاسهام في الشركات العالمية المختلفة التي انشئت لاستغلال ثروات المغرب ، ففي ١٩٠٧ شارك الرأسمال الالمانى مع رأسمالين من بريطانيا وفرنسا واسبانيا وايطاليا والنمسا وبلجيكا والبرتغال في انشاء شركة « يونيون دي مين » العالمية ، كما اسهمت الشركات الالمانية في الاتحاد ، الاحتكاري « سوساييتي ماروكين دي تراخوسا بوبليك » وشاركت مع الرأسمال الفرنسي والبريطاني والاسباني في شركة « سوساييتي اترناسيونال دي ريجي كواتيريسي دي تابا دو ماروك » الى جانب اشتراك الرأسمال الالمانى مع الفرنسي في بناء السكك الحديدية في مناطق المغرب المختلفة .<sup>(٣٤)</sup>

Lutskaya, OP. Cit. P. 27, Foot note 10 P. 446.

(٣١)

(٣٢) عبد المجيد بن جلون ، المصدر السابق ص ١٢٠-١٢١ .

(٣٣) انظر : محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ٢٨٧ ، ٢٨٩ .

Lutskaya, OP. Cit. P. 27

(٣٤)

وعلى الرغم من ان انشاء هذه الشركات المختلطة ادى الى تشابك مصالح الشركات الالمانية والفرنسية الا انه لم يقض على المنافسة الحادة التي كانت قائمة بين الجانبين . وقد برز بشكل خاص في هذه المرحلة التنافس الشديد بين شركة « مانسمان » الالمانية التي سبق ذكرها والشركة العالمية المذكورة اعلاه « يونيون دي مين »<sup>(٣٥)</sup> التي يترعها شنايدر الفرنسي ويشارك فيها كروب الالمانى .<sup>(٣٦)</sup>

لقد اصبحت لالمانيا مصالح اقتصادية لا يستهان بها في المغرب . وتحولت الشركات الالمانية صاحبة هذه المصالح الى قوة ضغط مستمرة على الحكومة الالمانية تحاول دفعها الى انتهاج سياسة اكثر نشاطا باتجاه المحافظة على هذه المصالح وتوسيع المواقع التي احرزها الرأسمال الالمانى هناك . ولهذا فان المستشار الالمانى ييلوف لم يكن صادقا عندما اعلن في الرايخشتاغ في ١٣ نيسان ١٩٠٤ في معرض تعليقه على اتفاقية ٨ نيسان ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا وهي الاتفاقية التي اطلقت فيها بريطانيا يد فرنسا في المغرب قائلا : « .. ان لنا هناك [ في المغرب ] قبل كل شيء مصالح تجارية ولهذا فان لنا مصلحة هامة في ان يسود الهدوء والنظام في المغرب وما من داع للخوف من ان تتجاهل مصالحنا او تؤذى من قبل اي دولة »<sup>(٣٧)</sup> . فالواقع ان هذه الاتفاقية قد « اقلقت المانيا الى اقصى حد »<sup>(٣٨)</sup> وذلك لان « الاستعمار

---

(٣٥) الواقع ان هذه الشركات كانت عبارة عن احتكار عالمي يديره الراسماليون الفرنسيون الذين كانت حصتهم فيه ٦٢٪ . اما حصة الالمان فكانت ٢٠٪ في حين كانت حصة البريطانيين ٦٪ والاسبان ٦٪ والايطاليين ٤٪ والبرتغاليين ٢٪ .

Lutskaya, OP. Cit. Foot note 11, P. 446.

Lutskaya, OP. Cit. P. 28

(٣٦)

(٣٧) نقلا عن : خير الدين فارس ، المصدر السابق ص ٢٤٣ .

Diplomatheski Slovar, Pod red. A.A Gromeko ig dru.

(٣٨)

T.1, Moskva 1960 Str. 111.

الالمانى لم يكن يستطيع ان يتقبل فقدان قطعة مغرية لم تكن قد قسمت بعد  
كالمغرب» (٣٩) . ولهذا فان المانيا لم تستطع الاستمرار بالتظاهر بالهدوء فلم  
يلبث الالمان ان كشفوا عن موقفهم الحقيقي من هذه الاتفاقية التي كانت  
تؤلف خطرا اقتصاديا وسياسيا كبيرا عليهم . ففي ٢١ آذار ١٩٠٤ كتب ييلوف  
نفسه حول هذا الموضوع قائلا « ان النشاط الالمانى التجارى في المغرب ينمو  
بسرعة وانه الامر حيوي منع وقوع احتكار فرنسي » وفي الوقت نفسه التقى  
السفير الالمانى في لندن وزير الخارجية البريطانى وحذره قائلا « ان المانيا  
حريصة على ابقاء السوق المغربى مفتوحا » ، وكان الامبراطور الالمانى الذي  
استفزته النجاحات الفرنسية في المغرب اكثر صراحة حيث صرح قائلا : « اننى  
لست مستعدا لان اترك الامور تصل الى مثل هذا الحد » . (٤٠)

لكن فرنسا واصلت بعد ان ضمنت موقف بريطانيا تغلغلها في المغرب  
واستغلت الظروف الصعبة التي كان السلطان المغربى يواجهها فعرضت عليه  
خدماتها لاجراء « اصلاحات » في بلاده وطالبت بعدد من الامتيازات وارسلت  
في خريف ١٩٠٤ بعثة خاصة الى فاس لتقديم هذه المطالب للسلطان . وقد  
زاد ذلك من قلق المانيا واثار مخاوفها فاخذت تشجع السلطان على رفض  
مطالب فرنسا والمطالبة بعقد مؤتمر دولي ، ثم اخذت هي نفسها تطالب بعقد  
مؤتمر للدول التي شاركت في مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠ لمناقشة المسألة المغربية  
على اساس مبدأ الباب المفتوح وتساوي الفرص ، وترفض كل محاولات  
فرنسا الرامية الى التوصل الى اتفاق فرنسي - الماني مباشر حول المسألة  
المغربية . ويأتي في هذا السياق الخطاب الذي القاه الامبراطور الالمانى وايم  
الثاني عند زيارته لطنجة في ٣١ آذار ١٩٠٥ في نطاق « النهضة البحرية » التي  
كان يقوم بها انداك والذي طالب فيه لالمانيا بحرية التجارة في المغرب والمساواة

V.M. Khvostov, Istoriya Diplomatii. T. II, Moskva

(٣٩)

1963, Str. 500.

(٤٠) نقلنا تصريحات المسؤولين الالمان هذه عن : محمد خير فارس ، المصدر  
السابق ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

مع الدول الاخرى واعلن نفسه صديقا للاسلام وحاميا له ومدافعا عن استقلال المغرب . لقد قومت الصحافة العالمية هذا الخطاب على انه « تحدٍ صريح لفرنسا وانجلترا » وقد قرنت المانيا هذا التحدي بتهديدات عسكرية موجهة ضد فرنسا . (٤١)

اضطرت فرنسا الى الموافقة على عقد المؤتمر فعقد في ١٥ كانون الثاني في مدينة الجزيرة الاسبانية وواصل اعماله حتى ٧ نيسان من العام نفسه .

اقر مؤتمر الجزيرة ميثاقا يتألف من ١٢٣ مادة يهمنها منها هنا المواد المتعلقة بائشاء بنك للدولة في المغرب وعددها ١٧ مادة تضمنت ائشاء هذا البنك الذي كان عليه ان يمارس جميع العمليات التي تمارسها البنوك وله امتياز خاص باصدار السندات لحاملها وتدفع لدى ابرازها ولها قوة ابرائية في الخزائن العامة للسلطنة المغربية وله وحده من دون اية مؤسسة مالية اخرى ان يقوم بدور الخازن الصراف للسلطنة ، اما رأسماله فيجب ان لا يقل عن ١٥ مليون فرنك ولا يزيد عن ٢٠ مليون (٤٢) والواقع ان هذا البنك لم يكن في واقع الامر الا وسيلة اعتمدها الرأسمال الاجنبي للسيطرة على المغرب . وقد تقرر ان يكون رأسماله (١٥٤٠٠٠٠٠) فرنك مقسمة الى اربعة عشر قسما متساويا يبلغ الواحد منها (١١٠٠٠٠٠) فرنك وكان لكل دولة من الدول الثلاث عشرة (٤٣) التي اشتركت في المؤتمر الحق في قسم واحد من هذه الاقسام ، غير ان الولايات المتحدة تخلت عن حصتها فاستحوذت عليها فرنسا

(٤١) قامت بسبب ذلك الازمة التي عرفت بأزمة مراكش الاولى ذلك ان وزير الخارجية الفرنسي دلكاسيه الذي كان يأمل بالمساعدة من جانب بريطانيا اراد استغلال الوضع لمحاربة المانيا لكن زملاءه الاخرين لم يشاطروه الرأي فاضطر الى الاستقالة ووافق وزير الخارجية الجديد روفيو على عقد المؤتمر .  
**Diplomaticheskii Slovar, ... T. 11enp. 255.**

(٤٢) محمد خير فارس : المصدر السابق ص ٣٤١-٣٤٢ .

(٤٣) هي : فرنسا و المانيا وبريطانيا والنمسا - المجر وروسيا و ايطاليا واسبانيا وبلجيكا وهولندا والبرتغال والسويد والولايات المتحدة والمغرب .

الامر الذي جعل البنوك الفرنسية تحصل على حصتين<sup>(٤٤)</sup> ، وتقرر ان يكون عدد المديرين في البنك بعدد الحصص في رأس المال وان تسيطر على الادارة هيئة من المراقبين ترشحهم البنوك الرسمية في كل من فرنسا والمانيا وبريطانيا واسبانيا .<sup>(٤٥)</sup>

وتضمن الميثاق ايضا موادا خاصة بتنظيم الضرائب وايجاد عائدات جديدة الزمت الاجانب بدفع ضريبة « الترتيب » ولكنها منحتهم بالمقابل حق الحصول على ملكيات في الموانئ المفتوحة للتجارة والمناطق المتاخمة لها لمسافة عشرة كيلومترات وفي القصر الكبير واصيلا وازمور والمناطق المتاخمة لها لمسافة كيلومتريين ، اما غير ذلك من المناطق فان حق التملك للاجانب فيها كان مرهونا بموافقة السلطان .<sup>(٤٦)</sup>

لقد كان مؤتمر الجزيرة خطوة واسعة اخرى على طريق تغفل السدول الاوربية في الاقتصاد المغربي واستحوادها على ثروات هذا البلد الغني تمهيدا لترسيخ تفوذها السياسي فيه ، فقد منح ميثاقه الاجانب كما رأينا حق التملك في المغرب وفسح للرأسمال الاجنبي مجال العمل فيه بحرية وفتح ابوابه امام رعايا الدول الاجنبية لممارسة نشاطهم الاقتصادي فيه دون عائق . وكان لذلك كله نتائجها السلبية على المغرب . وكانت هذه النتائج على درجة من السوء دفعت احد المغاربة الى القول بان السلطان بتوقيعه على هذا الميثاق اثما وقع

---

(٤٤) استولت فرنسا بعد الحرب العالمية الاولى على حصة كل من المانيا والنمسا - المجر وروسيا ، وبعد الحرب العالمية الثانية اعيد توزيع اسهم البنك واصبحت على النحو الاتي : ٢٠ ٪ لفرنسا و ١٠.٢ ٪ لمصر ، ٧ ٪ لكل من بلجيكا وهولندا والبرتغال و ٤ ٪ لاطاليا و ٣.٣ ٪ للفاينكان و ٣.٢ ٪ للسويد و ٠.٨ ٪ لبريطانيا . والغريب في هذا التوزيع ان المغرب لم يكن يملك سهما واحدا في هذا البنك الذي يعد بنكه الوطني الخاص به .  
Lutskaya, OP. Cit. Foot note 12, P. 446.

(٤٥) محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ٣٤٢ .

(٤٦) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

« حكم الموت على المغرب المستقل » فقد « كان المخزن قبل المؤتمر مريضا جدا اما بعد المؤتمر فقد انتهى المخزن ... » (٤٧)

لقد أكد ميثاق مؤتمر الجزيرة المساواة التامة بين الدول في المغرب في المجالين الاقتصادي والسياسي ، وطبيعي ان مثل هذه النتيجة لم ترض الفرنسيين الذين رأوا في مقررات المؤتمر عقبة تعيقهم عن الانفراد في الاستحواذ على المغرب ، ولهذا فقد واصلوا التغلغل فيه دون الالتفات الى هذه المقررات ولكنهم اصطدموا بالالمان الذين انبروا هم ايضا للعمل النشط في المغرب محاولين بكل السبل اقامة العقبات امام الفرنسيين الامر الذي ادى بهؤلاء الى الاقتناع بعدم امكانية تجاهل المصالح الالمانية في المغرب. لقد كشف عن هذا الاقتناع فيما بعد رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي دي شانيل عندما تساءل في معرض دفاعه في البرلمان عن ضرورة تصديق اتفاقية تشرين الثاني عام ١٩١١ بين فرنسا والمانيا قائلا : « هل بإمكاننا ان نتصنع تجاهل الجهود التي بذلتها المانيا في المغرب طيلة نصف قرن : رحلات مستكشفيها ونشاط معمرها ومشاريعها الزراعية والتعدينية وخطوط بواخرها ودوائر بريدها وعلى الاخص تلك الحركة من الافكار التي تجذبها نحو الامبراطورية الشريفة ... » (٤٨)

وهكذا اعتقد الفرنسيون بان الوسيلة المثلى لمواصلة نشاطهم في المغرب بدون عائق هي الاتفاق مع المانيا عن طريق القيام لها ببعض التنازلات . وكان الالمان من ناحيتهم يدركون حدود امكاناتهم في المغرب ولاسيما وان نتائج ازمة مراكش الاولى اظهرت لهم بان من الصعب عليهم اعاقا التفوق الفرنسي هناك . وعلى هذا الاساس عقدت بين فرنسا والمانيا في شباط ١٩٠٩ اتفاقية كان هدفها المعلن تنفيذ ميثاق الجزيرة وتلافي « سوء الفهم » بين الدولتين .

(٤٧) نقلا عن : المصدر نفسه ص ٣٤٩-٣٤٧ .

Quoted in Morel, OP. Cit. PP. 80-81

(٤٨)



لقد التزمت فرنسا في هذه الاتفاقية بالمحافظة على استقلال وحصانة الدولة المغربية والالتزام بمبدأ المساواة بين الدول في النشاط الاقتصادي في المغرب ووعدت « بعدم اعاقا المصالح الصناعية والتجارية الألمانية فيه » . اما المانيا فقد اكدت من جانبها بان اهدافها في المغرب تقتصر على الجانب الاقتصادي فقط واعترفت بان « المصالح الخاصة لفرنسا في المغرب ترتبط بشكل وثيق بالمحافظة على النظام والسلام الداخلي فيه » . والتزم الطرفان بعدم العمل على التمييز الاقتصادي في المغرب وبالسعي لتوحيد مواطني الدولتين في مشاريع مشتركة يمكن ان تؤسس في ذلك البلد .<sup>(٤٩)</sup> وهكذا فان هذه الاتفاقية « كانت تعني ان فرنسا تستطيع ان تخضع المغرب كلياً بشرط ان تحافظ ظاهرياً على استقلاله وتؤمن للامان شروطاً مساوية في النشاط الاقتصادي » .<sup>(٥٠)</sup>

لقد شجعت اتفاقية ١٩٠٩ على انشاء مشاريع فرنسية - المانية مشتركة لاستغلال الثروات الطبيعية في المغرب استغلالاً مشتركاً . وقد انشئت بالفعل بعض الشركات . ففي ٣ كانون الاول ١٩٠٩ تم تأسيس شركة لاحتكار التبغ كان نصيب فرنسا فيها ٣٦٥٪ ونصيب كل من المانيا واسبانيا ١٧٪ واشتركت فيها دول اخرى . وفي ١٧ شباط ١٩١٠ تأسست الشركة المغربية للاستغلال العامة وكانت حصة فرنسا فيها ٥٠٪ والمانيا ٣٠٪ وبريطانيا ٦٥٪ واسبانيا ٥٪ وكل من ايطاليا وبلجيكا والسويد ٢٥٪ والبرتغال ١٥٪ .<sup>(٥١)</sup>

ومع ذلك فقد فشلت تجربة العمل الاقتصادي المشترك بين فرنسا والمانيا ومعهما بعض الدول الاخرى ذلك ان هذه الدول جميعاً « تأبى الا ان تشجع مواطنيها على اكتساب المصالح في منطقة السدس وتعرض عليم صيانة هذه المصالح بحد السلاح » .<sup>(٥٢)</sup> والواقع ان السبب الاساس في فشل هذه

Khvostov, OP. Cit. P. 680.

(٤٩)

Ibid. P. 680

(٥٠)

(٥١) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩-٤١٠ .

(٥٢) عبدالمجيد بن جلون ، المصدر السابق ص ١١٥ .

المشاريع هو رغبة فرنسا في الاستحواذ على المغرب وسعيها للاعتراف في العمل فيه ونظرتها الى المشاريع المشتركة على انها خطوة تكتيكية للوصول الى ذلك . وهكذا جهد الفرنسيون في العمل على تمهيد الطريق للاستيلاء على المغرب بمفردهم ولم يقتصروا في سعيهم هذا على التغلغل السلمي فقط بل كثيراً ما عمدوا الى الاستفزاز المباشر فقد استغلوا مقتل احد الاطباء الفرنسيين في مدينة مراكش في آذار ١٩٠٧<sup>(٥٣)</sup> لاحتلال وجدة الواقعة في شرق البلاد . وفي صيف السنة نفسها اثاروا مصادمات بين سكان الدار البيضاء وعمال الشركة المغربية واستغلوا مقتل عدد من الفرنسيين بسبب هذه الاحداث حجة لقصف المدينة وانزال القوات الفرنسية فيها .<sup>(٥٤)</sup>

وقد اثار احتلال القوات الفرنسية لبعض مناطق المغرب قلق الاسبان فاختلوا يسعون لاستغلال الوضع بهدف تحقيق مكاسب اقتصادية ، فبادرت الشركتان الاسبانيتان « نورمي افريكافو » و « ميناس ديل ريف » الى مطالبة السلطان بالاعتراف لهما بالحق في امتيازات المناجم .<sup>(٥٥)</sup> وعندما رفض السلطان ذلك ارسلت اسبانيا قواتها فاحتلت بعض المناطق المغربية في اقليم الريف مستغلة لذلك مقتل عدد من العمال الاسبان بسبب نزاعات قامت في المنطقة ، ولكنها جوبهت هناك بمقاومة عنيفة اضطرتها الى الحد من عملياتها العسكرية والدخول في مفاوضات مع الحكومة المغربية طالبت خلالها بتعويض كبير عن المصاريف التي تكبدتها نتيجة للعمليات العسكرية التي قامت بها

(٥٣) انظر تفصيلات هذا الحادث وملابساته والنتائج التي تربت عليه في : اسماعيل بن محمد الرشيد العلوي ، جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ المغرب الى عصر محمد الخامس ، مطبعة فضالة ، الطبعة الاولى ١٩٥٧ ، ص ١٥٦ ؛ محمد خير فارس ، المصدر السابق ص ٣٥١-٣٦٠ .

(٥٤) كرس الباحث المغربي احمد زيادي كتابه المار الذكر ( انتفاضة الشاوية ) لدراسة احداث الدار البيضاء هذه وقد دعم دراسته بالوثائق وحاول من خلالها ان يرد على بعض الباحثين الذين انساقوا وراء المواقف الفرنسية فشوهوا الصورة الحقيقية لهذه الاحداث .

لاحتلال الاراضي المغربية . وقد اتمت هذه المفاوضات فيما بعد ( ١٧ تشرين الثاني ١٩١٠ ) بعقد اتفاق فرضت بموجبه على المغرب غرامة مقدارها ٦٥ مليون فرنك تدفع على ٧٥ سنة بضمائة ٥٥٪ من رسوم المناجم وما تبقى من كمر كسبتة . (٥٦)

وكافت فرنسا من جانبها تطالب ايضا بتعويض قدره ستون مليونا من الفرنكات لتغطية تهقات احتلال المدن المغربية بالاضافة الى (١٣٠٦٩٦٠٠) فرنك تعويضا عن الاضرار التي لحقت بالتجار الفرنسيين اثناء الحملات التأديبية وقصف الدار البيضاء من البارجة الفرنسية . (٥٧) وزاد ذلك ، الى جانب تراكم الديون القديمة والديون الجديدة التي نشأت ، بسبب اعمال البناء والتعمير في الموانئ من حدة الازمة المالية التي كافت الحكومة المغربية تعاني منها الامر الذي اضطر السلطان الى طلب قرض جديد . وبعد مفاوضات طويلة اجرتها الحكومة المغربية مع بنك الدولة المغربي ، وهو البنك السني تأسس بموجب ميثاق مؤتمر الجزيرة كما اشرنا سابقا ، تمكنت من الحصول من البنك في ١٧ أيار ١٩١٠ على قرض مقداره ٩٠ مليون فرنك بفائدة مقدارها ٥٪ ويتم سداده خلال ٧٥ سنة على ان تكون ايرادات الضرائب الكمركية وبعض المدخولات الاخرى ضمانة له (٥٨) .

ولان هذا القرض ادى الى ان يسيطر الاجانب على جزء لا يستهان به من مصادر الدخل في الدولة ، فحرم المخزن من اهم موارده ، ولانه صرف لاطفاء الديون القديمة ولم يبق منه ما يمكن ان يستثمر في تطوير اقتصاد البلد

(٥٦) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢-٤٣٣ .

(٥٧) روم لاندو ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

Lutskaya, OP. Cit. P. 29

(٥٨)

(٥٩) كان عبد الحفيظ قد تولى الحكم سلطانا للمغرب عام ١٩٠٨ على اثر ثورة قام بها ضد اخيه السلطان عبدالعزيز ، مستغلا تخاذل عبدالعزيز امام الفرنسيين الذين قصفوا الدار البيضاء واحتلوا منطقة الشاوية فسي ١٩٠٧ كما رأينا .

فانه اثار نقمة الجماهير المغربية ووجد السلطان عبد الحفيظ<sup>(٥٩)</sup> نفسه في وضع حرج . وحدثت في ١٩١١ اضطرابات شعبية استغلتها القوات الفرنسية لاحتلال فاس<sup>(٦١)</sup> واستغلتها الحكومة الفرنسية لارسال تعزيزات عسكرية اضافية الى المغرب بحجة « المحافظة على النظام وحماية الموانئ وتأمين التجارة ... »<sup>(٦١)</sup> وفي الوقت نفسه صادق مجلس الوزراء الفرنسي على مشروع قرض جديد لحكومة المغرب بمبلغ ١٥ مليون فرنك يخصص « لتنظيم قوة عسكرية مؤهلة لدعم سيطرة السلطان على القبائل ولوضع قوات من الشرطة في الموانئ وتنفيذ الاعمال العامة الضرورية ولإطفاء الديون القديمة »<sup>(٦٢)</sup> . وقد جعلت الضرائب التي تجبى من منطقة الشاوية ضمافا لهذا القرض .

اثارت النجاحات التي حققتها فرنسا في المغرب المانيا وادى احتلال القوات الفرنسية لفاس الى قيام ازمة مراکش الثانية او ازمة اغادير المعروفة التي انتهت بعقد اتفاقية ١٩١١ بين المانيا وفرنسا التي اقرت فيها المانيا باعتبار المغرب منطقة نفوذ فرنسية في مقابل حصولها على جزء من الكونغو مساحته ٢٧٥ كم<sup>٢</sup> والاعتراف لها بمبدأ « الباب المفتوح » في المغرب لمدة ٣٠ سنة .<sup>(٦٣)</sup> لقد الزمت اتفاقية ١٩١١ المانيا بعدم اعاقه فرنسا عن القيام « باصلاحات » ادارية ومالية وعسكرية في المغرب الامر الذي كان يعني اطلاق حرية العمل لفرنسا في المغرب . وقد استغل رجال الاعمال والسياسة الفرنسيون ذلك اوسع استغلال وباشروا بالعمل بكل الوسائل على تكثيف تغلغلهم الاقتصادي ونفوذهم السياسي فيه الامر الذي ادى في النهاية الى فقدان هذا القطر العربي استقلاله ووضعه تحت الحماية الفرنسية .

(٦٠) انظر تفاصيل ذلك وملابساته والدور الذي ادته في هذه المسألة لجنة المغرب التي سبقت الاشارة اليها في : روم لاندو المصدر السابق ص ٧٥-٧٧ .

Lutskaya, OP. Cit. P. 30

(٦١) نقلا عن :

glid. P. 30.

(٦٢)

Diplomaticheskii Slovar ... T. 11 P. 256.

(٦٣) انظر :

**Journal**  
**of the**  
**ACADEMY OF SCIENCES**

**Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950**

**EDITORIAL BOARD**

(prof. Dr) Najih M. Khalil EL-RAWI	Chairman
(prof. Dr) Ahmed MATLOUB	
(prof. Dr) Jalal M. SALIH	
(prof. Dr) Dakhil A. JEREW	
(prof. Dr) Riadh H. A-DABBAGH	
(prof. Dr) Abdul halim AL-HAJAJ	
(prof. Dr) Laith I. I. NAMIQ	
(prof. Dr) Mazin I. AL-RAMADANI	
(prof. Dr) Mahmood H. HAMASH	
(prof. Dr) Nazar A. L. AL-HADITHI	
Mustafa T. AL-MUKHTAR.	Managing Editor.

---

**Add: ACADEMY OF SCIENCES.**

**P. O. Box 4023 WAZYRIA, AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ**

**Tel: 4221733 - 4222066 Fax: ( 964 - 1 ) 4254523**

**— Annual Subscription : In IRAQ ( 4000 ) I. D.**

**Outside IRAQ (50 Dollar) air mail not included**

---

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٨



Journal  
of the  
ACADEMY of SCIENCES

No . 1

Vol. 45

---

1418 H - 1998